

السِّرَاجُ المُنِيرُ

في

الثَّقَافَةِ الإِسْلَامِيَّةِ

الدكتور
محمد سالم محيسن
الأستاذ بالجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
وعضو لجنة مراجعة المصاحف
بالأزهر

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

عن «أبي سعيد الخدريّ» رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في حجة الوداع:

«نضَّر الله امْرأً سمع مقالتي فوعاها، فَربّ حامِل فقهٍ ليس بفقيه، ثلاث لا يَغُلّ عليهن قلب امرئ مؤمن: إخلاصُ العمل لله، والمناصحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإنّ دعاءهم محيط من ورائهم» اهـ. رواه «البزّار» بإسناد حسن.



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمدلله القائل: ﴿ومن أحسن قولًا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾[1]. والصلاة والسلام على رسول الله الذي صحّ عنه في الحديث الذي رواه «أنس بن مالك» رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، فارقها والله عنه راض» اهـ.

رواه ابن ماجه، والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين. وبعد: فهذه موضوعات علميّة من الفكر الإسلاميّ، صغتها في صورة سؤال وجواب.

رجاء أن يكون في هذا الأسلوب من التصنيف ترغيب إلى النفوس، وتحبيب إلى القلوب، وتيسير على القراء. وقد جعلتها تحت عنوان:

«السراج المنير في الثقافة الإسلامية»

★ والثقافة الإسلامية لها دورها العظيم في تربية كل مسلم ومسلمة على الأخلاق الإسلامية الفاضلة، والقيم العالية، والسلوك السويّ المستقيم.

★ والثقافة الإسلامية ترفع من شأن كل مسلم، وتعلي قدره، وتجعله جديراً أن يكون خليفة الله في أرضه، ينفّذ تعاليمه، ويبسط منهجه، وينشر العدل، والأمن، والمساواة بين الجميع.

---

(١) سورة فصلت، آية ٣٣.

★ والثقافة الإسلامية قادرة بإذن الله تعالى على توثيق الصلة بين الحاضر والماضي المشرق المضيء.

كما أنها قادرة أيضاً على إيجاد حياة مستقرة يسودها الأمن والسلام.

★ والثقافة الإسلامية تعتمد على مصدرين أساسيّين: المصدر الأول: كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. والمصدر الثاني: سنة الهادي البشير عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

★ وقد رتَّبت موضوعات هذا الكتاب حسب حروف الهجاء ليسهل الرجوع إليها عند اللزوم.

أسأل الله أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم. وصل اللهم على سيدنا «محمد» وعلى آله وصحبه أجمعين.

المدينة المنورة	المؤلف
الجمعة ١٤ جمادى الأولى سنة ١٤٠٩ هـ	خادم العلم والقرآن
الموافق ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٨٨م	الدكتور محمد بن محمد بن محمد بن سالم بن محيسن

أثر الحجّ في تربية المسلم

الحمد لله الذي جعل الحجّ أحد أركان الإسلام، وأشهد أن لا إله إلا الله القائل: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾[1] وأشهد أن نبينا «محمداً» رسول الله الذي رغّب في الحج، وحث عليه، وبيّن فضله:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من حجّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمّه» اهـ. رواه البخاري، ومسلم.

وبعد: فإنّ الحجّ مدرسة تربويّة عمليّة، تخرج منها الكثيرون الذين أكرمهم الله تعالى بأداء هذه الفريضة، فتابوا عن المعاصي التي كانوا يقعون فيها، كما استفادوا من هذه المدرسة فوائد جمّة كانت سببًا في قربهم من الله تعالى.

وبعد: فهذه مجموعة من الأسئلة والإجابة عليها حول: «أثر الحجّ في تربية المسلم»

س ١: من الأمور المسلّمة التي لا خلاف فيها أن الحج مظهر من مظاهر العبوديّة لله تعالى. لذلك نودّ أن تحدّثنا عن أثر هذه الظاهرة التربوية العظيمة.

جـ ١: مظاهر العبودية لله تعالى أثناء تأدية مناسك الحجّ تتجلّى في إظهار

(١) سورة البقرة، آية ١٩٦.

التذلّل للمعبود وهو الله تعالى وذلك أن الحاج حال إحرامه بالحجّ يظهر الشعث، ويتخلّى عن مظاهر التزيّن والتمتع بزخارف الدنيا.

★ وفي حال وقوفه بعرفات يبدو كعبد عصى مولاه فوقف بين يديه متضرّعاً حامداً له، مثنياً عليه، مستقيلاً لعثراته. قال الهادي البشير ﷺ: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة» اهـ. رواه مسلم.

★ والطواف حول البيت يكون الحاجّ بمنزلة عبد معتكف على باب مولاه، لائذ بحماه، وفي هذا ترويض للنفس، وتعويد لها على أنه ينبغي للإنسان ألاّ يلجأ إلاّ إلى الله تعالى لا لأحد سواه مهما كان.

فعن «ابن عباس» رضي الله عنهما قال: «كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: «يا غلام إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضرّوك إلاّ بشيء قد كتبه عليك، رفعت الأقلام، وجفّت الصحف». رواه الترمذي.

وفي رواية غير الترمذي:

احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدّة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أنّ النصر مع الصبر، وأنّ الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا» اهـ.

(والله أعلم).

س ٢: أجمع علماء المسلمين على أن الحجّ المبرور يهذب الأخلاق، نحبّ أن تجلّي بعض جوانب هذه الحقيقة.

جـ ٢: من يريد الحجّ تراه قد انتقل من حالة إلى حالة، وصار من

الذين أنعم الله عليهم بنعمة الأخلاق الفاضلة، لأن الحاجّ بمجرد قصده الحج فإنه يتوب إلى الله تعالى توبة صادقة، ويعزم على ألاّ يعود إلى ارتكاب الذنوب، وفي هذا تكفير لذنوبه من الله تعالى ما دامت توبته صادقة، ففي الحديث الصحيح: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها».

وصدق الله حيث قال: ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيُّها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾[1].

(والله أعلم).

س ٣: من تعاليم الإسلام أن كل رجل يريد الحجّ أو العمرة عليه أن يتجرد من لبس المخيط -إذا كان صحيح البدن- عند إرادة الدخول في الإحرام.

فما هي حكمة التشريع الإسلاميّ في ذلك، وما هو أثر ذلك في تربية المسلم.

جـ ٣: لعلّ حكمة التشريع الإسلاميّ من تجرد الرجل من المخيط عند إرادة دخوله في الإحرام يرجع إلى عدّة أسباب، أذكر منها ما يأتي:

١ - أن يكون الحاجّ في أعلى درجات الخضوع، والتذلّل لله تعالى، وكأنّ لسان حاله ينادي ويقول: ربّ إنّي لا أملك من الأمر شيئاً، وإن كل ما في الوجود لا أملك منه قليلاً ولا كثيراً، وإنك أنت وحدك المالك لكل شيء، وها أنا بين يديك كيوم ولدتني أمّي ليس عليّ من متاع الدنيا إلاّ ما أستر به عورتي. ومما لا ريب فيه أن هذه الحالة تمثل أسمى درجات الخشوع، ولعلها تكون الغاية القصوى في درجات التذلّل والخضوع لله تعالى.

ومما لا شكّ فيه أن مثل هذه الحالة لها الأثر الواضح في تربية النفس،

(١) سورة النور، آية ٣١.

وقهرها عن الكِبْر والعظمة، وسائر الأمراض النفسية والعياذ بالله تعالى.

٢ ـ هذا اللباس البسيط الذي يلبسه الحاج فيه إشارة إلى المساواة بين المسلمين، وفيه دلالة على أن الإنسان خرج من زخارف الدنيا، وزينتها، وتوجّه بقلب مخلص إلى ربّه وخالقه يناجيه بهذا اللباس الذي يستوي فيه الأغنياء والفقراء.

وبهذا يكون الحاجّ قد نزع عن نفسه مظاهر الفخار، وجرّدها من كل ما يملك من الدنيا إلا من هذا اللباس البسيط. وفي هذا ترويض للنفس، وتربية لها على عدم التعلق بالدنيا، والتنافس فيها، وإنما ينبغي له أن يأخذ منها ما يبلغه إلى الدار الآخرة.

استمع إلى الحديث الذي رواه «ابن عمر» رضي الله عنهما: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك» اهـ. رواه البخاري.

وعن «أبي سعيد الخدريّ» رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إنّ الدنيا حلوة خضرة، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء» اهـ. رواه مسلم. (والله أعلم).

س ٤: إن استلام الحجر الأسود شعيرة من شعائر الطواف ببيت الله الحرام.

فما هي حكمة التشريع الإسلاميّ من ذلك، وما أثر ذلك في تربية المسلم؟

جـ ٤: الحجر الأسود يعتبر من الأشياء التي اختصّ الله بها البيت الحرام على سائر الأمكنة.

وقد روي أن نبيّ الله إبراهيم عليه السلام لما انتهى في بناء البيت الحرام إلى مكان الحجر الأسود قال لولده «إسماعيل» عليه السلام: ائتني بحجر أجعله علامة لابتداء الطواف، فخرج فجاء بحجر، فقال: ائتني بغيره، فأتاه

بحجر آخر، فقال: ائتني بغيره، فأتاه بثالث، فألقاه وقال: جاءني بحجر من أغناني عن حجرك، وكان هو الحجر الأسود.

ولعلّ مما يؤيد هذه الرواية ما رواه «ابن عباس» رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «نزل الحجر الأسود من الجنّة وهو أشدّ بياضاً من اللّبن فسوّدته خطايا بني آدم» اهـ. رواه الترمذيّ وحسّنه.

وقد ورد في الخبر الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الحجر الأسود أثناء الطواف.

يرشد إلى ذلك ما روي عن «عمر بن الخطّاب» رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله وقال: إنّي أعلم أنك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك» اهـ. رواه الترمذي وحسّنه.

إذًا فتقبيل الحجر الأسود يعتبر من أنواع التربية الإسلامية، إذْ فيه ترويض للنفس على طاعة الله تعالى، وإلزام لها على تنفيذ أوامر الله تعالى. (والله أعلم).

آداب الاستئذان

س ١ : لقد جاءت الآيات القرآنية، والأحاديث النبويّة منظمة كيفية الاستئذان.

نرجو من فضيلتكم بيان ذلك.

جـ ١ : من يقرأ تعاليم الإسلام يجدها تقضي باستحباب الاستئذان حالة الدخول على الزوجة، والأمهات، وسائر المحارم، كي لا تقع عين الإنسان على واحدة من محارمه وهي عريانة، أو على حالة لا يحبّ هو أن يراها عليها.

وفي هذا المعنى يقول « ابن مسعود » رضي الله عنه: « عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم » اهـ.

وقال « طاووس »: « ما من امرأة أكره إليّ أن أرى عورتها من ذات محرم » اهـ.

كما أن الآداب الشرعية تستحبّ أن يُعلم الرجل زوجته بدخوله عليها حتى لا يراها على حالة قد تسبب له كراهيتها.

وفي هذا المعنى تقول « زينب » امرأة « عبدالله بن مسعود » رضي الله عنهما: « كان ابن مسعود إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح كراهة أن يهجم على أمر يكرهه منا » اهـ.

وقال «الإمام أحمد بن حنبل» رحمه الله تعالى: «إذا دخل الرجل بيته استحبّ له أن ينحنح أو يحرّك نعليه» اهـ.

يؤيد كل هذه المعاني الحديث الذي رواه الهادي البشير ﷺ والذي نهى فيه «أن يطرق الرجل أهله ليلاً طُرُوقاً».

كما أمر الله تعالى المؤمنين أن يستأذن عليهم خدمهم، وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم في ثلاثة أوقات وهنّ:

الأول: من قبل صلاة الفجر، لأن الناس إذ ذاك يكونون نياماً في فرشهم.

الثاني: وقت القيلولة حين يخلعون ثيابهم للتخفّف منها.

الثالث: بعد صلاة العشاء، أي حين يأوون إلى فرشهم للنوم ففي هذه الأوقات الثلاثة تقضي تعاليم الإسلام بأن يستأذن الأطفال المميزون، والذين هم دون البلوغ وكذا الخدم، وذلك خشية الاطلاع على العورات.

أمّا في غير هذه الأوقات فلهم الدخول بدون استئذان، لأنهم من طبيعة أعمالهم أنهم طوّافون على أهل البيت دخولاً وخروجاً وفي هذه المعاني يقول الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم**﴾[1].

ومما ينبغي أن يعرف أن الطفل الذي يؤمر شرعاً بالاستئذان هو الطفل المميز الذي يدرك الأمور، ويعرف العورات، وتعْلَقُ الأفعال بذهنه، ويمكنه أن يحكيها ويُعبِّر عنها، أمّا الطفل الذي لم يصل إلى هذا الحدّ من الفهم،

---

(١) سورة النور، آية ٥٨.

والإدراك، فإنه غير مطلوب منه الاستئذان في أيّ وقت من الأوقات إذ لا خوف منه في إفشاء سرّ من الأسرار، أو الحديث عن عورة من العورات، ومن هنا تتجلى حكمة الشارع عندما شرع آداب الاستئذان.

إنها الآداب الإسلامية التي لا يرقى إليها أي مجتمع من المجتمعات. والمراد بالخادم الذي سبق ذكره: الخادم المملوك، لأنه يعامل معاملة المحرم.

أمّا خدم اليوم فهم جميعاً أجانب عن أهل البيت بكل ما في هذه الكلمة من معنى.

والتساهل معهم يوقع في كثير من الأمور التي حرمها «منهج الإسلام». ومما ينبغي لفت النظر إليه أن الطفل إذا بلغ «الحلم» فعليه الاستئذان في جميع الأحوال. يشير إلى ذلك قول الله تعالى:

﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾[1].

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن جميع الأقارب مثل: الأب ـ والأم ـ والأخ ـ والأخت ـ والعمة ـ والخالة... الخ كل هؤلاء يجب أن يستأذن بعضهم على بعض. هذا وبالله التوفيق. (والله أعلم).

(١) سورة النور، آية ٥٩.

أداء الزكاة في تعاليم الإسلام

س ١ : الزكاة أحد أركان الإسلام، وإخراجها دليل واضح على صدق الإيمان، وفيها الأجر العظيم والثواب الجزيل، نودّ من فضيلتكم أن تلقي الضوء على هذا الركن الهام.

جـ ١ : من يقرأ تعاليم الإسلام يمكنه أن يحكم وهو مطمئن بأن الزكاة من أركان الإسلام، والمسلم الذي يخرج زكاة ماله يعتبر صادق الإيمان، يوضح ذلك الحديث الآتي:

فعن « ابن عمر » رضي الله عنهما قال: « سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« من كان يؤمن بالله ورسوله فليؤدّ زكاة ماله، ومن كان يؤمن بالله ورسوله فليقل حقّاً أو ليسكت، ومن كان يؤمن بالله ورسوله فليكرم ضيفه » اهـ. رواه الطبراني في الكبير.

ومن يقرأ السنة المطهرة ينشرح صدره بالأحاديث التي تدلّ على فضل أداء الزكاة:

فعن « أبي هريرة، وأبي سعيد الخدريّ » رضي الله عنهما قالا: خطبنا رسول الله ﷺ فقال:

« والذي نفسي بيده ثلاث مرات، ثم أكبّ، فأكبّ كل رجل منّا يبكي لا يدري على ماذا حلف، ثم رفع رأسه وفي وجهه البشرى فكانت أحبّ إلينا

من حُمُر النعَم فقال: ما من عبد يصلي الصلوات الخمس، ويصوم رمضان، ويخرج الزكاة، ويجتنب الكبائر السبع إلاّ فتحت له أبواب الجنة وقيل له:

« ادخل بسلام » اهـ. رواه النسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة.

ويؤيد هذا الحديث في المعنى الحديث التالي:

فعن « الدرداء » رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « خمس من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن، وركوعهن، وسجودهن، ومواقيتهن، وصام رمضان، وحجّ البيت إن استطاع إليه سبيلاً، وأعطى الزكاة طيبة بها نفسه » اهـ.(١)

ولعظم فضل الزكاة فقد تكفّل النبي ﷺ لكل من أدّى زكاة ماله بالجنة، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن « أبي هريرة » رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لمن حوله من أمته: « اكفُلوا لي بستّ أكفل لكم بالجنة، قلت: ما هي يا رسول الله؟ قال: الصلاة، والزكاة، والأمانة، والفرج، والبطن، واللسان » اهـ(٢).

ومن نعم الله تعالى على عباده أن جعل في أداء الزكاة خاصيّة لا توجد في غيرها من العبادات، إذ بالزكاة يحفظ الله تعالى المال من التلف، أو الضياع، يرشد إلى ذلك الحديث التالي:

فعن « الحسن بن علي » رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرّع » اهـ(٣).

كما أخبر الهادي البشير ﷺ بأن من أدّى زكاة ماله ذاق حلاوة الإيمان،

---

(١) رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٩٠.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٩٢.

(٣) رواه أبو داود، والطبراني، والبيهقي، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٩٤.

يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «عبدالله بن معاوية الغاضريّ» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان: من عبدالله وحده، وعلم أن لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه، رافدةً عليه كل عام، ولم يعط الهرمة، ولا الدّرنة ـ أي الجرباء ـ ولا المريضة، ولا الشّرَط اللئيمة، ولكن من وسط أموالكم، فإن الله لم يسألكم خيره، ولم يأمركم بشرّه»[1].

كما أخبر الهادي البشير ﷺ بأن من يؤدي زكاة ماله كان من أولياء الله تعالى، وسيكون يوم القيامة في جنة أبوابها من الذهب، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «عبيد بن عمير الليثي» رضي الله عنه، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع:

«إن أولياء الله المصلون، ومن يقيم الصلوات الخمس، التي كتبهن الله عليه، ويصوم رمضان، ويحتسب صومه، ويؤتي الزكاة محتسباً طيبة بها نفسه، ويجتنب الكبائر التي نهى الله عنها، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله وكم الكبائر؟ قال: تسع، أعظمهن الإشراك بالله، وقتل المؤمن بغير حق، والفرار من الزحف، وقذف المحصنة، والسحر، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وعقوق الوالدين، واستحلال البيت العتيق الحرام، قبلتكم أحياء وأمواتاً، لا يموت رجل لم يعمل هؤلاء الكبائر، ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، إلا رافق «محمداً» ﷺ في بُحْبوحة أبوابها مصاريع الذهب» اهـ.[2] (والله أعلم).

---

(١) رواه أبو داود، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٩٩.

(٢) رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقات، أنظر الترغيب جـ١ ص٧٠١.

إطعام الطعام

س ١ : إطعام الطعام من الصفات الحميدة، وقد حثّ عليه الهادي البشير ﷺ، وأخبر بأن إطعام الطعام فيه الأجر العظيم.

نحب من فضيلتكم إلقاء الضوء على هذا الموضوع الجليل.

جـ ١ : مما يعلمه كل مسلم أن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الإنسان من العدم، وهو الذي رزقه وأعطاه المال بعد أن كان لا يملك شيئاً، فالسعيد من اعترف بنعم الله عليه، وعمل بتعاليم الإسلام، وعطف على الفقراء، والأرامل، والأيتام.

فالذي منح المال وهو الله تعالى قادر على سلبه وإعطائه إلى الغير يوضح ذلك قوله تعالى: **﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾**[1].

من هذا المنطلق أتمنى من كل مسلم أن يكون باراً بإخوانه المسلمين ففي ذلك الفوز بسعادة الدنيا والآخرة.

قال تعالى: **﴿فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فكّ رقبة**

---

(١) سورة آل عمران، آية ٢٦.

★ أو إطعام في يوم ذي مسغبة ★ يتيماً ذا مقربة ★ أو مسكيناً ذا متربة ﴾[1].

وقال تعالى في شأن أناس بخلوا بإطعام الطعام، والعطف على عباد الله تعالى: ﴿ كلّا بل لا تكرمون اليتيم ★ ولا تحاضون على طعام المسكين ﴾[2]. ومن يقرأ تعاليم الهادي البشير ﷺ يجدها حافلة بالأحاديث التي تحث على إطعام الطعام وتبين فضله:

فعن «عبدالله بن عمرو بن العاص» رضي الله عنهما أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ: أيّ الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف[3]. وقد أخبر النبي ﷺ بأن من أسباب دخول الجنة إطعام الطعام، يدل على ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله: إنّي إذا رأيتك طابت نفسي، وقرّت عيني، أنبئني عن كل شيء؟ قال: كل شيء خلق من الماء[4] قلت أخبرني بشيء إذا عملته دخلت الجنة؟ قال: «أطعم الطعام، وأفش السلام، وصل الأرحام، وصلّ بالليل والناس نيام، تدخل الجنة بسلام» اهـ[5].

كما أخبر البشير النذير ﷺ بأن في الجنة قصورًا مرتفعة تجري من تحتها الأنهار أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، يرشد إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «عبدالله بن عمرو» رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فقال «أبو مالك الأشعري»: لمن هي يا رسول الله؟ قال: هي لمن أطاب الكلام، وأطعم

---

(١) سورة البلد، الآيات ١١ ـ ١٦.
(٢) سورة الفجر، الآيتان ١٧ ـ ١٨.
(٣) رواه الشيخان، والنسائي، أنظر الترغيب جـ٢ ص٨٩.
(٤) قال تعالى: ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾ سورة النور، آية ٤٥.
(٥) رواه أحمد، وابن حبان، أنظر الترغيب جـ٢ ص٩٠.

الطعام، وبات قائماً والناس نيام»[1].

ومن تعاليم الإسلام أنه جعل من الأمور التي تكفر الذنوب وتمحوها إطعام الطعام:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الكفارات: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام» اهـ[2].

كما أن من موجبات الرحمة التي تتنزل من الله تعالى: إطعام الطعام:

فعن «جابر» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من موجبات الرحمة إطعام المسلم المسكين» اهـ[3].

ومن سماحة الدين الإسلامي أن تعاليمه تقضي بأن إطعام الطعام يباعد الإنسان من النار، ويكون سبباً في أن يطعمه الله من الجنة:

فعن «عبدالله بن عمرو» رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من أطعم أخاه حتى يُشْبعه، وسقاه من الماء حتى يُرْويَه، باعده الله من النار سبع خنادق، ما بين كل خَنْدقين مسيرة خمسمائة عام» اهـ[4].

وعن «أبي سعيد الخدري» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أيما مؤمنٍ أطعم مؤمناً على جُوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيما مؤمنٍ سقى مؤمناً على ظمإ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيما مؤمنٍ كسا مؤمناً على عري كساه الله يومَ القيامة من حلل الجنة» اهـ[5].

هذا وبالله التوفيق. (والله أعلم).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن، أنظر الترغيب جـ٢ ص٩١.
(٢) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد، أنظر الترغيب جـ٢ ص٩٢.
(٣) رواه الحاكم وصححه، أنظر الترغيب جـ٢ ص٩٣.
(٤) رواه الطبراني في الكبير، أنظر الترغيب جـ٢ ص٩٦.
(٥) رواه الترمذي، وابو داود، أنظر الترغيب جـ٢ ص٩٧.

إلقاء الضوء على حكمة التشريع الإسلامي
في نزول القرآن الكريم منجماً

س ١ : في بداية الحديث عن هذا الموضوع الهام نحبّ أن تحدثنا أوّلاً عن المراحل التي مرّ بها نزول القرآن الكريم منجّمًا حتى وصل إلى النبيّ عليه الصلاة والسلام.

جـ ١ : قبل الإجابة على هذا السؤال الهام أحبّ أن أتحدّث أولاً عن ثلاثة أمور هامّة لها صلة وثيقة بهذا الموضوع:

أولاً : تعريف القرآن الكريم :

القرآن في اللغة : مصدر مرادف للقراءة، ومنه قول الله تعالى : ﴿**إنّ علينا جمعه وقرآنه ★ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه**﴾[1] أي قراءته. وفي الاصطلاح : هو كلام الله تعالى المنزّلُ على نبينا «محمد» ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقولُ إلينا نقلاً متواتراً، المتعبّد بتلاوته، المتحدّي بأقصر سورة منه. فخرج بقولنا : المنزل على نبينا «محمد» ﷺ سائر الكتب السماوية.

وبقولنا : المكتوب في المصاحف، الأحاديث القدسية، والنبويّة.

وبقولنا : المنقول إلينا نقلاً متواتراً الخ القراءات الشاذة.

ثانياً : الأدلة على نزول القرآن :

---

(١) سورة القيامة، الآيتان ١٧ ـ ١٨.

ثبت نزول القرآن بكل من الكتاب، والسنّة، والإجماع، فمن الكتاب: قول الله تعالى في أول سورة آل عمران: ﴿الم ★ الله لا إله إلا هو الحيّ القيوم ★ نزل عليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديه﴾ وقوله في سورة الإسراء: ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾[1]. وقوله في أول سورة الكهف: ﴿الحمدلله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ★ قيّماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً﴾.

★ ومن السنة المطهرة: قول الهادي البشير ﷺ: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف» اهـ.

★ أمّا الإجماع: فقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك إجماع المسلمين منذ نزول القرآن إلى عصرنا الحاضر بلْ إلى أن يرث الله الأرض وما عليها أن القرآن الكريم كتاب الله تعالى المنزل على نبينا «محمد» ﷺ.

ثالثاً: معنى نزول القرآن منجّماً: النزول في اللغة يطلق على ما يأتي:

أ ـ الحلول في مكان، نحو قولهم: نزل فلان المدينة: أيْ حلّ فيها ومنه قوله تعالى: ﴿وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين﴾[2].

ب ـ انحدار الشيء من علوّ إلى أسفل، ومنه قوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهورا﴾[3].

ومما لا شك فيه أن كلا المعنيين لا يليق بنزول القرآن من الله تعالى، وذلك لما يلزم هذين المعنيين من المكانية والجسميّة.

والقرآن ليس جسْماً حتى يحُلّ في مكان، أو ينحدر من علوّ إلى أسفل.

---

(١) آية ١٠٥.

(٢) سورة المؤمنون، آية ٢٩.

(٣) سورة الفرقان، آية ٤٨.

لأن الكلام ما هو إلاّ أعراض سيّالة تنقضي بمجرد النطق بها. إذاً فمعنى إنزال القرآن: هو الإعلام بواسطة ما يدلّ عليه: من النقوش بالنسبة لإنزاله في اللوح المحفوظ، وفي بيت العزّة في السماء الدنيا. أو بواسطة ما يدلّ عليه من الألفاظ الحقيقية بالنسبة لإنزاله على قلب النبي ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام. ثم إن تفسير الإنزال بالإعلام هو الأوفق بالمقام، لأن المقصود من ثبوت القرآن في اللوح المحفوظ، وفي بيت العزّة، وفي قلب النبي ﷺ هو إعلام الخلق بهذا الكتاب المقدّس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

★ بعد ذلك أنتقل إلى الحديث عن: تنزّلات القرآن فأقول: من ينعم النظر في الآيات القرآنية يمكنه أن يستنبط من ذلك أن تنزلات القرآن مرت بمرحلتين:

★ المرحلة الأولى: نزوله دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزّة في سماء الدنيا، قال الله تعالى: ﴿بل هو قرآن مجيد ★ في لوح محفوظ﴾[1]. هاتان الآيتان تفيدان أنّ القرآن كان موجوداً في اللوح المحفوظ وفقاً لكيفية مخصوصة لا يعلمها إلا الله تعالى.

وليس لنا أن نسأل عن تلك الكيفية، ولا عن مبدإ وجودها. فما علينا إلاّ أن نؤمن بذلك ونصدّقه، وهذا من جملة الإيمان بالغيب الذي لا يؤمن به إلا المتقون. فعن «ابن عباس» رضي الله عنهما قال:

«خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام، ثم قال الله تعالى للقلم قبل أن يخلق الخلق: اكتب علمي في خلقي، فجرى ما هو كائن إلى يوم القيامة» اهـ.

وكان نزول القرآن من اللوح المحفوظ إلى بيت العزّة في شهر رمضان في ليلة القدر، الموصوفة بأنها ليلة مباركة، يؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿شهر

(١) سورة البروج، الآيتان ٢١ ـ ٢٢.

رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾[3].

فهذه الآيات الثلاث مجتمعة تفيد أن القرآن أنزل دفعة واحدة في شهر رمضان في ليلة القدر الموصوفة بأنها ليلة مباركة. وهذا هو أصحّ الأقوال وأرجحها: فعن «ابن عباس» رضي الله عنهما قال:

«أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى سماء الدنيا جملة واحدة ثم أنزل نجوما» اهـ.

إلى غير ذلك من الأحاديث، وهي وإن كانت موقوفة على «ابن عباس» إلاّ أنها صحيحة، ولها حكم الأحاديث المرفوعة، ويصح الاحتجاج بها.

★ المرحلة الثانية: نزول القرآن منجماً على الهادي البشير ﷺ في ثلاث وعشرين سنة خلال مدّة بعثته ﷺ موزّعاً على الحوادث. والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزّلناه تنزيلا﴾[5].

فهاتان الآيتان تدلان دلالة واضحة على أن القرآن لم ينزل على النبي ﷺ دفعة واحدة، وإنما نزل منجمًا حسب الوقائع، والأحداث. والله أعلم.

س ٢: نحبّ إلقاء الضوء على حكمة التشريع الإسلاميّ في نزول القرآن منجّمًا من أجل تربية الأمة الإسلامية.

جـ ٢: لعلّ من الحكم التي تستفاد من نزول القرآن منجّمًا من أجل تربية

(١) سورة البقرة، آية ١٨٥.
(٢) سورة القدر، آية ١.
(٣) سورة الدخان، آية ٣.
(٤) سورة الفرقان، آية ٣٢.
(٥) سورة الإسراء، آية ١٠٦.

الأمة الإسلامية التي لم تزل ناشئة، الأمور السبعة الآتية:

الأمر الأول: تيسير حفظ القرآن الكريم، لأن ظروف المسلمين كانت لا تمكنهم من ذلك لو نزل جملة واحدة.

الأمر الثاني: التدرّج بالأمّة في فهم القرآن، ونزوله منجما يسهّل عليهم ذلك حيث يتمكنون من استيعابه.

الأمر الثالث: التدرّج بهم في تكليفهم بالواجبات مثل: الصلاة، والصيام، والزكاة، والجهاد، وغير ذلك.

الأمر الرابع: التدرّج بهم في تطهيرهم من العقائد الباطلة مثل: الشرك بالله، وجحود البعث، وإنكار أن يكون لله تعالى رسول من البشر.

الأمر الخامس: التدرّج بهم في تطهيرهم من العادات القبيحة التي توارثوها، ودرجوا عليها، وتأصلت في نفوسهم، حيث كان من المتعذر عليهم تركها مرّة واحدة، وذلك مثل: شرب الخمر، وأكل الربا، ونحو ذلك.

الأمر السادس: التدرّج بهم في تكميلهم بالعادات الحميدة، والفضائل الكريمة، مثل: الصفح، والحلم، والإيثار، ورعاية حقوق الجار، إلى غير ذلك، ولهذا نجد القرآن قد بدأ بفطامهم عن الشرك، وأحيا قلوبهم بعقيدة التوحيد والجزاء يوم القيامة، ثم نجد القرآن قد انتقل بهم بعد هذه المرحلة إلى العبادات فبدأهم بفريضة الصلاة قبل الهجرة النبوية.ثُمّ ثنّى بالزكاة، والصوم في السنة الثانية من الهجرة، وختم بالحج في السنة السادسة من الهجرة. وكذلك كان شأنه في سائر العبادات.

وهكذا كان القرآن في انتهاج هذا التدرج أهدى سبيلاً وأنجح تشريعاً.

الأمر السابع: تثبيت قلوب المؤمنين، وتسليحهم بعزيمة الصبر واليقين بسبب ما وعد الله به عباده الصالحين من النصر، والتأييد، والتمكين، كما في قوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في

الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾[1]. والله أعلم.

س ٣: في نزول القرآن مفرقاً عبر هذه السنوات الطوال، ثم مجيئه على هذا النحو من حبْك النظم، وقوّة العبارة التي أعجزت الفصحاء، والبلغاء، ما يدعو إلى أن نقف عند هذا الوجه من الترتيب، وقوّة العبارة، ولنعرف من فضيلتكم ما في ذلك من ألوان الإعجاز القرآني.

جـ ٣: مما لا ريب فيه أننا عندما نقرأ القرآن الكريم بتدبّر، وإنعام فكر نجده من أوله إلى آخره محكم السَّرْد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قويّ الاتصال، آخذ بعضه برقاب بعض في آياته وسوره، ولا يكاد يوجد بين أجزائه وكلماته تفكّك، ولا تخاذل، كأنه حلقة مفرغة، أو كأنه عقد فريد يأخذ بالأبصار، نظّمت حروفه وكلماته، ونسّقت جملة وآياته، وهنا يتجلّى لنا سرّ من أسرار إعجازه ونقرأ دليلاً ساطعاً على أن القرآن من كلام رب العالمين، وصدق الله حيث قال: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا﴾[2] وإلّا فحدّثني بربك كيف يستطيع الخلق جميعًا أن يأتوا بكتاب محكم الاتصال والترابط، متآلف البدايات والنهايات، مع تراخي زمان التأليف أكثر من عشرين عامًا؟ لا ريب أن هذا الانفصال الزماني يستلزم في مجرى العادة التفكّك والانحلال.

أمّا القرآن الكريم فقد خرق العادة وجاء مترابطًا محكمًا، أليس ذلك برهانًا ساطعًا على أنه كلام ربّ العالمين؟ وصدق الله حيث قال: ﴿قل أنزله الذي يعلم السرّ في السموات والأرض إنه كان غفورًا رحيمًا﴾[3].

والله أعلم.

---

(١) سورة النور، آية ٥٥.

(٢) سورة النساء، آية ٨٢.

(٣) سورة الفرقان، آية ٦.

الالتفات أثناء الصلاة

السؤال الوارد على هذا الموضوع والإجابة عليه:

س ١ : بعض المصلين يلتفت أثناء الصلاة، ولعله لا يعرف حكم ذلك في الشريعة الإسلامية، نحبّ بيان ذلك.

جـ ١ : ثبت أن النبي ﷺ قال:

« إن أوّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح ونجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر » اهـ. رواه الترمذي، وغيره.

لذلك فقد كان من الأمور التي تكون سبباً في عدم قبول الصلاة: « الالتفات أثناء الصلاة » يوضح ذلك الحديث الآتي: فعن « أبي الدرداء » رضي الله عنه قال:

« سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من توضأ فأحسن الوضوء، ثم صلّى ركعتين فدعا ربّه إلاّ كانت دعوته مستجابة: معجّلة، أو مؤخرة، إياكم والالتفات في الصلاة فإنه لا صلاة لملتفت، فإن غُلبتم في التطوّع فلا تغلبوا في الفريضة » اهـ. رواه الطبراني في الكبير.

وقد حذر النبي ﷺ من الالتفات في الصلاة وما ذاك إلا لقبح هذا العمل وعدم جوازه، يشير إلى ذلك الحديث التالي فعن « أبي هريرة » رضي الله عنه

أن النبي ﷺ قال: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فليُقبل عليها، حتى يفرُغ منها، وإياكم والالتفات في الصلاة فإن أحدكم يناجي ربه ما دام في الصلاة» اهـ[1].

وعن «جابر» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قام الرجل في الصلاة أقبل الله عليه بوجهه فإذا التفت قال: «يا بن آدم إلى من تلتفت؟ إلى من هو خير منّي، أقبل إليّ، فإذا التفت الثانية قال مثل ذلك، فإذا التفت الثالثة صرف الله تبارك وتعالى وجهه عنه» اهـ[2].

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه قال:

أوصاني خليلي ﷺ بثلاث، ونهاني عن ثلاث. نهاني عن نقْرة كنقْرة الديك. والمراد بذلك تركُ الطمأنينة في الصلاة، كما نهاني عن إقعاء كإقعاء الكلب[3] والتفات كالتفات الثعلب» اهـ[4].

وعن «عائشة» أم المؤمنين رضي الله عنها قالت:

«سألت رسول الله ﷺ عن التلفت في الصلاة فقال: «اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد» اهـ[5].

والصلاة الصحيحة التي يقبلها الله تعالى هي التي وصفها النبي ﷺ في الحديث التالي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رجلًا دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد فصلى ثم جاء فسلّم عليه، فقال له رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط، أنظر الترغيب جـ١ ص٤٦٥.
(٢) رواه البزار، أنظر الترغيب جـ١ ص٤٦٢.
(٣) الإقعاء: هو أن يلزق الرجل إليتيه بالأرض، وينصب ساقيه، ويضع يديه بالأرض كما يقعي الكلب.
(٤) رواه أحمد، وأبو يعلى، أنظر الترغيب جـ١ ص٤٦١.
(٥) رواه البخاري، والنسائي، أنظر الترغيب جـ١ ص٤٦٠.

وعليك السلام ارجع فصلّ فإنك لم تصلّ، فصلّى ثم جاء فسلّم، فقال: وعليك السلام ارجع فصلّ فإنك لم تصلّ، فصلّى ثم جاء: فسلّم، فقال: وعليك السلام ارجع فصلّ فإنك لم تصلّ، فقال: علمني يا رسول الله، فقال: «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبّر، ثم اقرأ ما تيسّر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تستوي قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها» اهـ[1].

هذا وبالله التوفيق. والله أعلم.

---

(١) رواه الشيخان، أنظر الترغيب جـ١ ص٤٣٩.

الإنفاق في وجوه الخير

السؤال الوارد على هذا الموضوع والإجابة عليه:

س ١: تعاليم الإسلام تقضي بأن الله تعالى سيخلف على كل من أنفق ابتغاء وجهه الكريم، يوضح ذلك قول الله تعالى:

﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبّة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾[١].

نحب من فضيلتكم أن تحدّثنا عن فضل الإنفاق في وجوه الخير.

جـ ١: إذا ما تتبعنا مادة «رزق» في القرآن سنجدها وردت في عشرات المواضع، وقد وردت بصيغ الماضي، والمضارع، والدعاء.

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وأنه يرزق من يشاء بغير حساب.

ومن يقرأ تعاليم الإسلام يجدها وردت بالحث على الإنفاق، وحذّرت من الشحّ والإمساك، يوضح ذلك الأحاديث الآتية: فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: يا عبدي أنفق أُنفق عليك، وقال: يد الله ملأى لا يَغيضها نفقة، سحّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٦١.

خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما بيده، وكان عرشه على الماء، وبيده الميزان يخفض ويرفع » اهـ. رواه البخاري، ومسلم.

وكان ﷺ يكره وجود المال عنده، ولا يقرّ له قرار حتى ينفقه، يوضح ذلك الحديثان الآتيان:

فعن « عبد الله بن عباس » رضي الله عنهما قال: قال لي « أبو ذرّ »: يا ابن أخي كنت مع رسول الله ﷺ آخذ بيده، فقال لي: « يا أبا ذرّ ما أحبُّ أنّ لي أحدًا ذهبًا وفضة، أنفقه في سبيل الله، أموت يوم أموت أدع منه قيراطًا، قلت: يا رسول الله: قنطارًا، قال: يا أبا ذرّ: أذهبُ إلى الأقل وتذهبُ إلى الأكثر، أريد الآخرة، وتريد الدنيا، قيراطًا، وأعادها عليّ ثلاث مرّات » اهـ[1].

وعن « سمُرة بن جُندَب » رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: « إني لألج هذه الغرفة، ما ألجها إلا خشية أن يكون فيها مال فأتوفّى ولم أنفقه » اهـ[2].

كما كان ﷺ يأمر صحابته بالإنفاق ويحثهم عليه: فعن « بلال » رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: « يا بلال مُتْ فقيرًا، ولا تمت غنيًا، قلت: وكيف لي بذلك؟ قال: ما رزقت فلا تخبأ، وما سئلت فلا تمنع، فقلت: يا رسول الله وكيف لي بذلك؟ قال: هو ذاك أو النار » اهـ[3].

وكان صحابة رسول الله ﷺ يتألمون إذا تكدس المال عندهم، ولا يستريحون إلا بعد انفاقه، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن « طلحة بن يحي » عن جدّته « سُعْدَى » قالت: دخلت يومًا على « طلحة » تعني: ابن عُبَيْد الله، فرأيت ثقلا، فقلت له ما لك لعله رابك منّا

(١) رواه البزار بإسناد حسن، أنظر الترغيب جـ٢ ص٨٠.
(٢) رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن، أنظر الترغيب جـ٢ ص٧٩.
(٣) رواه الطبراني في الكبير والحاكم وقال صحيح، أنظر الترغيب جـ٢ ص٧٢.

شيء فنُعْتِبَك؟ قال: لا، ولنعم حليلةُ المرء المسلم أنت، ولكن اجتمع عندي مال، ولا أدري كيف أصنع به، قالت: وما يغمُّك منه، ادع قومك فاقسمه بينهم، فقال: يا غلام: عليّ بقومي، فسألت الخازن كم قسم؟ قال: أربعمائة ألف» اهـ[١].

وقد أخبر الهادي البشير ﷺ بأن من أمسك ماله مخافة الفقر على أولاده، أنزل الله بهم الفقر، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «ابن مسعود» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نشر الله عبدين من عباده[٢] أكثر لهما من المال والولد، فقال لأحدهما: أيْ فلان ابن فلان؟ قال: لبيك ربّ وسعديك، قال: أكثر لك من المال والولد، قال: بلى أي ربّ، قال: وكيف صنعت فيما آتيتك؟

قال: تركته لولدي مخافة العيْلة[٣]. قال: أما إنك لو تعلم العلمَ لضحكت قليلًا، ولبكيت كثيرًا، أما إن الذي تخوّفت عليهم قد أنزلتُ بهم.

ويقول للآخر: أيْ فلان ابن فلان، فيقول: لبيك أي ربّ وسعديك؟ قال له: ألم أكثر لك من المال والولد؟ قال: بلى أي ربّ، قال: فكيف صنعت فيما آتيتك؟ فقال: أنفقت في طاعتك، ووثقت لولدي من بعدي بحسن طَوْلك[٤] قال: أما إنك لو تعلم العلم لضحكت كثيرًا ولبكيت قليلا، أما إنّ الذي قد وثقت به أنزلتُ بهم» اهـ[٥]. والله أعلم.

---

(١) رواه الطبراني بإسناد حسن، أنظر الترغيب جـ ٢ ص٧٤.
(٢) أي أحياهما.
(٣) العَيْلة: أي الفقر، والحاجة.
(٤) طوْلك: أي إنعامك، وفضلك.
(٥) رواه الطبراني في الكبير والأوسط، أنظر الترغيب جـ ٢ ص٧٥.

أهمية حسن الخُلُق، وبيان مكانته في الشريعة الإسلامية

الحمد لله الذي جعل حسن الخلق من الصفات الحسنة الكريمة، ولعظم شأن حسن الخلق في تعاليم الإسلام نجد أن الله سبحانه وتعالى أثنى على نبيه وحبيبه ﷺ وبحسن الخلق، فقال عزّ من قائل: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[1] وبعد: فهذا مجموعة من الاسئلة والإجابة عليها عن موضوع هام وهو: «أهميّة حسن الخلق، وبيان مكانته في الشريعة الإسلامية»:

س ١: حسن الخلق له منزلة جليلة، ومكانة سامية رفيعة في «منهج الإسلام».

لذا نجد نبينا «محمدًا» ﷺ يحث على «حسن الخلق» نحب أن تذكر قبسا من الأحاديث الواردة في هذا الشأن، ثم تلقي الضوء عليها.

جـ ١: الإنسان كما يُقال: مدنيّ بطبعه، ومعنى ذلك أن كل إنسان في شئون حياته لا يستغني عن الآخرين، وهذه سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا وإذا كان الإنسان يحبّ أن يحيا حياة كريمة فعليه أن يُحْسن معاملته، وعلاقته مع الآخرين، وبخاصة مع أبنائه وأسرته، بحيث يرعاهم الرعاية الشاملة، ويوجههم الوجهة السليمة باللطف واللين، وحسن الكلمة، كي تنشأ بينهم المحبة، والتعاون والإخلاص.

ونبيّ الله «إبراهيم» عليه السلام ضرب لنا أروع الأمثال في حسن الخلق

---

(١) سورة القلم، آية ٤.

عندما دعا أباه إلى عبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأصنام، ولنستمع إلى هذا النداء الرقيق الذي يخرج من قلب أبي الأنبياء مليئًا بالحب والحنان وحسن الخلق إلى أبيه الذي كفر بعبادة الله الواحد الديان، ولقد صور لنا القرآن ذلك النداء في أعذب وأبلغ بيان، فقال تعالى: ﴿**واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقًا نبيًا ★ إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًا ★ يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطًا سويًا ★ يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا ★ ايا أبت إني أخاف أن يمسّك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا**﴾[1].

إنه لمنهج تربويّ كريم، يحتاج إليه ربُّ كلِّ اسرة حينما يؤدّي دوره مع أسرته التي أناطها الله به.

كما يحتاج إليه كلُّ داعية يقوم بتبليغ رسالة الإسلام عملا بقول الله تعالى: ﴿**لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا**﴾[2].

ومن الاحاديث الواردة عن الهادي البشير ﷺ في الحث على «حسن الخلق» ما حدث مع «معاذ بن جبل» رضي الله عنه عندما أراد السفر إلى «اليمن» ليكون قاضيا، ومفتيا.

سأل الصحابيُّ الجليل هادي الامة عليه الصلاة والسلام أن يزوده بخير زاد، فكان في مقدمة الأمور التي أوصاه بها عليه الصلاة والسلام الوصية بعدم الإشراك بالله تعالى، لأن الشرك والعياذ بالله تعالى من أكبر الذنوب، والله تعالى لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، كما صور القرآن المشركين بأبشع صورة، وأقبح حالة، فقال عز من قائل: ﴿**ومن يشرك بالله**

(١) سورة مريم، الآيات ٤١ - ٤٥.

(٢) سورة النساء، آية ١١٤.

فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾[1].

الوصية الثانية التي وجهها الناصح الأمين إلى حبيبه « معاذ بن جبل » رضي الله عنه أنه إذا أخطأ فعليه أن يسارع إلى عمل ما يكفّر هذا الخطأ، وهو أن يتبع السيّئة الحسنة، لأن الحسنات يذهبن السيئات.

الوصية الثالثة: الاستقامة على الحق، وما أصعب ذلك على النفس الأمارة بالسوء، ولكن عباد الرحمن يجدون في الاستقامة مع الله تعالى لذّة وحلاوة لا يعرفها إلّا عباد الله المتقون، ولنستمع إلى قول الله تعالى مخاطبًا حبيبه ونبيه ﷺ: ﴿فاستقِمْ كما أُمرت ومن تاب معك﴾[2].

الوصية الرابعة: حسن الخلق: وكان ذلك مسك الختام، وقد أشار إلى كل هذه الوصايا الحديث التالي:

فعن « عبدالله بن عمرو بن العاص » رضي الله عنهما أن « معاذ بن جبل » رضي الله عنه أراد السفر، فقال: يا نبي الله أوصني، قال: « اعبد الله لا تشرك به شيئًا، قال: يا نبي الله زدني، قال: إذا أسأت فأحسن، قال: يا نبي الله زدني، قال: استقم ولِيَحْسُنْ خُلُقُكَ » اهـ[3].

ولم تكن وصية الهادي البشير ﷺ بحسن الخلق قاصرة على « معاذ بن جبل » بل كانت عامة لجميع المسلمين، إذ العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

كذلك نجد الرسول ﷺ يوصي حبيبه « أبا ذرّ » رضي الله عنه بحسن الخلق، يوضح ذلك الحديث التالي: فعن « أبي ذرّ » رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ:

---

(١) سورة الحج، آية ٣١.

(٢) سورة هود، آية ١١٢.

(٣) رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، أنظر الترغيب جـ٣ ص٦٥٢.

«اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» اهـ[1]. والله أعلم.

س ٢: حبّ النبي ﷺ لأيّ فرد من أفراد المسلمين يعتبر منزلة عظيمة، وكل مسلم عاقل عليه أن يسعى لما يقربه من النبي عليه الصلاة والسلام سواء كان بالقول، أو بالعمل. ومن الأمور التي تكون سببًا في قرب المسلم من الهادي البشير ﷺ «حسن الخلق».

حول هذا المعنى نحب أن يكون حديثنا.

جـ ٢: حب النبي ﷺ من أسمى الدرجات، وأرقى المنازل وعلى كل مسلم عاقل أن يجهد ويعمل جهد طاقته حتى يكون من أحباب الهادي البشير ﷺ حتى يفوز بهذه المنزلة العظيمة التي أخبر عنها الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام ألا وهي القرب من مجلسه عليه الصلاة والسلام يوم القيامة، كما يرشد إلى ذلك الحديثان التاليان:

فعن «عبد الله بن عمرو بن العاص» رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأحبّكم إليّ، وأقربكم منّي مجلسًا يوم القيامة، فأعادها مرتين، أو ثلاثًا، قالوا: نعم يا رسول الله، قال أحسنكم خلقًا» اهـ[2].

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن أحبّكم إليّ أحاسنُكم أخلاقًا، الموَطّأون أكنافًا، الذين يألفون، ويؤلفون، وإنّ أبغضكم اليّ المشاءون بالنميمة، المفرّقون بين الأحبة، الملتمسون للبرآء العيب» اهـ[3].

فمن أراد أن يكون من المحبّبين إلى الهادي البشير ﷺ فعليه بالتحلّي بالصفات التي تضمنها الحديث الشريف وهي:

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، أنظر الترغيب جـ٣ ص٦٥٣.
(٢) رواه أحمد، وابن حبان في صحيحه، أنظر الترغيب جـ٣ ص٦٥٠.
(٣) رواه الطبراني في الصغير والأوسط، أنظر الترغيب جـ٣ ص٦٥٤.

أن يكون حسن الخلق، لين الجانب، لا يتكلم إلا بالكلمة الطيبة التي تطمئن إليها النفس، ولا يكون فظًا غليظ القلب ينفر عنه الناس ويبغضه الجميع، استمع إلى قول الله تعالى في شأن نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًّا غليظ القلب لانْفَضُّوا من حولك فاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورْهم في الأمر فإذا عزمت فتوكلْ على الله إن الله يحبُّ المتوكلينَ﴾[1].

كما يجب أن يكون موطّأ الأكناف، أي هيّنا متواضعا لإخوانه المسلمين، فيعاملهم بالحبّ والمساواة والتكريم، ويسعى دائمًا في قضاء مصالحهم، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، ومن كان في حاجة أخيه المسلم كان الله في حاجته.

فمن «ابن عمر» رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلِمُه، ولا يُسلِمُه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة» اهـ[2].

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من نفّس عن مؤمن كربة من كُرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ـ الحديث»[3].

فمن كان حسن الخلق، وليّن الجانب، ولّين الجانب، فإنه يكون قريبًا من الهادي البشير ﷺ يوم القيامة في جنات النعيم، وذلك لأن أهل الجنة كما وصفهم النبي عليه الصلاة والسلام يكونون في غرف يرى بعضهم بعضًا كما

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

(٢) متفق عليه، أنظر رياض الصالحين ص١٢٦.

(٣) رواه مسلم، أنظر رياض الصالحين ص١٢٦.

نرى الكوكب الدريّ الذاهب في الأفق يدلّ على ذلك الحديث التالي:

فمن «أبي سعيد الخدري» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرّي الغابر في الافق من المشرق والمغرب، لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم، قال: بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله، وصدّقوا المرسلين» اهـ[1]. والله أعلم.

أما عن أوصاف غرف أهل الجنة فيبينها الحديث التالي: فمن «جابر بن عبد الله» رضي الله عنهما قال: قال لنا رسول الله ﷺ ألا انبئكم بغرف الجنة؟ قال قلت: بلى يا رسول الله بأبينا أنت وأمّنا، قال: إن في الجنة غرفًا من أصناف الجوهر كلّه، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فيها من النعيم واللذات، والشرف ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، قال قلت: لمن هذه الغرف؟

قال: لمن أفشى السلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلّى والناس نيام» اهـ[2]. والله أعلم.

س ٣: المسلمون تتفاوت منزلتهم عند الله تعالى، فكلٌّ حسبما يقدّم من إخلاص لله تعالى في عمله.

وقد ثبت في السنة المطهّرة أن خيار الناس أصحاب الاخلاق الحسنة، حول هذه القضية نحبّ أن يكون حديثنا.

جـ ٣: اقتضت إرادة الله تعالى أن خلق الناس وجعلهم متفاوتين فيما بينهم، ومن أعظم تعاليم الإسلام أن جعل الله تعالى أهمّ شيء يقرب الإنسان من خالقه العمل الصالح، وأن أكرم الخلق على الله تعالى التقيُّ النقيُّ الذي لم يُشرك مع الله أحدًا.

---

(١) رواه الشيخان، أنظر الترغيب جـ٤ ص٩٤٦.

(٢) رواه البيهقي، أنظر الترغيب جـ٤ ص٩٤٨.

يرشد إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾[1].

ومن يقرأ السنة المطهرة يجدها حافلةً بالاحاديث التي تحث على «حسن الخلق».

ومما هو ثابت بالأدلة الشرعية أن تفاضل الناس ليس بأنسابهم، ولا بأحسابهم، وإنما هو بالعمل الصالح، مع الأخلاق الفاضلة الكريمة، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أطولكم أعمارًا، وأحسنكم أخلاقًا» اهـ[2].

ففي هذا الحديث الشريف نجد الهادي البشير ﷺ يلفتُ أنظار الصحابة بقوله: «ألا أخبركم بخياركم» فهذا الأسلوب البلاغي الكريم فيه التشويقُ إلى الاستماع لما سيذكر بعد ذلك، وفيه لفت القلوب كي تتعلق بما سيُلقى عليها بعد ذلك، فقال الصحابة رضوان الله عليهم: «بلى» أي أخبرنا يا رسول الله عن خيار الناس.

فلما وجد الهادي البشير ﷺ القلوب، والعقول متجهة ومتشوقة إلى الاستماع قال: «أطولكم أعمارًا وأحسنكم أخلاقًا».

حقًّا: إن طول العمر مع العمل الصالح من النعم الكبرى التي ينعم الله بها على عباده، لأن خير الناس من طال عمره، وحسن عمله، كما ورد بذلك الحديث الصحيح.

---

(١) سورة الحجرات، آية ١٣.

(٢) رواه البزار، وابن حبان في صحيحه، أنظر الترغيب جـ٣ ص٦٥١.

والسعيد من الناس هو الذي يغتنم الحقبة الزمنية التي يعيشها في الدنيا، ويعمل بقول النبي ﷺ في الحديث ما معناه: «اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك، وصحتك قبل مرضك، وغناك قبل فقرك، وشبابك قبل هرمك».

ومن الأحاديث الواردة في بيان حسب الإنسان الحديثان التاليان:

فعن «أبي ذرّ» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له:

«يا أبا ذرّ لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكفّ، ولا حسب كحسن الخلق» اهـ[1].

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كرم المؤمن دينه، ومروءته عقله، وحسبه خلقه» اهـ[2].

فالحديثان الشريفان يدلان على أن «حسن الخلق» هو حسبه الذي عليه أن يهتم به، ويتمثّل دائمًا به.

كما أنّ «حسن الخلق» مع التمسك بتعاليم الاسلام يعتبر من الصفات الجامعة لخصال الخير، يرشد إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «النوّاس بن سمعان» رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن «البرّ، والإثم» فقال: «البرّ حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس» اهـ[3].

ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن «حسن الخلق» لا يكلف الإنسان شططا، بل هو من أيسر الأمور، وأهونها على النفس، إذا ما اتصل الإنسان بالله تعالى، وطرد عن عقله وتفكيره، وساوس الشيطان، يوضح ذلك الحديث التالي:

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، أنظر الترغيب جـ٣ ص٦٤٧.

(٢) رواه ابن حبان، والحاكم، والبيهقي، أنظر الترغيب جـ٣ ص٦٤٦.

(٣) رواه مسلم، والترمذي، أنظر الترغيب جـ٣ ص٦٤١.

فعن «صفوان بن سُكَيْم» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بأيسر العبادة، وأهونها على البدن: الصمت، وحسن الخلق» اهـ[1].
والله أعلم.

وأختم كلامي بالحديث التالي:

فعن «العلاء بن الشِّخِّير» رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي ﷺ من قبل وجهه فقال: يا رسول الله أيّ العمل أفضل؟ قال: «حسن الخلق» ثم أتاه عن يمينه فقال: أيّ العمل أفضل؟ قال: «حسن الخلق» ثم أتاه عن شماله فقال: يا رسول الله أيّ العمل أفضل؟ قال: «حسن الخلق» ثم أتاه من بعده يعني من خلفه فقال: يا رسول الله أيّ العمل أفضل؟ فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال: ما لك لا تفقه، حسن الخلق هو أن لا تغضب إن استطعت» اهـ[2].
والله أعلم.

س ٤ : قال الله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾[3].

وثبت في السنة المطهرة أن «حسن الخلق» من الأعمال التي يثقل بها ميزان الحسنات يوم القيامة. نحب من فضيلتكم إلقاء الضوء على ذلك.

جـ ٤ : مما يجب على كل مسلم أن يؤمن به، ويعتقده اعتقادًا جازمًا، الإيمان بالله واليوم الآخر، وبما فيه من حساب، وثواب، وعقاب، الخ.

والحساب يوم القيامة من أعظم المواقف، ويجب على كل مسلم أن يعمل جهد طاقته لعله ينجو في هذا اليوم الذي يقول الله عنه: **﴿وكلَّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورًا ★ اقرأ**

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت مرسلا، أنظر الترغيب جـ٣ ص٦٤٦.
(٢) رواه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة مرسلا، أنظر الترغيب جـ٣ ص٦٤٧.
(٣) سورة الأنبياء، آية ٤٧.

كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿ووُضِعَ الكتابُ فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربك أحدًا﴾[2].

في هذا اليوم العظيم الذي لا تزول فيه قدم العبد حتى يسأل عن أربعة أمور: «عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به» في هذا اليوم العظيم نجد الهادي البشير ﷺ يخبر بأنه ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق، يدل على ذلك الحديث التالي:

فعن: «أبي الدرداء» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله يبغض الفاحش البذيء» اهـ[3].

كما ثبت عنه ﷺ أنه قال: إن أكثر ما يدخل الناس الجنة حسن الخلق، يرشد إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه قال:

سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: «تقوى الله وحسن الخلق، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: الفم والفرج» اهـ[4].

كما ثبت أن «حسن الخلق» يكون من الأسباب التي يظلل الله سبحانه وتعالى صاحبه في ظل عرشه يوم القيامة، يوضح ذلك الحديث التالي:

---

(١) سورة الاسراء، الآيتان ١٣ ـ ١٤.

(٢) سورة الكهف، آية ٤٩.

(٣) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، أنظر الترغيب جـ٣ ص٦٤٣.

(٤) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب، أنظر الترغيب جـ٣ ص٦٤٣.

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أوحى الله إلى ابراهيم» عليه السلام: يا خليلي حسّنْ خلقك ولو مع الكفّار، تدخل مدخل الابرار، وإن كلمتي سبقت لمن حسَّن خلقه أن أُظلّه تحت عرشي»اهـ[1].

كما أخبر الهادي البشير ﷺ بأن النار لا تمسّ صاحب الخلق الحسن، يدلّ على ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما حسَّن الله خلق رجل وخُلُقَه، فتطعَمُهُ النارُ أبدًا»اهـ[2].

كما أخبر الهادي البشير ﷺ بأن حسن الخلق يكون سببًا في زيادة المال، والأهل، والولد، يرشد إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «رافع بن مَكِيث» رضي الله عنه، وكان ممن شهد الحديبية، أن رسول الله ﷺ قال:

«حسن الخلق نماء[3] وسوء الخلق شؤم، والبرّ زيادة في العمر، والصدقة تدفع ميتة السوء»اهـ[4]. (والله أعلم).

كما أخبر ﷺ بأن من أعظم الذنوب عند الله تعالى سوء الخلق، يدل على ذلك الحديث التالي:

فعن «عائشة» أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «ما من شيء إلا له توبة، إلاّ صاحب سوء الخلق فإنه لا يتوب من ذنب إلاّ عاد في شرٌ منه»اهـ[5].

ونظرًا لشدة قبح سوء الخلق، فإن النبي ﷺ يستعيذ من سوء الخلق،

---

(١) رواه الطبراني، قال العزيزي: قال الشيخ حديث حسن، أنظر الترغيب جـ٣ ص٦٤٩.
(٢) رواه الطبراني في الأوسط، أنظر الترغيب جـ٣ ص٦٥٠.
(٣) أي زيادة وبركة في المال والأهل والولد.
(٤) رواه أحمد، أنظر الترغيب جـ٣ ص٦٥٧.
(٥) رواه الطبراني في الصغير، والأصبهاني، أنظر الترغيب جـ٣ ص٦٥٨.

يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يدعو يقول: اللهم إني أعوذ بك من الشقاق[1] والنفاق، وسوء الاخلاق»اهـ[2]. والله أعلم.

---

(١) أي التخاصم المؤدي إلى أن يصير كل من المتخاصمين في شق أي في جهة متباعدين فيؤدي إلى عدم الألفة.

(٢) رواه أبو داود، والنسائي، أنظر الترغيب جـ٣ ص٦٥٨.

أهميّة دور المسجد في الإسلام

الحمد لله القائل: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله﴾[1] والصلاة والسلام على رسول الله الذي صح عنه قوله: «ابنوا المساجد، وأخرجوا القمامة منها، فمن بنى لله مسجداً بنى الله له بيتا في الجنة، فقال رجل: يا رسول الله وهذه المساجد التي تبنى في الطريق؟

قال: «نعم، وإخراج القمامة منها مهور الحور العين» اهـ. رواه الطبراني في الكبير.

وبعد: فهذه مجموعة من الأسئلة والإجابة عليها عن: «أهميّة دور المسجد في الإسلام».

س ١: نود ونحن في بداية حديثنا عن: «أهمية دور المسجد في الاسلام» أن تبين أي المسجدين بني أولًا في الإسلام:

هل هو المسجد النبوي الشريف أو مسجد قباء؟

ثم تحدثنا عن الدور البارز الذي أداه مسجد النبي ﷺ.

جـ ١: اختلف العلماء في المسجد الذي نزل فيه قول الله تعالى: ﴿لمسجد

---

(١) سورة التوبة، آية ١٨.

أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾[1]. فذهب بعضهم إلى أن المسجد الذي نزلت فيه هذه الآية هو المسجد النبوي الشريف وذهب البعض الآخر إلى أنه مسجد قباء. وهذا هو الشائع لدى عامة الناس. ولكن بالرجوع إلى الأحاديث الواردة في هذا الشأن تبين أن أول مسجد بني في الاسلام هو المسجد النبوي الشريف، يدل على ذلك الحديثان التاليان:

فعن «سهل بن سعد» رضي الله عنه قال: اختلف رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى فقال احدهما: هو مسجد المدينة، وقال الآخر: هو مسجد قباء، فأتوا رسول الله ﷺ فقال: «هو مسجدي هذا» أهـ. رواه ابن حبان في صحيحه.

وعن «أبي سعيد الخدري» رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه فقلت: يا رسول الله أي المسجدين الذي أسس على التقوى؟ فأخذ كفًّا من حصباء فضرب به الأرض ثم قال: «هو مسجدكم هذا، لمسجد المدينة» اهـ. رواه مسلم والترمذي والنسائي.

أما عن الدور البارز الذي أداه مسجد النبي عليه الصلاة والسلام فأقول: لقد لعب المسجد النبوي الشريف دورًا هامًا وبارزًا في تاريخ الامة الاسلامية ولا زال الكتّاب والمفكرون يكتبون عن هذه الجهود العظيمة التي أداها مسجد النبي عليه الصلاة والسلام. وذلك بفضل القيادة الحكيمة لتي كان يرسمها الهادي البشير عليه الصلاة والسلام وسأشير هنا إلى أهم القضايا التي أداها مسجد النبي عليه الصلاة والسلام بجانب العبادة واداء الصلاة.

أولًا ـ بالنسبة إلى الجانب الثقافي والتعليمي:

فقد كان المسجد النبوي الشريف جامعة إسلامية عظيمة ضمت بين جنباتها الكثير من التخصصات فقد تخرج منه حفاظ القرآن الكريم الذين

---

(١) سورة التوبة، آية ١٠٨.

اعتبروا أول مدرسة لحفظ القرآن، وعن طريقهم نقل إلينا القرآن غضًّا طريًّا سليمًا من التحريف أو التبديل.

كما تخرج من هذا المسجد خيرة العلماء الذين حفظوا سنة الهادي البشير ﷺ عن ظاهر قلب وعلموها من بعدهم حتى وصلت إلينا عن طريق الرواة المحدّثين. كما تخرج من هذا المسجد النبوي الشريف أعظم القادة في الفنون الحربية والعسكرية وقيادة الجيوش فخاضوا أعظم المعارك وفي النهاية نصرهم الله على أكبر دولتين في ذلك العصر: دولة الفرس - والروم. كما تخرج من مسجد النبي عليه الصلاة والسلام أعظم القضاة والفقهاء والدعاة والمرشدين.

ثانيًا - كان المسجد النبوي الشريف أشبه بالبرلمان:

فيه تتم الشورى في كل أمر هام وعظيم، وعلى منبره كانت تعلن الأنظمة واللوائح والقوانين وكلها مستمدة من هدي البشير النذير عليه الصلاة والسلام. وفي المسجد كانت تعلن الحروب وتعقد الرايات لقادة الجيوش وفي المسجد كان يتم القضاء بين المتخاصمين.

أكتفي بهذا المقدار عن أهم الأمور التي أداها مسجد النبي ﷺ والله أعلم.

س ۲: المشي إلى المسجد من الأمور التي يثاب عليها الإنسان لذلك نحب أن تذكر بعض الأحاديث الواردة في ذلك.

جـ ۲: من نعم الله تعالى على الإنسان التي لا تحصى أن جعل المشي الى المسجد من الأمور التي يرفع الله بها الدرجات ويمحو بسببها السيئات، يوضح ذلك الأحاديث الآتية:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: صلاة الرجل في جماعة تضعّف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسًا وعشرين درجة وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى الصلاة لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحطت عنه بها خطيئة فإذا صلى لم تزل

الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه: اللهم صلِّ عليه، اللهم ارحمه، اللهم تب عليه ما لم يؤذ فيه، ما لم يُحْدِث فيه» اهـ. رواه الشيخان وابو داود والترمذي.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إذا تطهر الرجل ثم أتى المسجد يرعى الصلاة كتب له كاتباه، أو كاتبه بكل خطوة يخطوها إلى المسجد عشر حسنات، والقاعد يرعى الصلاة كالقانت ويكتب من المصلين من حيث يخرج من بيته حتى يرجع اليه» اهـ. رواه احمد وابو يعلى والطبراني في الكبير.

وعن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من توضأ فأسبغ الوضوء، ثم مشى إلى صلاة مكتوبة فصلاها مع الإمام غفر له ذنبه» اهـ. رواه ابن خزيمة.

وعن جابر رضي الله عنه قال: دَخلت البقاع حول المسجد فأراد «بنو سلمة» أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال لهم: بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد، قالوا: نعم يا رسول الله، قد أردنا ذلك، فقال لهم: يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب اثاركم فقالوا: «ما يسرنا أنا كنا تحولنا» اهـ. رواه مسلم وغيره.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أعظم الناس أجرًا في الصلاة أبعدهم اليها ممشى فأبعدهم، والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرًا من الذي يصليها ثم ينام» أهـ. رواه الشيخان.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات: قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط» اهـ. رواه مالك ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة.

وعن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بشّر المشائين في الظلم

إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة». رواه ابو داود والترمذي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «ليضيء للذين يتخللون الى المساجد في الظلم بنور ساطع يوم القيامة». رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن.

هذا وبالله التوفيق.

س ٣: للمسجد آداب بينها منهج الإسلام نحب توضيحها.

جـ٣: المساجد بيوت الله في الأرض فيها يلتقي المسلمون لعبادة الله تعالى. وللمساجد حرمة خاصة ومكانة خاصة، ولذا نجد أن تعاليم الإسلام تنص على أن من أراد دخول المسجد يسنّ له أن يتطيب وأن يلبس أطيب ثيابه وأنظفها عملًا بقول الله تعالى: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾[1].

وللمسجد آداب كثيرة ومتعددة اذكر منها ما يلي:

أولًا: على من يريد الذهاب الى المسجد عدم تناول أي طعام له رائحة كريهة كي لا يتأذى من هذه الرائحة المسلمون مثل أكل البصل أو الثوم أو الكراث يدل على ذلك الأحاديث التالية:

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من أكل من هذه الشجرة: يعني الثوم، فلا يقربن مسجدنا» اهـ. رواه الشيخان.

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم» اهـ. رواه مسلم.

ثانيًا: لا يجوز البصاق في أرض المسجد ولا على جدرانه لأن ذلك يقذّر المسجد ويؤذي المصلين يدل على ذلك الأحاديث التالية:

(١) سورة الأعراف، آية ٣١.

فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها» اهـ. رواه الشيخان وابو داود والترمذي والنسائي.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «يبعث صاحب النخامة يوم القيامة وهي في وجهه» اهـ. رواه البزار وابن خزيمة وابن حبان.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أمر رسول الله ﷺ رجلًا يصلي بالناس الظهر فتفل في القبلة وهو يصلي بالناس، فلما كانت صلاة العصر أرسل إلى آخر فأشفق الرجل الأول فجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! أأنزل فيَّ شيء؟. قال: «لا، ولكنك تفلت بين يديك وأنت قائم تؤم الناس فآذيت الله وملائكته» اهـ. رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد.

ثالثًا: عدم نشد الضالة في المسجد حيث نهى عن ذلك البشير النذير ﷺ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من سمع رجلًا ينشد ضالة في المسجد فليقل: لا ردها الله عليك فإن المساجد لم تبن لهذا» اهـ. رواه مسلم وابو داود وابن ماجه.

رابعًا: لا يجوز البيع او الشراء في المسجد لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد ضالة فقولوا: لا ردَّها الله عليك» اهـ. رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

خامسًا: عدم الكلام بحديث خاص بشئون الدنيا لأن المساجد جعلت لعبادة الله تعالى: فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «سيكون في آخر الزمان قوم يكون حديثهم في مساجدهم ليس لله فيهم حاجة» اهـ. رواه ابن حبان.

وأختم كلامي بالحديث التالي حيث جاء متضمنًا بعض الأمور التي لا تجوز في المسجد: فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «خصال لا

ينبغين في المسجد: لا يتخذ طريقًا ولا يشهر فيه سلاح ولا يُنْبَضُ فيه بقوس ولا ينثر فيه نبل ولا يمر فيه بلحم نيء ولا يضرب فيه حدّ ولا يقتصّ فيه من أحد، ولا يتخذ سوقًا» اهـ. رواه ابن ماجه والطبراني في الكبير. والله أعلم.

البيع والشراء في الشريعة الاسلامية

السؤال الوارد على هذا الموضوع والإجابة عليه:

س ١ : هل تعاليم الإسلام كفلت حريّة البيع والشراء؟ نرجو من فضيلتكم إلقاء الضوء على ذلك.

جـ ١ : من ينعم النظر في تعاليم الإسلام يتبين له بجلاء ووضوح أن الإسلام وهو يتولّى تنظيم الحياة الإنسانيّة جميعا، لم يعـالج نواحيها المختلفة جزافا، ولم يتناولها أجزاء متفرقة. ذلك أنّ له تصورّاً كليًّا متكاملا عن الحياة، والإنسان يردّ إليه كافّة الفروع والتفصيلات، ويربط نظرياته جميعا، وتشريعاته، وحدوده، وعباداته، ومعاملاته، فيصدر فيها كلها عن هذا التصور الشامل المتكامل، ولا يرتجل الرأي لكل حالة، ولا يعالج كل مشكلة وحدها في عزلة عن سائر المشكلات.

ومعرفة هذا التصور الكلّي للإسلام تيسّر للباحث فيه فهم أصوله، وقواعده، وتسهّل عليه ردّ الجزئيات إلى الكليات. وأن يتتبع في لذّة وعمق خطوطه، واتجاهاته، ويلحظ أنها متشابكة متكاملة، وأنها كل لا يتجزأ، وأنها لا تعمل عملا مثمراً للحياة إلّا وهي متكاملة الأجزاء والاتجاهات.

والإسلام عندما أمّن للمسلم حقّ البيع والشراء نجده في الوقت نفسه حرّم عليه التعامل بالربا لأسباب وحِكَم ليس الآن مجال ذكرها، فقال عزّ من

قائل: ﴿وأحلّ الله البيع وحرّم الربا﴾[1]. وقال أيضًا: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ★ فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون﴾[2].

وعن «جابر بن عبدالله» رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا - وموكله - وكاتبه - وشاهديه - وقال: هم سواء» اهـ[3].

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة - ولا يذيقهم نعيمها: مُدمِنُ الخمر - وآكلُ الربا - وآكلُ مال اليتيم بغير حق. والعاقّ لوالديه» اهـ[4].

أيها المسلم: الإسلام عندما أمَّنَ للمسلم حقّ البيع والشراء رسم له الطريق السليم بحيث لو سار عليه فاز بنعيم الدنيا وحسن ثواب الآخرة. في مقدمة كل شيء نجد الهادي البشير عليه الصلاة والسلام، المعلّم الأول - والدالّ على كل فضيلة - والناهي عن كل رذيلة يرغّب أمته في البكور سعيا على طلب الرزق، يؤيد ذلك الحديثان التاليان:

فعن «صخْر بن وداعة الغامديّ» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم بارك لأمّتي في بكورها، وكان إذا بعث سريّة، أو جيشا بعثهم من أوّل النهار - وكان صخرٌ تاجرًا فكان يبعث تجارته من أول النهار فأثرى - وكثر ماله» اهـ[5].

وعن «عائشة» أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٧٥.

(٢) سورة البقرة، الآيتان ٢٧٨ - ٢٧٩.

(٣) رواه مسلم وغيره، أنظر الترغيب جـ٣ ص٥.

(٤) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد، أنظر الترغيب جـ٣ ص٧.

(٥) رواه أبو داود - والترمذي وغيرهما، أنظر الترغيب جـ٢ ص٨٧٧.

« باكِرُوا الغُدُوَّ في طلب الرزْق - فإن الغدُوَّ بركة ونجاح » اهـ[١].

كما أن من تعاليم الإسلام أن لا يأكل الإنسان إلّا من الحلال يوضح ذلك الأحاديث التالية:

فعن « أبي هريرة » رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إن الله طيّب لا يقبل إلا طيّبا - وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ». فقال: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم﴾[٢]. وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾[٣]. ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدّ يديه إلى السماء يا ربّ يا ربّ ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذِي بالحرام فأنّى يستجاب لذلك » اهـ[٤].

وعن « أنس » رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: « طلب الحلال واجب على كل مسلم » اهـ[٥].

وفي رواية: « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة » اهـ[٦].

من هذا يتبين بجلاء ووضوح أن على كل مسلم أن يطلب رزقه من الحلال - وأن يتحرى أكل الحلال.

والإسلام عندما أمّن حقّ المسلم في البيع والشراء لم يفتح له باب الكسب على مصراعيه: بحيث يكون كل همّه هو الحصول على الربح بغضّ النظر عن كونه حلالا، أو حراما، كما هو الحال عند غير المسلمين.

---

(١) رواه البزار والطبراني في الأوسط. أنظر الترغيب جـ٢ ص٨٧٨.

(٢) سورة المؤمنون، آية ٥١.

(٣) سورة البقرة، آية ١٧٢.

(٤) رواه مسلم - والترمذي، أنظر الترغيب جـ٢ ص٩٠٣.

(٥) رواه الطبراني في الأوسط وقال صحيح الإسناد، أنظر الترغيب جـ٢ ص٩٠٥.

(٦) رواه الطبراني والبيهقي، أنظر الترغيب جـ٢ ص٩٠٥.

كلّا: بل نجد منهج الإسلام يقرر أن البيع والشراء يجب أن يكون وفق الإطار العام الذي بينه الإسلام.

ونبيّ الإسلام عليه الصلاة والسلام رسم المبادئ التي لو سار عليها المسلم لظفر بنعيم الدنيا، وحسن ثواب الآخرة.

من المبادئ التي حثّ عليها النبي ﷺ أنه أخبر بأن أكل الحلال سبب في دخول الجنة.

كما أنه عليه الصلاة والسلام كان كثيرًا ما يدعو لمن يتحرى الحلال، يدلّ على ذلك الأحاديث الآتية:

فمن «أبي سعيد الخدريّ» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من أكل طيّبا، وعمل في سُنَّة، وأمن الناس بوائقه دخل الجنة» اهـ. رواه الترمذي، وقال حسن صحيح.

وعن «ابن عمر» رضي الله عنهما أن النبيّ ﷺ قال: «الدنيا خضْرة حلوة - من اكتسب فيها مالًا من حلّه - وأنفقه في حقّه أثابه الله عليه - وأورده جنته - ومن اكتسب فيها مالًا من غير حلّه - وأنفقه في غير حقّه احلّه الله دار الهوان وربّ متخوّض في مال الله له النار يوم القيامة - يقول الله: ﴿كلّما خبت زدناهم سعيرًا﴾ اهـ[1].

وعن «نصيح المنسيّ» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «طوبى لمن طاب كسبه - وصلحت سريرته - وكرُمت علانيته - وعَزَل عن الناس شرّه - طوبى لمن عَمِل بعِلْمه، وأنفق الفضل من ماله - وأمسك الفضل من قوله» اهـ[2].

كما نجد النبي ﷺ يخبر بأن شرط قبول الدعاء الأكل من الحلال - يرشد إلى ذلك الحديث التالي:

(١) رواه البيهقي، أنظر الترغيب جـ٢ ص٩١٥. سورة الإسراء، آية ٩٧.

(٢) رواه الطبراني، أنظر الترغيب جـ٢ ص٩٠٦.

فعن «ابن عباس» رضي الله عنهما قال: تُلِيت هذه الآية: عند رسول الله ﷺ: ﴿يا أيها الناس كُلُوا مما في الأرض حلالا طيباً﴾[1]. فقام «سعد ابن أبي وقّاص» رضي الله عنه فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة - فقال له النبيّ ﷺ: يا سعدُ أطِبْ مطعمك تكن مستجاب الدعوة - والذي نفس «محمد» بيده! إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل الله منه عملَ أربعين يوما - وأيّما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أوْلى به» اهـ[2].

كما نجد نبيّ الإسلام عليه الصلاة والسلام يحذّر من أكل الحرام - يدلّ على ذلك الأحاديث التالية:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من اكتسب مالّا من مأثم - فوصل به رحمه أو تصدق به - أو أنفقه في سبيل الله جُمع ذلك كلُّه فقذف به في جهنم» اهـ[3].

وعن «كعب بن عجْرة» رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ «يا كعْبُ بنَ عُجْرة: إنه لا يَدْخُل الجنة لحمٌ - ودمٌ نبتا على سحْت - النار أولى به - يا كعْب بنَ عُجْرة الناس غاديان: فغادٍ في فكاك نفسه فمعتقُها - وغادٍ فموبقُها» اهـ[4].

كما نجد الهادي البشير يخبر بأن أفضل الكسب عمل الرجل بيده كما أنه عليه الصلاة والسلام يحبّ كل صاحب حرفة:

فعن «رافع بن خديج» رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله أيّ الكسْب

---

(١) سورة البقرة، آية ١٦٨.

(٢) رواه الطبراني في الصغير، أنظر الترغيب جـ٢ ص٩٠٧.

(٣) رواه أبو داود، أنظر الترغيب جـ٢ ص٩١٠.

(٤) رواه الترمذي وابن حبّان، أنظر الترغيب جـ٢ ص٩١٦.

أطيب؟ قال: «عمل الرجل بيده - وكل بيع مبرور» اهـ[١].

وعن «ابن عمر» رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن الله يحبّ المؤمن المحترف» اهـ[٢].

هذا وبالله التوفيق، والله أعلم.

(١) رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقات، أنظر الترغيب جـ٢ ص٨٧٤.

(٢) رواه الطبراني في الكبير والبيهقي، أنظر الترغيب جـ٢ ص٨٧٦.

تأملات في أساليب الحوار في القرآن الكريم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا «محمد» وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد كان للحوار في القرآن الكريم أحسن الأثر في بناء الإنسان، وتقوية شخصيّته، وحلّ مشكلاته.

وللحوار أساليب كثيرة ومتنوعة، أفضلها وأشدها تأثيرًا في النفوس حوار القرآن الكريم.

وبعد: فهذه مجموعة من الأسئلة والإجابة عليها حول موضوع هام وهو: «تأمّلات في أساليب الحوار في القرآن الكريم»:

س ١: قال الله تعالى: ﴿واضرب لهم مثلا رجلين﴾ إلى قوله: ﴿ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا﴾[1].

هذه الآيات القرآنية تضمنت نموذجا رائعا للحوار: بين مؤمن فقير وكافر غني، نحب أن تصور هذا الحوار، ثم تبين ما يستفاد من خلاله.

جـ ١: أحب قبل الدخول في الإجابة على هذا السؤال أن ألقي الضوء على كل من الحوار، والجدال، فأقول وبالله التوفيق: معنى الحوار، والمحاورة:

---

(١) سورة الكهف، الآيات ٣٢ - ٤٢.

مراجعة الكلام، وتبادل الآراء للوصول إلى الحقيقة. أما الجدال أو المجادلة: فأصله المخاصمة بما يشغل عن ظهور الحق، ووضوح الصواب. ولكنه استعمل عند الفقهاء في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها.

والجدال محمود إن كان للوقوف على الحق، وإلا فهو مذموم.

من هذا يتبيّن أن الحوار، والجدال يشتركان في إيضاح الحق والصواب، إذا أريد بالجدال معرفة الصواب.

ويفترقان في أن الجدال السيء يطمس معالم الحق، ويعمد إلى مناصرة الباطل، يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿**ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحقّ**﴾[1].

وبعد ذلك أنتقل إلى الإجابة على السؤال فأقول وبالله التوفيق: جرى هذا الحوار القرآني بين رجلين: أحدهما مؤمن فقير، والآخر كافر غني، وكان على النحو التالي: بدأ الكافر حواره مع المؤمن بالافتخار عليه بقوله: «أنا أكثر منك مالًا وأعزّ نفرًا»، لأنه كان له جنتان زاخرتان بالفواكه يحفّ بهما نخل كثير، وكلتا الجنتين أعطت ثمرها الشهيّ كالعنب وغيره من أنواع الفاكهة، وذلك بسبب الماء الجاري بينهما لسقي زرعهما، وكان لهذا الكافر أعوان، وأولاد، فأعماه الغنى وكثرة الولد عن تقلبات الزمان، وكوارث الأيام، ولم يعلم أن كل نعيم لا محالة زائل، وأن دوام الحال من المحال.

ثم بعد ذلك دخل جنته وهو معجب بكبريائه وغروره، فقال: «ما أظن أن تهلك هذه الجنة أبدًا»، وذلك لغفلته واغتراره بإمهال الله تعالى له، حتى أنكر قيام الساعة، وأعلن ذلك بقوله: «وما أظن الساعة قائمة» ثم قال في نفسه الأمّارة بالسوء: «ولئن رددت إلى ربّي» في الدار الآخرة كما يقولون لأجدنّ هناك خيرًا من جنتي هذه، لأن الله أكرمني في الدنيا، إذًا فسوف يكرمني في الآخرة بجنة خالدة لا تفنى أبدًا.

---

(١) سورة الكهف، آية ٥٦.

لما سمع المؤمن الفقير هذا الكلام الذي ينبىء عن الكفر والغرور أخذ في محاورته وتوجيهه إلى الصواب، وإرشاده إلى الحق وهو الإيمان بالله في أسلوب إنكاري وتعجبي، فقال له: ﴿أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلا ★ لكنا هو الله ربّي ولا أشرك بربي أحدا ★ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالّا وولدًا ★ فعسى ربي أن يؤتين خيرًا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقًا﴾ أي أرضا ملساء، ﴿أو يصبح ماؤها غورًا﴾[1] في باطن الأرض فلن تستطيع إعادته إلى الجنة، فتهلك جنتك فتندم ولن ينفعك الندم بعد وقوع الكارثة.

وفجأة حدث ما توقعه المؤمن، وهلك جميع ثمر الجنة، فأصبح الكافر يقلب كفّيه نَدَما وحسرة على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربّي أحدًا.

يستفاد من نتائج هذا الحوار ما يلي:

أولًا: لا ينبغي لأيّ غنيّ مهما كان أن يتكبّر على الله تعالى بل عليه أن يتذلل له ويشكره كي يزيده الله تعالى من نعمه، وصدق الله حيث قال: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾[2].

ثانيًا: يستفاد من النتيجة الحتمية التي انتهت إليها جنة الكافر أن غنى المرء ليس دليلا على إكرام الله له، فقد يكون ذلك ابتلاء، وامتحانا أو فتنة واستدراجًا، يشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمَه فيقول ربي أكرمن﴾[3].

ثالثًا: يستفاد كذلك أن الفقر ليس دليلا على بغض الله تعالى للفقير،

---

(١) سورة الكهف، الآيات ٣٧ - ٤١.

(٢) سورة ابراهيم، آية ٧.

(٣) سورة الفجر، آية ١٥.

فقد يكون اختبارا ليمحّص قلبه، ويطهرّه الاخلاص، وليبلوه أيشكر أم يكفر يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربّي أهانن﴾[1] والله أعلم.

س ٢: قال الله تعالى: ﴿اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم﴾ إلى قوله: ﴿وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾[2]، هذه الآيات القرآنية تضمنت نموذجا رائعا للحوار والشورى بين ملكة سبأ، وبين قومها، نحب أن تصوّر مشاهد هذا الحوار، ثم تلقي الضوء على ما يستفاد من ذلك.

جـ ٢: لمّا ذهب «الهدهد» إلى ملكة سبأ، ألقى كتاب نبي الله «سليمان» أمامها بقصرها في «مأرب» ولما قرأته دار بينها وبين ملئها الحوار التالي: ﴿قالت يا أيها الملأ إني ألقي إليّ كتاب كريم ★ إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ★ ألّا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين ★ قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرًا حتى تشهدون﴾، لم تستبدّ «بلقيس» برأيها في كتاب نبي الله سليمان، بل استشارت المقرّبين إليها من أصحاب الرأي والمشورة فيما يتضمنه هذا الكتاب الخطير. فقال لها المستشارون: ﴿نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين﴾.

يفهم من هذا أن المستشارين أشاروا عليها بحرب سليمان إن أرادت، وقالوا لها نحن أصحاب قوة وبأس شديد في الحروب، إلا أنهم ردّوا حقيقة الأمر إليها. ولكن ملكة سبأ آثرت التروّي والتريث ونظرت في عاقبة الحروب وشرّها المستطير فقالت: ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ★ وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ فلما جاء وفْدُ رسلها إلى نبي الله سليمان وقدموا إليه الهدية التي فيها من ضروب الإغراء ما يبعث على قبولها، ردّ نبي الله سليمان الهدية

(١) سورة الفجر، آية ١٦.

(٢) سورة النمل، الآيات ٢٨ - ٤٤.

فقال: ﴿أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون * ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون﴾ الخ.

لما رجع الوفد إلى الملكة ومعه الهدية وأخبرها بما قال نبيّ الله سليمان، فقالت: عرفت أنه نبي ولا طاقة لنا بقتال نبيّ من أنبياء الله، ثم توجهت إلى «سليمان» في عدد كبير من جنودها، فلما علم سليمان بذلك قال: ﴿يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾ ولعل نبي الله سليمان أراد بذلك أن يريها قدرة الله على سرعة نقل العرش من اليمن إلى الشام على الرغم من بعد المسافة، ليجعل ذلك من أدلة نبوته. ﴿قال عفريت من الجنّ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقويّ أمين * قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك﴾.

فلما أتى بالعرش بين يدي نبي الله سليمان ورآه مستقرّاً عنده ﴿قال هذا من فضل ربّي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربّي غنيٌّ كريم * قال نكّروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون * فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو﴾. وأراد نبي الله سليمان أن يريها قصرًا أعظم من قصرها، فأمر ببناء قصر قبل قدومها، وجعل صحنه من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى بعض الحيتان، ولما قدمت «بلقيس» ﴿قيل لها ادخلي الصرح، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها، قال إنه صرح ممرّد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾.

ويستفاد من هذا الحوار ما يلي:

أولًا: إن الشورى في الأمور الخطيرة كالحروب ونحوها أمر واجب، لأن الشورى تتضمن الحوار وتبادل الآراء للبحث عن الصواب. وهكذا يرشد القرآن بالحوار إلى أهمية الشورى، كما يشعر بذلك قوله تعالى لنبيه عليه

الصلاة والسلام ﴿وشاورهم في الأمر﴾[1]. وقوله: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾[2]، والله أعلم.

س ٣: قال الله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب﴾ إلى قوله: ﴿فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾[3]، هذه الآيات القرآنية تضمنت الحوار الذي دار بين النبي ﷺ، وبين وفد نصارى نجران، نحب أن تصوّر تلك المشاهد، ثم تلقي الضوء على ما يستفاد من هذا الحوار.

جـ ٣: أرسل النبي ﷺ «كتابه» إلى أسقف نجران يدعوه إلى الإسلام.

استشار الأسقف زعماء نصارى نجران فاتفقوا على أن يذهب وفد منهم إلى النبي عليه الصلاة والسلام يحاجونه ويحاورونه فيما يتعلق بنبي الله عيسى عليه السلام.

حضر الوفد إلى المدينة المنورة، والتقوا بالهادي البشير ﷺ وجرى بينهم الحوار التالي: سأل وفد نجران النبي ﷺ: كيف تقول إن عيسى عبد الله وكلمته مع أنه خُلِق من غير أب؟ فأجابهم الرسول عليه الصلاة والسلام بالحجة الدامغة: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾. المعنى: إن كانت ولادة نبيّ الله عيسى من غير أب عجيبة وغريبة، لأنها مخالفة للنظام الذي يعرفه بنو الإنسان، فأعجب من ذلك وأغرب ولادة نبيّ الله «آدم» عليه السلام من غير أب ولا أم، والسبب هو قدرة الله وإرادته، لأنه إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون. إن خلق نبي الله عيسى من غير أب دليل على كمال قدرة الله تعالى الذي لا يعجزه شيء.

وكما خلق الله «عيسى» من غير أب، فقد خلق «آدم» عليه السلام من غير أب ولا أمّ، وقد خلق حواء من غير أم، وخلق سائر البشر من أب

(١) سورة آل عمران، آية ١٥٩.
(٢) سورة الشورى، آية ٣٨.
(٣) سورة آل عمران، الآيات ٥٩ - ٦٤.

وأم. وهذه أقسام أربعة لا يتصور العقل غيرها، وبعد هذه الحجة القاطعة والبيان الشافي قال الله لنبيه: ﴿الحق من ربك فلا تكن من الممترين ★ فمن حاجَّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقلْ تعالَوْا ندعُ أبناءَنا وأبناءَكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهلْ فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ فلما دعاهم النبي ﷺ إلى المباهلة، أي الاجتهاد في الدعاء واللجوء إلى الله تعالى بجعل لعنته وغضبه ينزلان على الكاذب في شأن «عيسى» عليه السلام.

لما دعا النبي ﷺ وفد نصارى نجران إلى المباهلة خافوا وامتنعوا لأنهم أدركوا بعد ظهور الحق وقوة الحجة أنهم كاذبون، وأن النبي ﷺ هو الصادق في فهمه ودعوته بأن «عيسى» عبد الله ورسوله وليس ابن الله كما يدّعي النصارى.

ولما كان توحيد الله تعالى هو المنقذ من الضلال أوحى الله إلى النبي ﷺ أن يدعو أهل الكتاب إلى كلمة التوحيد، وإلى عدم الإشراك بالله تعالى، وألا يتخذ الناس بعضهم بعضا أربابا من دون الله، يشير إلى هذه المعاني قول الله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلَّا الله ولا نشركَ به شيئًا ولا يتخذَ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولّوْا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ يستفاد من هذا الحوار ما يلي:

أولًا: أن الإسلام يدعو إلى التحرّر المطلق من العبودية لغير الله تعالى.

ثانيًا: تنهي تعاليم الإسلام أن يتخذ الناس بعضهم بعضا أربابا من دون الله كما اتخذ أهل الكتاب أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله.

ثالثًا: أثبتت هذه الآيات نفي الألوهية عن «عيسى» عليه السلام، وإثبات أنه عبدالله ورسوله، وصدق الله تعالى حيث قال: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربّي

وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾[1].

والله أعلم.

(١) سورة المائدة، آية ٧٢.

التحلّي بالملابس الفاخرة في تعاليم الإسلام

السؤال الوارد على هذا الموضوع، والإجابة عليه:

س ١: قال الله تعالى: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسًا يواري سوءاتكم وريشا﴾[1]. هذه الآية الكريمة تفيد أن الله تعالى لم يحرم التحلّي بالملابس الفاخرة ما دامت في حدود تعاليم الإسلام. إلّا أنه للأسف يوجد بعض المتنطعين الذين يقولون بعدم جواز لبس الملابس الفاخرة. نريد من فضيلتكم بيان حكم الشارع في ذلك.

جـ ١: اقتضت إرادة الله تعالى أن جعل للإنسان منهجًا سويًّا، فمن سار عليه سعد وظفر في الدنيا والآخرة، ومن حاد عنه باء بالخسران المبين، يشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون﴾[2]. ومن المنهج الذي رسمه الله تعالى لعباده أن أحلّ لهم الطيبات، وأباح لهم التزيّن بفاخر الثياب، يوضح ذلك قول الله تعالى: ﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قُلْ هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾[3]. ومن

(١) سورة الأعراف، آية ٢٦.
(٢) سورة الأنعام، آية ١٥٣.
(٣) سورة الأعراف، آية ٣٢.

المباحات التي أحلها الله لعباده جواز التحلّي بفاخر الثياب وفقًا لما جاءت به تعاليم الإسلام.

ومن يقرأ تعاليم الهادي البشير ﷺ يجد منهجًا متكاملًا رسم للإنسان الطريق السويّ الذي يجب أن يسير عليه: فلا إسراف ـ ولا تقتير ـ ولا إفراط ـ ولا تفريط؛ ففي الوقت الذي أباح الشارع فيه للمرأة التزيّن بفاخر الثياب حرّم عليها ما رقّ منه لأنه يكون مدعاة لفتنة الرجال.

فعن «عبدالله بن عمر» رضي الله عنهما قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون في آخر أُمّتي رجال يركبون على سُرُج كأشْباه الرجال، ينزلون على أبواب المساجد، نساؤهم كاسيات عاريات، رؤوسهنّ كأسنمة البُخْت العجافِ، العَنُوهُنّ، فإنّهنّ ملعونات لو كان وراءكم أمّة من الأمم خَدَمَتْهُنَّ نساؤكم، كما خدمكم نساءُ الأمم قبلكم» اهـ[1].

من ينعم النظر في هذا الحديث الشريف يلحظ أنه ينطبق على الكثيرات من نساء هذا الزمان، حيث تتفنن الفتياتُ ـ والنساء في لبس الثياب الشفّافة التي تكشف عن البشرة فلا حول ولا قوّة إلا بالله. فيا أولياء أمور هؤلاء النسوة اللاتي خرجْن على تعاليم الإسلام عليكم بإلزام بناتكم ـ وأخواتكم ـ وزوجاتكم بالعودة إلى الملابس التي تستر الجسد ولا تكشف عن العورات.

كما أننا نجد من تعاليم النبي ﷺ النهي عن إسبال الثياب، لأنه يكون مدعاة للكبر والخيلاء:

فعن «أبي ذرّ الغِفَاريّ» رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم، قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرّات، قال «أبو ذرّ» خابوا وخسرُوا، من هم يا رسول الله؟ قال: المسبل، والمنّان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» اهـ[2].

---

(١) رواه ابن حبان، والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم، أنظر الترغيب جـ٣ ص٧٦.
(٢) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، أنظر الترغيب جـ٣ ص٦٥.

وعن: «العلاء بن عبد الرحمن» رضي الله عنه، عن أبيه قال: سألتُ «أبا سعيد» عن الإزار فقال: على الخبير سقطت، قال رسول الله ﷺ: إِزْرَةُ المؤمن إلى نصف الساق ولا حرج ـأو قال: لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين، وما كان أسفل من ذلك فهو في النار، ومن جرّ إزاره بطراً لم ينظر الله إليه يوم القيامة» اهـ[1].

كما أننا نجد النبي ﷺ يخبر بأن من جرّ ثيابه بطراً وخيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة بالرحمة، يوضح ذلك الأحاديث الآتية: فعن «ابن عمر» رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظرُ الله يوم القيامة إلى من جرّ إزاره بطراً» اهـ[2].

وعن «جابر بن عبدالله» رضي الله عنهما قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون فقال: «يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم، فإنه ليس من ثواب أسرعُ من صلة الرحم، وإيّاكم والبغي، فإنه ليس من عقوبة أسرعُ من عقوبة بغْي، وإيّاكم وعقوق الوالدين، فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، والله لا يجدها عاقّ، ولا قاطع رحم، ولا شيْخ زان، ولا جارٌّ إزاره خيلاء، إنما الكبرياء لله ربّ العالمين» اهـ[3]. هذا وبالله التوفيق. والله أعلم.

---

(١) رواه مالك، وأبو داود، والنسائي، أنظر الترغيب جـ٣ ص١٦٤.

(٢) رواه مالك، والبخاري، ومسلم، أنظر الترغيب جـ٣ ص١٦٦.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط، أنظر الترغيب جـ٣ ص١٦٨.

تخطّي الرقاب، والكلام أثناء الخطبة

السؤال الوارد على هذا الموضوع، والإجابة عليه:

س ١: نشاهد بعض المصلين يوم الجمعة يتخطّى رقاب المسلمين للوصول إلى بعض الصفوف المتقدمة.

كما نرى بعض المصلين يرفع صوته بالكلام أثناء الخطبة. نحبّ من فضيلتكم بيان حكم الشارع في ذلك.

جـ ١: يوم الجمعة يجتمع فيه المسلمون من كلّ فجّ عميق لأداء الصلاة، وسماع الموعظة والنصيحة، ولحضور صلاة الجمعة آداب أذكر منها ما يأتي:

أولًا: الاغتسال:

والاغتسال يوم الجمعة يكفر الذنوب، يوضح ذلك الحديث الآتي:

فعن «أبي أمامة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الغسل يوم الجمعة ليسلّ الخطايا من أصول الشعْر استلالًا» اهـ. رواه الطبراني في الكبير، ورواته ثقات.

ثانياً: التطيب، ولبس أحسن الثياب، واستعمال السواك أو الفرشاة. فعن «ابن عباس» رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذا يومُ عيد جعله الله للمسلمين، فمن جاء الجمعة فليغتسل، وإن كان عنده طيب فليمسّ

منه، وعليكم بالسّواك» اهـ. رواه ابن ماجة بإسناد حسن.

ثالثًا: عدمُ تخطي رقاب المصلين، لأن ذلك يعرّض الإنسان لغضب الله تعالى، ويترتبُ عليه أشدُّ العقوبة يوم القيامة، وذلك بأن يُجْعل جسرًا إلى جهنم يمرّ من فوقه الناس، يدل على ذلك الحديث التالي:

فعن «معاذ بن أنس» رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتّخِذَ جسْرًا إلى جهنم» اهـ[1].

وقد شبه البشير النذير ﷺ الذي يتخطى الرقاب يوم الجمعة بالذي يجرّ أمعاءه في النار، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «الأرقم بن أبي الأرقم» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الذي يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة، ويفرّق بين الاثنين بعد خروج الإمام كجارٍّ قُصْبه[2] في النار» اهـ[3].

رابعًا: من آداب الجمعة عدمُ الكلام أثناء الخطبة، لأن الكلام يترتب عليه ضياعُ ثواب الصلاة، يشير إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت» اهـ[4].

ومن لغا بطلت فضيلة جمعته، وصارت ظهرًا. يؤيد هذا المعنى الحديثُ التالي:

فعن «عبدالله بن عمرو بن العاص» رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة ومسّ من طيب امرأته إن كان لها، ولبس من

---

(١) رواه ابن ماجه، والترمذي، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٦٩.
(٢) قُصْبُه: بضم القاف، وسكون الصاد: أي أمعاؤه.
(٣) رواه الطبراني في الكبير، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٧٠.
(٤) رواه الشيخان، وأبو داود وغيرهم، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٧١.

صالح ثيابه، ثم لم يتخط رقاب الناس، ولم يلغ عند الموعظة، كان كفارةً لما بينهما، ومن لغا وتخطى رقاب الناس كانت له ظهرًا » اهـ[1].

ونظرًا لأن الناس متفاوتون في الالتزام بآداب الإسلام، فقد قسّم الهادي البشير ﷺ الذين يحضرون صلاة الجمعة ثلاثة أقسام، يوضح ذلك الحديث التالي: فعن «عبدالله بن عمرو بن العاص» رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «يحضر الجمعة ثلاثة نفر:

١ ـ فرجل حضرها بلغْو، فذلك حظه منها.

٢ ـ ورجل حضرها بدعاء، فهو رجل دعا الله: إن شاء أعطاه، وإن شاء منعه.

٣ ـ ورجل حضرها بإنصات وسكوت ولم يتخطَّ رقبة مسلم، ولم يؤذ أحدًا فهي كفارة إلى الجمعة التي تليها، وزيادة ثلاثة أيام، وذلك أن الله يقول: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» اهـ[2].

هذا وبالله التوفيق. والله أعلم.

---

(١) رواه أبو داود، وابن خزيمة في صحيحه، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٧٥.

(٢) رواه أبو داود، وابن خزيمة في صحيحه، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٧٦.

تسليط الأضواء على فضائل الصحابة

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا «محمد» وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾[1]. وعن «عائشة» أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «سئل النبي ﷺ: أيّ الناس خير؟ قال: «القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث» اهـ. رواه مسلم.

وبعد: فهذه مجموعة من الأسئلة، والإجابة عليها حول: «تسليط الأضواء على فضائل الصحابة».

س ١: نحب ونحن في بداية حديثنا عن «فضل الصحابة» رضوان الله عليهم أن تذكر قبسًا من أحاديث الهادي البشير ﷺ الواردة في فضل عموم الصحابة، مع إعطاء صورة موجزة عن بعض المواقف الهامة للخلفاء الأربعة، رضوان الله عليهم.

جـ ١: مما لا يخفى على أحد من المسلمين وبخاصة أهل العلم أن أصحاب رسول الله ﷺ نالوا الدرجة العظمى، والمنزلة العالية في الدنيا والآخرة. وذلك بسبب مواقفهم النبيلة والمشرفة تجاه الإسلام، ونبيّ الاسلام. وكان

(١) سورة الفتح، آية ١٠.

إخلاصهم الذي لا مثيل له، من الأسباب الأساسية التي جعلت نبيّ الإسلام ﷺ يخصهم بالفضل العظيم الذي تحدثت عنه الدنيا كلها: فمن «عمران بن حصين» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم ينشأ قوم يشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويخونون ولا يؤمنون، ويفشو فيهم السِّمَنُ»[1] اهـ[2].

وعن «عائشة» أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: سئل النبي ﷺ: أي الناس خير؟ قال: «القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث» اهـ[3].

وعن «أبي موسى الأشعري» رضي الله عنه قال:

«صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا نجلس حتى نصلي العشاء، فانتظرنا، فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «ما زلتم ههنا، قلنا نعم يا رسول الله، قلنا نجلس حتى نصلي العشاء، قال: أحسنتم أو أصبتم، ثم رفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرًا ما يفعله، فقال النجوم أمنةٌ لأهل السماء، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون» اهـ[4].

ولشدة حب النبي ﷺ للصحابة نجده ينهى المسلمين جميعًا في كل زمان ومكان عن سبّهم أو إظهار البغض لهم، يوضح ذلك الحديثان التاليان:

فمن «أبي سعيد الخدري» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تسبّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا، ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه» اهـ.

---

(١) المراد بالسمن: جمع المال، والحرص على الدنيا.

(٢) أخرجه مسلم: انظر شرح السنة للبغوي جـ١٤ ص٦٧.

(٣) رواه مسلم: أنظر جامع الأصول جـ١٣ ص٣٠٤.

(٤) رواه مسلم، أنظر شرح السنة جـ١٤ ص٧١.

وعن «عبدالله بن مفضل» المزني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الله الله في أصحابي، اللهَ اللهَ في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي[1]؛ فمن أحبهم فبحبّي أحبّهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم، فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه» اهـ[2].

أما عن المواقف السامية لصحابة رسول الله ﷺ تجاه نبيّ الإسلام ودعوته:

فالتاريخ خير شاهد على ذلك، ولا زال الكتّاب والمفكرون يكتبون عن ذلك منذ عدة قرون، ومواقفهم النبيلة لا يحصيها عدّ ويطول ذكرها وتستحق ندوة خاصة، ولكن حسبي أن أشير هنا إلى ما يلي:

أولاً: إن مدرسة النبي ﷺ تعتبر أولى المدارس العلمية في الإسلام وهي بإجماع جميع الكتاب، والمفكرين تعتبر أعظم مدرسة، بل أفضل جامعة عرفها التاريخ. هذه المدرسة العظيمة التي حافظت عن طريق خريجيها وهم الصحابة رضوان الله عليهم على المصدرين الأساسيَّين للتشريع الإسلامي، وهما الكتاب والسنة.

وهذا الخليفة الأول «أبو بكر الصديق» رضي الله عنه الذي ضرب المثل الأعلى في حبّه للرسول ﷺ وحياته كلها مليئة بالبطولات والأمجاد: من ذلك صحبته للهادي البشير ﷺ أثناء الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

ثم موقفه النبيل ودفاعه عن الإسلام، وخير شاهد على ذلك حروب الردة التي كان الفضل الأول في انتصار الإسلام، وبقاء تعاليمه السامية يرجع إلى «أبي بكر الصديق» رضي الله عنه.

و«عمر بن الخطاب» رضي الله عنه الذي تمّت في عهده الفتوحات الإسلامية من المشرق والمغرب والشمال والجنوب. و«عثمان بن عفان» رضي الله عنه مجهز جيش العسرة وهو صاحب بئر «رومة» وهو الآمر بجمع

---

(١) أي لا ترموهم بألسنتكم.

(٢) رواه الترمذي، أنظر جامع الأصول، جـ٣ ص٣٠٦.

القرآن في المرّة الثانية والأخيرة وهو المشرف على كتابته.

قال «عبدالله بن سمرة» رضي الله عنه «جاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألف دينار في كمّه حين جهّز جيش العسرة، فنثرها النبي ﷺ في حجره وأخذ يقلبها ويقول: «ما ضرّ «عثمان» ما عمل بعد اليوم» اهـ[1].

و«علي بن أبي طالب» باب مدينة العلم والعلوم، وصاحب الراية يوم خيبر ويقول في حقه الهادي البشير ﷺ: «لأعطينّ هذه الراية رجلًا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» اهـ. والله أعلم.

س ٢: لقد كان للصحابة المهاجرين فضل السبق إلى الدخول في الإسلام، ولقد تحملوا في سبيل الدعوة الإسلامية ألوانًا شتى من التعذيب والتنكيل ولذا فازوا بالرضوان، وسجّل الله ذكرهم في قوله: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين﴾[2] الخ. حول المعاني المستفادة من هذه الآية نحب أن يكون حديثنا.

جـ ٢: هذه الآية الكريمة تضمنت الحديث عن فضل السابقين من المهاجرين، والأنصار، والتابعين.

ولقد لاقى الأوّلون من المهاجرين ألوانًا متفرقة من التعذيب والتنكيل من كفّار قريش، إذ وثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش:

فهذا «بلال بن رباح» رضي الله عنه كان صادق الإسلام، طاهر القلب، وكان «أمية بن خلف» يخرجه إذا حميت الظهيرة في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات، والعزّى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحَدٌ

(١) رواه الترمذي.

(٢) سورة التوبة، آية ١٠٠.

أحدٌ حتى مرّ به «أبو بكر» رضي الله عنه يومًا وهم يصنعون به ذلك، فقال «لأمية» ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى؟ فقال: أنت الذي أفسدته فأنقذه مما ترى، فقال: «أبو بكر» أفعل، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى، وهو على دينك، أعطيكه به، قال: قد قبلتُ هو لك، فأعطاه «أبو بكر» ذلك الغلام، وأخذ «بلالًا» ثم أعتقه[1].

ولقد استحق «بلال» رضي الله عنه بصبره، وقوة إيمانه أن يكون من السابقين إلى الجنة:

فعن «جابر بن عبدالله» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أُريت الجنة، فرأيت: «امرأة أبي طلحة» وسمعت خشخشة أمامي، فإذا «بلال»[2] وكانت «بنو مخزوم» يخرجون «بعمّار بن ياسر» رضي الله عنه وبأبيه وأمه إذا حميت الظهيرة، يعذبونهم برمضاء مكة، فيمرّ بهم رسول الله ﷺ فيقول: «صبرًا آل ياسر، موعدكم الجنة» اهـ[3].

ولقد لقّب الهادي البشير ﷺ «عمارًا» بأفضل الألقاب تكريمًا له فعن «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه قال: «استأذن عمار» على النبي ﷺ فعرف صوته فقال: «مرحبًا بالطيب المطيَّب»[4]. أما عن أفضل التابعين فيقول الإمام «أحمد بن حنبل» رحمه الله: أفضل التابعين سعيد بن المسيب، وعلقمة بن قيس، والأسود بن يزيد النخعي، هؤلاء كانوا فاضلين ومن علية التابعين:

يقول: «عثمان بن حكيم» سمعت سعيد بن المسيب يقول: «ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد» اهـ[5].

---

(١) أنظر سيرة ابن هشام جـ١ ص٢٧٧.
(٢) أخرجه مسلم، أنظر شرح السنة للبغوي جـ١٤ ص١٥٣.
(٣) السيرة لابن هشام، جـ١ ص١٧٩.
(٤) رواه الترمذي، أنظر شرح السنة للبغوي جـ١٤ ص١٥٤.
(٥) أنظر حلية الأولياء لأبي نعيم جـ٢ ص١٦٢.

هؤلاء جميعًا أي السابقون إلى الإسلام أعدّ الله لهم في الدار الآخرة جنات تجري من تحت قصورها الأنهار خالدين فيها أبداً.

ومما ورد في بعض نعيم أهل الجنة قوله تعالى: ﴿يطوف عليهم ولدان مخلَّدون ★ بأكواب وأباريق وكأس من مَعِين ★ لا يُصدَّعون عنها ولا يُنزِفون ★ وفاكهةٍ مما يتخيَّرون ★ ولحمِ طيرٍ مما يشتهون ★ وحورٌ عينٌ ★ كأمثال اللؤلؤ المكنونِ ★ جزاءً بما كانوا يعملون﴾[1].

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه قال:

قلت: يا رسول الله مم خلق الخَلق؟ قال: «من الماء» قلنا: والجنة ما بناؤها؟ قال: «لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، ومِلاطها المسك الأذفر ـ والمِلاط: ما يوضع بين أجزاء البناء كالطين، والأذفر شديد الرائحة الطيبة ـ وحصباؤها: اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من دخلها ينعم ولا يبؤس ـ أي لا يناله بأس ولا شدة ـ ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم» اهـ[2].

كما استحق هؤلاء السابقون رضوان الله تعالى: وهو أنه إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى لهم: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون، يا ربنا وأي شيء أفضل من هذا فيقول «رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»[3] والله أعلم.

س ٣: لقد كان للأنصار دور بارز في الترحيب بالمهاجرين كما ضربوا المثل الأعلى في معنى التضامن الاجتماعي، ولذا امتدح الله مواقفهم المشرفة وسجّل ذكرهم في قوله تعالى: ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم﴾[4].

---

(١) سورة الواقعة، الآيات ١٧ ـ ٢٤.

(٢) رواه الترمذي، أنظر التاج جـ٥ ص٤٠٢.

(٣) رواه مسلم، أنظر تفسير القرطبي جـ٣ ص٣٨.

(٤) سورة الحشر، آية ٩.

حول المعاني المستفادة من هذه الآية، نحب أن يكون حديثنا مع ذكر قبس من أحاديث الرسول ﷺ الواردة في فضل عموم الأنصار.

جـ ٣: لقد شهدت المدينة المنورة بعد هجرة النبي ﷺ إليها الخير الكثير: ففيها تمّ نزول القرآن الكريم، وفيها تأسست الجامعة الإسلامية التي لم يشهد التاريخ لها مثيلًا.

ومن المدينة المنورة انتشر نور الإسلام حتى عمّ العالم أجمع. ومنها تم فتح الكثير من بلاد العالم ودخل الناس في دين الله أفواجًا. وفي المدينة آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار ليذهب عن المهاجرين وحشة الغربة ولتشُدَّ أزر بعضهم ببعض.

وأهل المدينة المنورة هم الذين ضربوا المثل الأعلى في الحبّ، والإخاء، والإيثار. فعن «أنس بن مالك» رضي الله عنه قال: لما قدم المهاجرون من مكة قدموا وليس بأيديهم شيء، وكان الأنصار أهل الأرض، والعقار فقاسمهم الأنصار فأعطوهم نصف ثمار أثمارهم كل عام[1].

والآية الكريمة التي نحن بصدد الحديث عنها وصفت المهاجرين بعدة صفات حميدة: منها، حبّهم الخالص الذي لا تشوبه أيّة شائبة للمهاجرين. والحب في الله من أكبر علامات الإيمان:

فعن «عبدالله بن مسعود» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الإيمان أن يحبّ الرجل رجلًا لا يحبه إلا لله من غير مال أعطاه، فذلك الإيمان» اهـ[2].

ومن هذه الصفات «الإيثار» وهو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية، وذلك لا ينشأ إلا عن قوة اليقين، وتوكيد المحبة، والصبر على

---

(١) أنظر تفسير القرطبي جـ١٨ ص٢٥.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، أنظر الترغيب جـ٤ ص٢٨.

المشقة يقال: آثرته بكذا: أي خصصته به وفضلته، والإيثار من أجل الصفات الحميدة.

فعن «مالك الدار» أن «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرّة، ثم قال للغلام: اذهب بها إلى «أبي عبيدة بن الجراح» ثم تلكأ ساعة في البيت حتى تنظر ماذا يصنع بها، فذهب بها الغلام إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: وصله الله ورحمه، ثم قال، تعالي يا جارية، اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفذها، فرجع الغلام إلى «عمر» فأخبره، فوجده قد أعدّ مثلها «لمعاذ بن جبل» وقال: اذهب بهذا إلى «معاذ بن جبل» وتلكأ في البيت ساعة حتى تنظر ماذا يصنع، فذهب بها إليه فقال، يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال، رحمه الله ووصله، وقال يا جارية: اذهبي إلى بيت فلان بكذا، وبيت فلان بكذا، فاطلعت امرأة «معاذ» فقالت: ونحن والله مساكين فأعطنا، ولم يبق في الخرقة إلا ديناران قد جاء بها إليها، فرجع الغلام إلى «عمر» فأخبره فسرّ بذلك «عمر» وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض» اهـ[1].

ومن هذه الصفات: أنهم يحفظون أنفسهم من الوقوع في الشحّ، والشحّ والبخل سواء. ولكون الشُّحّ من الصفات الذميمة فقد كان النبي ﷺ يتعوذ منه ويقول في دعائه، «اللهم إني أعوذ بك من شح نفسي، وإسرافها، ووساوسها، ولقد حذر النبي ﷺ من الشح ومن عاقبته الوخيمة، فقال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشحّ فإن الشحّ أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلّوا محارمهم» اهـ.

أما عن الأحاديث الواردة في فضل الأنصار بصفة عامّة فهي كثيرة، أقتبس منها ما يلي:

---

(١) أنظر تفسير القرطبي، جـ١٨ ص٢٧.

فعن «أنس بن مالك» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار» اهـ[1].

وعن «البراء بن عازب» رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول في الأنصار «لا يحبكم إلا مؤمن، ولا يبغضكم إلا منافق، من أحبّهم أحبّه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله» اهـ[2]. والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري، أنظر شرح السنة للبغوي جـ١٤ ص١٦٩.

(٢) متفق عليه، أنظر شرح السنة للبغوي جـ١٤ ص١٦٩.

التعفف وعدم السؤال

السؤال الوارد على هذا الموضوع والإجابة عليه.

س ١ : خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان معزّزًا مكرمًا ولذا جاءت تعاليم الإسلام تحث على عدم السؤال. نحب من فضيلتكم تجلية هذا الموضوع.

جـ ١ : الإسلام دين العزة والكرامة، يوضح ذلك قول الله تعالى: ﴿ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾[1].

ومن يقرأ هَدْي النبي ﷺ يتبين له بجلاء ووضوح أن الهادي البشير عليه الصلاة والسلام كان يهدف دائمًا إلى تربية صحابته بخاصة والمسلمين بعامة، على العفة، والقناعة، والبعد على ذلّ السؤال، يتجلّى ذلك في الأحاديث الآتية:

فعن «أنس» رضي الله عنه أن رجلًا من الأنصار أتى النبي ﷺ فسأله، فقال: أما في بيتك شيء؟ قال: بلى، حِلسٌ نلبس بعضه، ونبسط بعضه، وقعْبٌ نشرب فيه الماء قال: ائتني بهما، فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال: «من يشتري منّي هذين»؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال رسول الله ﷺ: من يزيد على درهم مرّتين، أو ثلاثًا، قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاريّ وقال: اشتر

(١) سورة المنافقون، آية ٨.

بأحدهما طعامًا فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدومًا فأتني به، فأتاه فشدّ فيه رسول الله ﷺ عودًا بيده، ثم قال: اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يومًا، ففعل، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبًا، وببعضها طعامًا، فقال رسول الله ﷺ: هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلّا لثلاثة: لذي فقر مدقع، أو لذي غُرْم مُفظع، أو لذي دم موجع» اهـ[1].

وعن «الزبير بن العوام» رَضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لأن يأخذ أحدكم أحْبُله فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوْه أم منعوه» اهـ[2].

وكان الرسول ﷺ يوصي صحابته بالتعفف، وعدم السؤال، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «حكيم بن حزام» رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته، فأعطاني، ثم قال: «يا حكيم، هذا المال خَضِرٌ حلوٌ، فمن أخذه بسخاوَة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراق نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى، قال «حكيم»:

قلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرْزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا، فكان «أبو بكر» رضي الله عنه يدعو «حكيمًا» ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئًا ولم يرزأ «حكيم» أحدًا من الناس بعد النبي ﷺ حتى توفي رضي الله عنه» اهـ[3].

كما كان النبي ﷺ يبايع بعض أصحابه على التعفف، وعدم السؤال،

---

(١) رواه أبو داود، والبيهقي، أنظر الترغيب جـ١ ص٧٧٩.
(٢) رواه البخاري، وابن ماجة، أنظر الترغيب جـ١ ص٧٨١.
(٣) رواه الشيخان، والترمذي، والنسائي، أنظر الترغيب جـ١ ص٧٦٤.

يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي عبد الرحمن» عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ تسعة، أو ثمانية، أو سبعة، فقال: «ألا تبايعون رسول الله ﷺ وكنا حديث عهد ببيعة، فقلنا قد بايعناك يا رسول الله، فقال: ألا تبايعون رسول الله ﷺ، فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك؟ قال: «أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، والصلوات الخمس، وتطيعوا، وأسرّ كلمة خفيّة، ولا تسألوا الناس، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدًا يناولُه إيّاه» اهـ[1].

كما صحّ عنه عليه الصلاة والسلام أن أوصى «أبا بكر» رضي الله عنه أن لا يسأل الناس شيئًا، يشير إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «ابن مُلَيْكة» قال: ربما سقط «الخطام» من «يد» «أبي بكر» الصديق رضي الله عنه، فيضرب بذراع ناقته فينيخها فيأخذه، قال فقالوا له: «أفلا أمرتنا فنناولكه؟ قال: إن حبّي ﷺ أمرني أن لا أسأل الناس شيئًا» اهـ[2].

ومن يقرأ تعاليم الهادي البشير ﷺ في هذا الموضوع يتبين له بما لا يدع مجالًا للشك بأن الدين الإسلاميّ هو دين العزّة والكرامة، ولا يحبّ التسوّل، ولا المتسوّلين، ولقبح التسوّل في الشريعة الإسلامية كان نبيّ الإسلام عليه الصلاة والسلام يتعوذ من نفس لا تشبع، يوضح ذلك الحديث الآتي:

فعن «زيد بن أرقم» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها» اهـ. رواه مسلم، وغيره.

---

(١) رواه مسلم، والترمذي، والنسائي، أنظر الترغيب جـ١ ص٧٦٠.

(٢) رواه أحمد، أنظر الترغيب جـ١ ص٧٦٢.

كما أخبر الهادي البشير ﷺ بأن عزّ المرء في استغنائه عن الناس، يشير إلى ذلك الحديث الآتي:

فعن «سهل بن سعد» رضي الله عنه قال: «جاء جبريل» عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال: «يا محمد عش ما شئت فإنك ميّت، واعمل ما شئت فإنك مجزيّ به، وأحبب من شئت فإنك مفارق، واعلم أن شرف المؤمن قيامُ الليل، وعزّه استغناؤه عن الناس» اهـ. رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن.

ومن تعاليم الهادي البشير ﷺ أن الصدقة لا تجوز لمن كان عنده قوت يوم وليلة، وذلك كي يحفز المسلمين ويحثّهم على البعد عن ذل السؤال:

فعن «عليّ بن أبي طالب» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من سأل الناس عن ظهر غنًى، استكثر بها من رَضْف جهنم[1] قالوا: وما ظهر غنًى؟ قال: عشاء ليلة» اهـ[2].

كما تكفل ﷺ بالجنة لكل من لم يسأل الناس شيئًا، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «ثوبان» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من يكفُلْ لي أن لا يسأل الناس شيئًا أتكفلْ له بالجنة، قلت: أنا، فكان لا يسأل أحدًا شيئًا» اهـ[3].

ولتنفير الرسول ﷺ المسلمين من ذلّ المسألة أخبر بأن من سأل الناس من غير حاجة فكأنما يأكل الجمر، يدلّ على ذلك الحديث التالي:

فعن «حَبَشيّ بن جُنادة» رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سأل من غير فقر فكأنما يأكل الجمر» اهـ[4].

---

(١) الرضْف: الحجارة المحماة.

(٢) رواه عبدالله بن أحمد في زوائده، والطبراني، أنظر الترغيب جـ١ ص٧٥٥.

(٣) رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجة، بإسناد صحيح، أنظر الترغيب جـ١ ص٧٦٥.

(٤) رواه الطبراني في الكبير، وابن خزيمة، والبيهقي، أنظر الترغيب جـ١ ص٧٥٣.

وتارة يقول: «من سأل الناس في غير فاقة نزلت به أو عيالٍ لا يطيقهم، جاء يوم القيامة بوجه ليس عليه لحم»[1].

وتارة يقول: «من سأل وهو غنيّ عن المسألة يحشر يوم القيامة وهي خُمُوشٌ في وجهه» اهـ[2].

وعن «أبي ذرّ» رضي الله عنه قال: «بايعني رسول الله ﷺ خمسًا، وأوثقني سبعًا[3] وأشهد الله عليّ سبعًا: أن لا أخاف في الله لومة لائم.

قال «أبو المثنّى» قال «أبو ذرّ» فدعاني رسول الله ﷺ فقال: هل لك إلى البيعة، ولك الجنة، قلت: نعم، وبسطت يدي، فقال رسول الله ﷺ وهو يشترط عليّ أن لا أسأل الناس شيئًا.

قلت: نعم، قال: «ولا سَوْطك إن سقط منك، حتى تنزل فتأخذه» اهـ[4].

وعن «أبي ذرّ» أيضًا رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي ﷺ بسبع: بحبّ المساكين، وأن أدنو منهم، وأن أنظر إلى من هو أسْفَلُ مني، ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأن أصل رحمي وإن جفاني، وأن أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وأن أتكلم بمرّ الحق، ولا تأخذني في الله لومة لائم، وأن لا أسأل الناس شيئًا» اهـ[5].

هذا وبالله التوفيق. والله أعلم.

---

(١) رواه البيهقي، أنظر الترغيب جـ ١ ص٧٥٠.
(٢) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن، أنظر الترغيب جـ ١ ص٧٥٢.
(٣) يعني عاهده على سبعة أمور أن يوفي بها ويتمها.
(٤) رواه أحمد ورواته ثقات، أنظر الترغيب جـ ١ ص٧٦١.
(٥) رواه أحمد، والطبراني، أنظر الترغيب جـ ١ ص٧٦٣.

التيسير على المعسر وإنظاره

السؤال الوارد على هذا الموضوع والإجابة عليه:

س ١ : جاءت تعاليم الإسلام بالحثّ على قرض المحتاجين، وإذا ما حلّ موعد سداد القرض وكان المقترض معسرًا ، نجد تعاليم الإسلام تغري صاحب القرض بالأجر العظيم كي ينظر المقترض المعسر حتى ييسر الله عليه.

نحبّ من فضيلتكم أن تحدثنا عن التيسير على المعسر وإنظاره.

جـ ١ : الدين الإسلامي دين محبّة، وتعاطف، وتراحم. ومن تعاليم الهادي البشير ﷺ أنه حث على القرض، بل اعتبر كل قرض بمثابة الصدقة في الأجر:

فعن «عبدالله بن مسعود» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يقرض مسلمًا قرضًا مرّة إلا كان كصدقتها مرتين» اهـ. رواه ابن ماجة، وابن حبان، والبيهقي.

وعن «أبي أمامة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «دخل رجل الجنة فرأى مكتوبًا على بابها: الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر» اهـ. رواه الطبراني، والبيهقي.

وإذا كانت تعاليم الإسلام رغبت في القرض رحمة بالمحتاجين فإنها في الوقت نفسه حثت على التيسير على المعسرين وإنظارهم، يوضح ذلك قول الله

تعالى: ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة﴾[1].

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: «إن رجلًا لم يعمل خيرًا قط، وكان يداين الناس فيقول لرسوله: خُذْ ما تيسر، واترك ما عسُر، وتجاوز لعل الله يتجاوز عنّا، فلما هلك، قال الله له: هل عملت خيرًا قط؟ قال: لا إلّا أنه كان لي غلام وكنت أداين الناس فإذا بعثته يتقاضى قلت له: خذ ما تيسر، واترك ما عسُر، وتجاوزْ لعل الله يتجاوز عنا، قال الله تعالى: قد تجاوزت عنك» اهـ[2].

ومن الأدلة الواضحة على أن تعاليم الإسلام ترغب في إنظار المعسر أن النبي ﷺ أخبر بأن من أنظر معسرًا كان له بكل يوم مثلُ الدّيْن صدقة، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «بُريدَة» رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنظر معسرًا فله كل يوم مثلـه صدقة، ثم سمعته يقول: «من أنظر معسرًا فله كل يوم مثليه صدقة. قلت: يا رسول الله، سمعتك تقول: «من أنظر معسرًا فله كل يوم مثله صدقة. ثم سمعتك تقول: «من أنظر معسرًا فله كل يوم مثليه صدقة؟ قال له: كل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدّيْن، فإذ حلّ فأنظره فله بكل يوم مثليه صدقة» اهـ[3].

كما أخبر الهادي البشير ﷺ بأن من أنظر معسرًا أظلّه الله يوم القيامة تحت ظلّ عرشه، يدل على ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أنظر معسرًا، أوْ وضع له أظلّه الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظلّ إلا ظلّه» اهـ[4].

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٨٠.
(٢) رواه النسائي، أنظر الترغيب جـ١ ص٥٧.
(٣) رواه الحاكم بسند صحيح، أنظر الترغيب جـ٢ ص٥٨.
(٤) رواه الترمذي وقال حسن صحيح، أنظر الترغيب جـ٢ ص٥٩.

كما أن تعاليم الإسلام تفيد بأن من أراد أن تستجاب دعوته فلينظر المعسرين، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «ابن عمر» رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من أراد أن تستجاب دعوته، وأن تكشف كربته فليفرّج عن معسر» اهـ[1].

كما أخبر الهادي البشير ﷺ بأن من يسّر على معسر وقاه الله من فيح جهنم، يشير إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «ابن عباس» رضي الله عنهما قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد وهو يقول: «أيكم يَسُرُّه أن يقيه الله عز وجلّ من فيح جهنم؟ قلنا: يا رسول الله كلنا يسرّه قال: من أنظر معسرًا، أو وضع له، وقاه الله عز وجل من فيح جهنم» اهـ[2].

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من نفّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر في الدنيا يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» اهـ[3].

هذا وبالله التوفيق. والله أعلم.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا، أنظر الترغيب جـ٢ ص٦١.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا، أنظر الترغيب جـ٢ ص٦٢.

(٣) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، أنظر الترغيب جـ٢ ص٥٨.

حرمة عدم إخراج الزكاة

السؤال على هذا الموضوع والإجابة عليه:

س ١: الزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة، ولا يجوز لمن كمل نصاب ماله أن لا يخرج منه الزكاة، ومن فعل ذلك باء بالخسران المبين.

نحب من فضيلتكم أن تحدّثنا عن حكم عدم إخراج الزكاة.

جـ ١: من القضايا المسلّمة أنّ من أنكر حكمًا شرعيًا معلومًا من الدين بالضرورة كفر والعياذ بالله تعالى.

من هذا المنطلق قاتل الخليفة الأول: «أبو بكر الصديق» رضي الله عنه مانعي الزكاة، يوضح ذلك الحديث الآتي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه قال: «لما توفّي رسول الله ﷺ، واستُخلف «أبو بكر» بعده، وكفر من كفر من العرب، قال «عمر ابن الخطاب» رضي الله عنه «لأبي بكر»: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله، عصم منّي ماله ونفسه إلا بحقّه، وحسابه على الله» فقال «أبو بكر»: والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني «عنَاقًا»[1] كانوا يؤدّونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها،

(١) العناق: الأنثى من أولاد المعيز والغنم من حين الولادة إلى تمام الحول، والجمع أعْنُق.

قال « عمر » فوالله ما هو إلّا أن رأيت أن الله شرح صدر « أبي بكر » للقتال فعرفت أنه الحق » اهـ. رواه الشيخان وغيرهما.

ومن يقرأ السنة المطهرة يقشعر بدنه من الأحاديث الواردة في عقوبة مانع الزكاة، يوضح ذلك الحديث التالي: فعن « ابن عمر » رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: « إن الذي لا يؤدي زكاة ماله يخيّل إليه ماله يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان، فيلزَمُه، أو يطوقه، يقول: أنا كنزك، أنا كنزك » اهـ[1].

ولشدّة حرمة منع الزكاة فقد لعن رسول الله ﷺ مانعها، واللعن هو الطرد من رحمة الله تعالى، يدل على ذلك الحديث التالي:

فعن « عليّ بن أبي طالب » رضي الله عنه قال: « لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، وموكله، وشاهده، وكاتبه، والواشمة والمستوشِمَة، ومانعَ الصدقة، والمحلِّل، والمحلَّل له » اهـ[2].

وإذا كان يوم القيامة فمن أوائل من يدخل النار مانع الزكاة، يشير إلى ذلك الحديث التالي:

فعن « أبي هريرة » رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « عُرِض عليّ أول ثلاثة يدخلون الجنة، وأول ثلاثة يدخلون النار، فأمّا أوّل ثلاثة يدخلون الجنة: فالشهيد، وعبد مملوك أحسن عبادة ربه، ونصح لسيده وعفيف متعفّف ذو عيال.

وأمّا أول ثلاثة يدخلون النار: فأمير متسلط، وذو ثروة من مال لا يؤدّي حقّ الله في ماله، وفقير فخور » اهـ[3].

وفي حديث المعراج، مرّ النبي ﷺ على مانعي الزكاة فوجدهم يسرحون

---

(١) رواه النسائي بإسناد صحيح، أنظر الترغيب جـ١ ص٧١٢.

(٢) رواه الأصبهاني، أنظر الترغيب جـ١ ص٧٠٩.

(٣) رواه ابن خزيمة، وابن حبان، أنظر الترغيب جـ١ ص٧١٠.

في جهنم كما تسرح الأنعام إلى الزقوم، يشير إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أُتِيَ بفرس ـ هو البراق ـ يجعل كل خطوة معه أقصى بصره، فسار، وسار معه «جبريل» عليه السلام، فأتى على قوم يزرعون في يوم، ويحصدون في يوم، كلما حصدوا عاد كما كان، فقال يا جبريل: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسَبْعمائة ضعف، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه، ثم أتى على قوم تُرْضخ رؤوسهم بالصخر كلما رُضخت عادت كما كانت، ولا يُفترُ عنهم من ذلك شيء، قال: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين تثاقلت رؤوسهم عن الصلاة، ثم أتى على قوم على أدبارهم رقاع، وعلى أقبالهم رقاع، يسرحون كما تسرح الأنعام إلى الضريع، والزقوم، ورَضْفِ جهنم[1]، قال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم، وما ظلمهم الله، وما الله بظلام للعبيد» اهـ[2].

هذا وبالله التوفيق، والله أعلم.

(١) الرَّضْفُ: الحجارة المحماة على النار، واحدتها رَضْفَة.

(٢) رواه البزّار، أنظر الترغيب جـ١ ص٧١٣.

حرمة كتم العلم

السؤال على هذا الموضوع، والإجابة عليه:

س ١: العلم من أفضل الأشياء، وبالعلم يعرف الإنسان الخير من الشرّ، والحلال من الحرام. لذلك فقد جاءت تعاليم الإسلام تحرّم كتم العلم. نحبّ من فضيلتكم الحديث عن ذلك.

جـ ١: العلم هو السراج الذي يضيء للناس فيعرفون به الحلال من الحرام، والطيب من الخبيث.

ولذا فقد جاء القرآن الكريم، والسنة المطهرة ببيان فضل العلم وفضل العلماء.

وفي الوقت نفسه حذّر الهادي البشير ﷺ من كتم العلم، وعدم نشره للناس، يشير إلى ذلك الحديثان الآتيان:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من سئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار» اهـ. رواه أبو داود، والترمذي، وغيرهما.

وعن «ابن عباس» رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من سئل عن علم فكتمه جاء يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار، ومن قال في القرآن بغير ما يعلم جاء يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار» اهـ. رواه أبو يعلى ورواته ثقات.

كما أخبر الهادي البشير ﷺ بأن من تعلم علمًا ليصيب به عرض الدنيا لم يجد ريح الجنة، يدلّ على ذلك الحديث الآتي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من تعلّم علمًا ممّا يبتغي به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به عَرَضًا من الدنيا لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة، يعني ريحها» اهـ[1].

كما حذر ﷺ من تعلم العلم للمباراة والمنافسة لأن عاقبة ذلك وخيمة، وهي النار وبئس القرار، يدل على ذلك الحديثان التاليان:

فعن «كعب بن مالك» رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من طلب العلم ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار» اهـ[2].

وعن «ابن عمر» رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من طلب العلم ليباهي به العلماء، ويماري به السفهاء أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار» اهـ[3].

كما حذّر الهادي البشير ﷺ من تعلّم العلم ليتملك به قُلوبُ الناس، لأن من فعل ذلك فلن يقبلَ الله منه توبة، ولا فداء، يشير إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «من تعلّم صَرْف الكلام ليسْبي به قلوب الرجال، أو الناس لم يقبلِ الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا» اهـ[4].

---

(١) رواه أبو داود، وابن ماجة وابن حبان، أنظر الترغيب جـ١ ص١٢٨.

(٢) رواه الترمذي، وغيره، أنظر الترغيب جـ١ ص١٢٨.

(٣) رواه ابن ماجة، أنظر الترغيب جـ١ ص١٢٩.

(٤) رواه أبو داود، أنظر التريب جـ١ ص١٣٠.

ولقد صحّ عن النبي ﷺ أنه كان يستعيذ من العلم الذي لا ينفع، وما ذلك إلا لقبحه، يدلّ على ذلك الحديث التالي:

فعن «زيد بن أرقم» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم إذ أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها» اهـ[1].

كما جاءت الأحاديث الصحيحة بأن الإنسان لا يفارق موقف القضاء، والحساب يوم القيامة حتى يُسأل عن أمور منها: عن علمه فيما عمل به، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي برزة» الأسلميّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه» اهـ[2].

هذا وبالله التوفيق. والله أعلم.

---

(١) رواه مسلم والترمذي، والنسائي، أنظر الترغيب جـ١ ص١٤١.

(٢) رواه الترمذي وقال حسن صحيح، أنظر الترغيب جـ١ ص١٤٤.

حقوق الفقراء في الإسلام

السؤال على هذا الموضوع، والإجابة عليه:

س ١: من يقرأ تعاليم الإسلام يجدها كفلت حقوق جميع الفقراء. حول هذا الموضوع الهام نحبّ أن تحدّثنا.

جـ ١: اقتضت إرادة الله تعالى أن خلق الناس متفاوتين في الغنى، والفقر، وما ذلك إلّا لحكم جليلة يعلمها الحكيم الخبير، يوضح ذلك قول الله تعالى:

﴿أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريًّا ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾[1].

كما أن الإسلام فتح باب السعي على المعيشة على مصراعيه، يؤيد ذلك قول الله تعالى: **﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾**[2].

وقوله تعالى: **﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾**[3].

---

(١) سورة الزخرف، آية ٣٢.
(٢) سورة الملك، آية ١٥.
(٣) سورة الجمعة، آية ١٠.

إذًا على كل مسلم أن يسعى، ويعمل، ويجتهد، ملتمسًا الرزق في أي مكان، والإنسان بعمله يغني نفسه، ويسدّ حاجته، وحاجة من يعولهم غير مفتقر إلى معونة أيّ فرد من المسلمين.

وعلى أبناء المجتمع المسلم أن يعملوا متضامنين على سدّ كل ثغرة في بنيان مجتمعهم، وأن يبحثوا عن الأعمال -والحرف- والصناعات- التي تفتقر إليها الأمة في كل مجال- وأن يهيئوا لها من يقوم بها ويحسنها. هذا هو الأصل في الشريعة الإسلامية أن يحارب كل إنسان الفقر بسلاحه الخاص.

ولكن مع كل هذا فلا زال هناك العاجزون الذين لا يستطيعون العمل؟

مثل: الأرامل اللاتي مات أزواجهن -ولا مال لهن-

مثل: الصبيان الصغار الذين مات آباؤهم في الجهاد -والدفاع عن الأوطان.

مثل: الذين أصابتهم الكوارث -والعياذ بالله تعالى-

مثل: الشيخ الهرم الذي أقعده كبر السن عن السعي على المعيشة

مثل: المرضى الذين أقعدهم المرض، وأصبحوا عاجزين حتى عن المشي.

هل يترك الإسلام هؤلاء -وأمثالهم لعجلة الفقر تفتك بهم؟ كلّا: إن الإسلام بمبادئه السامية، قد عمل على إنقاذ هؤلاء وغيرهم من مخالب الفقر فأمّن حقوقهم لدى الأغنياء: حيث فرض في أموال الأغنياء حقًّا معلومًا يعطي للفقراء. ذلك الحقّ المعلوم هو الزكاة.

إذًا فمن أهداف الإسلام في فرض الزكاة هو سدّ حاجة الفقراء. ونحن عندما ننظر إلى الزكاة نظرة واقعية نجدها ليست موردًا هينًا، لأنها تمثل العشر أو نصف العشر من المحصيلات الزراعية كالحبوب والثمار. كما أنها تمثل ربع عشر النقود -والثروة التجارية.

كما تقرب من ربع العشر من الثروة الحيوانية التي تقتنى للدّرّ -والنسل،

مثل: الإبل - والبقر - والغنم - بشرط أن تبلغ النصاب، وأن ترعى معظم العام في كلإ مباح.

من ينعم النظر في تعاليم «الإسلام» يجد أن الزكاة لها المكانة العظمى في منهج الإسلام: من ذلك: أن «القرآن» جعل الزكاة مع التوبة - وإقام الصلاة عنوان الدخول في دين الإسلام - واستحقاق أخوة المسلمين. يؤيد ذلك قول الله تعالى: **﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾**(1).

كما جعل «القرآن» من أوصاف المؤمنين إقام الصلاة - وإيتاء الزكاة. استمع إلى قول الله تعالى: **﴿قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون﴾**(2).

والغنيّ بدون أداء الزكاة لا يدخل في زمرة المحسنين المهتدين بالقرآن الكريم، يشير إلى ذلك قوله تعالى: **﴿هدى ورحمة للمحسنين * الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾**(3).

والغنيّ بدون إخراج الزكاة لا يستحق رحمة الله التي كتبها لعباده المؤمنين الذين يؤتون الزكاة، يدلّ على ذلك قول الله تعالى: **﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة﴾**(4).

وبدون إخراج الزكاة لا يستحق المؤمنون نصر الله تعالى.

يشير إلى ذلك قول الله تعالى: **﴿ولينصرنّ الله من ينصره إن الله لقويّ عزيز * الذين إن مكنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة**

---

(1) سورة التوبة، آية 11.
(2) سورة المؤمنون، الآيات 1 - 4.
(3) سورة لقمان، الآيتان 3 - 4.
(4) سورة الأعراف، آية 156.

وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾[1].

ولقد اهتم الإسلام اهتمامًا كبيرًا بالفقراء، وعني أشدّ العناية بعلاج مشكلة الفقر، دون أن يكون هناك ثورة من الفقراء، أو مطالبة الجماعة بحقوقهم، ولم تكن عناية الإسلام بهذه القضية عناية سطحيّة أو عارضة، بل كانت من خاصة تعاليمه، ومبادئه.

والدليل على ذلك أن الإسلام جعل أداء الزكاة أحد أركان الإسلام:

فعن «ابن عمر» رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمّدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت، وصوم رمضان» اهـ. رواه البخاري، ومسلم.

والزكاة في نظر الإسلام ليست مجرّد عطاء يبذله الأغنياء للفقراء.

كلّا: بل الإسلام جعل الزكاة حقًّا ثابتًا، وفريضة مقدّسة في أموال الأغنياء، يوضح ذلك قول الله تعالى: ﴿والذين في أموالهم حقّ معلوم ★ للسائل والمحروم﴾[2].

ولا غرابة إذا ما عرفنا أن مالك المال إنْ هو إلا مجرّد أمين عليه، إذ المال في الحقيقة مال الله الرزّاق ذي القوة المتين.

يوضح ذلك قول الله تعالى: ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾[3].
وقوله تعالى: ﴿وآتوهم من مال الله الذي أتاكم﴾[4].

واعلم أخي المسلم أن الزكاة لا تسقط عن صاحبها بمرور السنين. من هذا يظهر لنا جليًّا الفرقُ الشاسع بين منهج الإسلام، ومنهج بني الإنسان: ففي

---

(١) سورة الحج، الآيتان ٤٠ - ٤١.
(٢) سورة المعارج، الآيتان ٢٤ - ٢٥.
(٣) سورة الحديد، آية ٧.
(٤) سورة النور، آية ٣٣.

قوانين البشر الضريبة الماليّة تسقط بالتقادم ومرور الأعوام حسب تحديد القانون.

أمّا الزكاة فإنها تظلّ دينًا في عنق المسلم لا تبرأ منها ذمته إلّا بأدائها وإن تكاثرت الأعوام.

كما أن الزكاة لا تسقط بموت ربّ المال، بل يجب على الورثة إخراجها من التركة العامة قبل أن يأخذ كل وارث نصيبه وسهمه يؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين﴾[1].

هذه طبيعة الزكاة كما شرعها الإسلام.

وممّا يدُلّ أيضًا على مدى اهتمام الإسلام بشأن الفقراء -وتأمين حقوقهم أن نبيّ الإسلام رغب في أداء الزكاة تارة -وخوّف من العقوبة التي ستلحق مانعها.

وفي باب الترغيب أخبر عليه الصلاة والسلام بأن الزكاة مفتاح الجنة. يؤيد ذلك الأحاديث التالية:

فعن «أبي هريرة -وأبي سعيد» رضي الله عنهما قالا:

خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده ثلاث مرّات، ثم أكبّ، فأكبّ كل رجل منّا يبكي لا يدري على ماذا حلف؟ ثم رفع رأسه وفي وجهه البشرى، فكانت أحبّ إلينا من حُمُر النَّعْم، قال: «ما من عبد يصلّي الصلوات الخمس، ويصومُ رمضان، ويخرجُ الزكاة، ويجتنب الكبائر السبع، إلا فتحت له أبواب الجنة، وقيل له: ادخل بسلام» اهـ[2].

وعن «أبي الدرداء» رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس من جاء بهنّ مع إيمان دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس، على وضوئهن

(١) سورة النساء، آية ١١.

(٢) رواه النسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٨٨.

ـ وركوعهن ـ وسجودهن ـ ومواقيتهن، وصام رمضان، وحج البيت إن استطاع إليه سبيلا، وأعطى الزكاة طيبة بها نفسه» اهـ[1].

وعن «معاذ بن جبل» رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ في سَفَر، فأصبحت يومًا قريبًا منه، ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله: أخبرني بعمل يُدْخِلُني الجنة ـ ويباعدني من النار؟ قال: «لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسّره الله عليه، تعبُدُ الله ولا تشرك به شيئًا ـ وتقيم الصلاة ـ وتؤتي الزكاة ـ وتصومُ رمضان ـ وتحجُّ البيت» اهـ[2].

كما اهتم الإسلام اهتمامًا شديدًا بما يحفظ على المسلم ماء وجهه من ذلّ المسألة، وفتح باب العمل، والكسب أمامه على مصراعيه. ولكن للأسف لا زال هناك من يدع العمل بحجة التبتّل، والانقطاع الكامل لعبادة الله تعالى بحجة قول الله تعالى: ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون﴾[3]. فهؤلاء لا يبيحون للإنسان أن يشتغل بحظ نفسه، عن عبادة ربّه. ومما لا جدال فيه هذه نظرة فاسدة، ومعتقد باطل. فالدين الإسلامي دين عبادة، وعمل معًا، ونبينا «محمد» ﷺ علمنا أنه لا رهبانية في الإسلام. وأن العمل الدنيويّ إذا أتقن، وصحّت فيه النية، وروعيت أحكام الإسلام، وتعاليم الإسلام، هو عبادة لله ربّ العالمين. كما قررت تعاليم الإسلام أن السعي على المعيشة ضرب من الجهاد ولهذا قرن الله بينه وبين الجهاد، فقال عزّ من قائل: ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾[4].

وقد حثّ نبينا «محمد» ﷺ على التجارة ـ ورغب فيها فقال عليه الصلاة

---

(١) رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٩٠.
(٢) رواه أحمد والترمذي وغيرهما، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٩٠.
(٣) سورة الذاريات، آية ٥٦.
(٤) سورة المزمّل، آية ٢٠.

والسلام: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصدّيقين والشهداء»[1].

كما حثّ على الزراعة والغرس، فقال: «ما من مسلم يزرع زرعًا، أو يغرس غرسًا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة» اهـ[2].

كما حثّ على الصناعات والحرف، فقال ﷺ «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده» اهـ[3].

هذه نظرة الإسلام للعمل ـ والعاملين.

ولكن مع كل هذا فلا زال هناك من لا يستطيع العمل لسبب أو لآخر:

مثل: الصبيّ اليتيم الذي لم يقو بعد عوده على العمل.

مثل: الشيخ الهرم الذي انحنى ظهره ـ ووهن عظمه.

مثل: المرأة العجوز التي أدّت دورها في الحياة ثم تخلّى عنها الجميع.

مثل: المشوّه الذي لا يستطيع إيصال لقمة العيش ـ أو شربة الماء إلى فيه.

هؤلاء وأمثالهم أمّن الإسلام لهم حياة كريمة عن طريق الزكاة.

ونبيّ الإسلام عليه الصلاة والسلام أخبر في غير حديث أن الزكاة من الأسباب الموصلة إلى جنّة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السرّاء ـ والضراء. يؤيد ذلك الأحاديث الآتية:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لمن حوله من أمته: «اكفلوا لي بستّ ـ أكفل لكم بالجنة، قلت: ما هي يا رسول الله؟

قال: «الصلاة ـ والزكاة ـ والأمانة ـ والفرج ـ والبطن ـ واللسان» اهـ[4].

---

(١) رواه الترمذي والحاكم بإسناد حسن.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٩٢.

وعن «ابن عباس» رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «من أقام الصلاة ـ وآتى الزكاة ـ وحجّ البيت ـ وصام رمضان ـ وقَرَى الضيف، دخل الجنة» اهـ[1].

وعن «أبي أيّوب» رضي الله عنه أن رجلًا قال للنبي ﷺ: أخبرني بعمل يدخلني الجنّة؟

قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئًا ـ وتقيم الصلاة ـ وتؤتي الزكاة ـ وتصل الرحم» اهـ[2].

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه، أن أعرابيًا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله دلّني على عمل إذا عملته دخلت الجنة؟

قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئًا ـ وتقيم الصلاة المكتوبة ـ وتؤتي الزكاة المفروضة ـ وتصوم رمضان».

قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا ـ ولا أنقص. فلما ولّى قال النبيّ ﷺ: «من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنّة فلينظر إلى هذا» اهـ[3].

ونبينا «محمد» ﷺ كرّم العاملين وأثنى عليهم: فعن «المقدام بن معديكرب» رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده» اهـ. رواه البخاري، وابن ماجة.

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لأن يحتطب أحدكم حُزْمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدًا فيعطيه، أو يمنعه» اهـ. رواه البخاري، ومسلم.

وعن «أنس رضي الله عنه أن رجلًا من الأنصار أتى النبي ﷺ فسأله

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٩٦.
(٢) رواه البخاريّ ومسلم، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٩٧.
(٣) رواه البخاريّ ومسلم، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٩٨.

فقال: «أما في بيتك شيء»؟

قال: بلى «حِلْسٌ»[1] نلبس بعضه، ونبسط بعضه وقَعْب[2] نشرب فيه الماء، قال ائتني بهما، فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده، وقال: «من يشتري هذين؟»

قال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال رسول الله ﷺ: من يزيد على دِرْهم مرّتين ـأو ثلاثًا؟

قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، فأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاريّ وقال اشتر بأحدهما طعامًا فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قَدُومًا، فأتني به، فأتاه به، فشدّ فيه رسول الله ﷺ عودًا بيده، ثم قال: «اذهب فاحتطب، وبعْ ـولا أرينَّك خمسة عشر يومًا، ففعل، فجاء، وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبًا، وببعضها طعامًا، فقال له رسول الله ﷺ: هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة» اهـ[3].

هذه هي نظرة الإسلام للعمل ـوالعاملين.

ولكن للأسف لا زال هناك من يدع العمل استهانة به، واحتقارًا له. وهذه بلا شك نظرة خاطئة، فقد حدّثنا التاريخ أن الكثيرين من أئمة الإسلام ـوأكابر العلماءـ نسبوا إلى حرف ـوصناعات كانوا يتعيشون منهاـ ولم يجدوا أي غضاضة أو مهانة في الانتساب إلى تلك الحرف ـوالصناعات، ولا زلنا نقرأ أسماء أعلام مثل: البزّار ـ والزجاج ـ والخرّاز ـ والجصاص ـ والخواص ـ والخيّاط ـ والصبان ـ والقطان ـ وغيرهم من الفقهاء ـ والمؤلفين ـ في شتّى جوانب الثقافة الإسلامية ـ والعربية.

هذه هي نظرة الإسلام ـ للعمل ـ والعاملين. ولكن في واقع الحياة لا زال

---

(١) الحِلْس: كل ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج، وما يبسط على الأرض.

(٢) القَعْب: هو القدح الضخم الغليظ.

(٣) رواه أبو داود والنسائي والترمذي، وقال حديث حسن، أنظر الترغيب جـ٢ ص٨٧٢.

هناك من لا قدرة له على العمل. فهل أمثال هؤلاء يتركون فريسة للفقر ـ وآلام الفقر؟

كلّا ـ فالإسلام بسماحته ـ وعظمته أمّن لهؤلاء حياة كريمة ففرض الزكاة في أموال الأغنياء ـ وجعل للفقراء منها نصيبًا مفروضًا.

ونبينا «محمد» ﷺ الذي بعثه الله رحمة للعالمين حثّ على أداء الزكاة ـوأخبر بأن الزكاة تطهر الإنسان من الذنوب والآثام، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «أنس» رضي الله عنه قال: «أتى رجل من تميم» رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني ذو مال كثير وذو أهْل ـ وحاضرة ـ فأخبرني كيف أصنع ـ وكيف أنفق؟ فقال رسول الله ﷺ: «تُخْرج الزكاة من مالك فإنها طُهْرة تطهّرك ـوتصلُ أقرباءك ـوتعرفُ حقّ المسكين ـوالجار ـوالسائل» اهـ[١].

كما أخبر الصادق الأمين بأن مانع الزكاة يعاقبه الله أشدّ العقوبة. فعن «جابر» رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من صاحب إبل لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت وقُعِدَ لها بقاع قَرْقَر تستنُّ عليه[٢] بقوائمها ـوأخفافها ـولا صاحب بقر لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أوفر ما كانت ـوقُعِدَ لها بقاع قَرْقَرٍ فتنطحه بقرونها ـوتطؤه بأظلافها ـ ليس فيها جمّاء[٣]. ولا منكسر قرنها ـولا صاحب كنز لا يَفْعَل فيه حقّه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعًا أقرع[٤] يتبعه فاتحا فاه ـفإذا أتاه فرّ منه ـ فيناديه خذ كنزك الذي خبّأته فأنا عنه غنيّ ـفإذا رأى أن لا بدّ له منه سلك يده في فيه فيقضمها قَضْمَ الفَحْل» اهـ[٥].

(١) رواه أحمد، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٨٩.
(٢) أي تجري فوقه بقوة.
(٣) الجماء هي التي لا قرن لها.
(٤) الذي سقط شعر رأسه.
(٥) رواه مسلم، أنظر الترغيب جـ١ ص٧٠٦.

ومع أن الإسلام بمبادئه السامية أمّن حقّ الفقراء إلا أنه في الوقت نفسه فتح أمامهم باب العمل الشريف على مصراعيه.

وجاء الهادي البشير ﷺ ورفع من شأن العاملين، وبيّن فضلهم، يوضح ذلك الأحاديث الآتية:

فعن «ابن عمر» رضي الله عنهما قال: «سئل رسول الله ﷺ أيّ الكسب أفضل؟ قال: عمر الرجل بيده، وكل بيع مبرور» اهـ. رواه الطبراني في الكبير، ورواته ثقات.

وعن «كعب بن عُجْرة» رضي الله عنه قال: «مرّ على النبي ﷺ رجل، فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جَلَدِه، ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله؟

فقال عليه الصلاة والسلام: «إن كان خرج يسعى على وَلَدِه صغارًا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبويْن شيْخيْن كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان» اهـ. رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

وعن «عائشة» أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أمسى كالّا من عمل يده -أمسى مغفورًا له» اهـ[1].

أيها المسلمون: مع هذه النصوص -وغيرها- التي أثبتت بجلاء ووضوح فضل وشرف أكل الإنسان من كسب يده.

إلا أنه وللأسف لا زال هناك من يدع العمل -والسعي في مناكب الأرض اعتمادًا على أخذ الزكاة -أو غيرها من الصدقات- والتبرّعات التي تجيء إليه من الآخرين- بغير تعب أو عناء. هؤلاء مما لا رَيْبَ فيه ليسُوا أهلًا للزكاة

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، والبيهقي، أنظر الترغيب جـ٣ ص٨٧٦.

ـولا لغيرها من الصدقات ما داموا أقوياء ـوقادرين على الكسب الشريف.

يوضح ذلك قول النبي ﷺ: «لا تحلّ الصدقة لغنيّ ـولا لذي مِرّة سويّ»[1].

والمِرّة: القويّ ـوالسويّ: السليم الأعضاء. وبهذا نجد الهادي البشير لم يجعل للكسالى نصيبًا في الصدقات، وذلك كي يدفع القادرين على العمل ـإلى الكسب الحلال.

كما أن الإسلام حذّر أشدّ الحذر من الاعتماد على أخذ الصدقات:

فعن «ابن عمر» رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ما يزال الرجل يسأل الناس، حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مُزْعة لحم» اهـ[2].

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «من سأل الناس أموالهم تكثّرا ـفإنما يسأل جَمْرًا ـ فليستقلّ ـأو ليستكثر» اهـ[3].

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يا أيها الناس: إن الغنى ليس عن كثرة العَرَض، ولكن الغنى غنى النفس ـوإن الله عزّ وجل يؤتي عبده ما كتب له من الرّزق، فأجملوا في الطّلب، خذوا ما حلّ ودعوا ما حَرُم» اهـ[4].

وعن «ابن عباس» رضي الله عنهما قال:

خطبنا رسول الله ﷺ في مسجد الخَيف فحمد الله، وذكره بما هو أهله، ثم قال: «من كانت الدنيا همّه، فرّق الله شمله ـوجعل فقره بين عينيهـ ولم

(١) رواه الخمسة وحسّنه الترمذي عن «أبي هريرة»، أنظر مجمع الزوائد جـ٣ ص٩٥.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه أبو يَعْلى بإسناد حسن، أنظر الترغيب جـ٢ ص٨٨٧.

يؤته من الدنيا إلا ما كُتب له» اهـ[1].

من هذا يتبين أنه على كل فرد مسلم أن يسعى ـ ويعمل ـ ويجتهد ـ ملتمسًا الرزق في خبايا الأرض ـ كيفما كان العمل الذي يزاوله: زراعة ـ أو صناعة ـ أو تجارة ـ أو تدريسًا ـ أو وعظًا ـ أو احترافًا بأيّ حرفة من الحرف النافعة.

فهو بعمله هذا يغني نفسه ـ ويسدّ حاجته وحاجة من يعولهم. غير مفتقر إلى معونة من فرد ـ أو مؤسسة ـ أو حكومة.

إذا ما تبين لنا هذا فمن حقّ وليّ الأمر أن يؤدّب كل صحيح البدن قادرٍ على التكسّب، يريد أن يعيش على الصدقات، متخذاً من سؤال الناس حرفة له.

عندئذ يتحقق قول الله تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾[2].

لقد جاءت تعاليم الإسلام واضحة تأمر كل قادر أن يعمل، ويسعى في طلب الرزق، ليكفي نفسه، ويغني أسرته، ولا يعرّض نفسه لذلّ المسألة.

أمّا من عجز عن العمل ولم يكن لديه مال موروث، أو مدّخر لسدّ حاجته فإن الإسلام تكفّل بتأمين معيشته، ففرض الزكاة على الأغنياء لسدّ حاجة الفقراء.

ومن ينعم النظر في أحكام الزكاة يجد أن الإسلام كما راعى مصلحة الفقراء، راعى أيضًا مصلحة الأغنياء، فأوجب الزكاة في العام مرّة واحدة عند بلوغ المال النصاب.

ولو أن الإسلام أوجب الزكاة كل شهر مثلًا لأضرّ ذلك بأرباب الأموال، كما لو أوجبها في العمر مرّة واحدة لأضرّ ذلك بالفقراء.

ولكن سماحة الإسلام اقتضت أن تكون الزكاة كل عام، إذ في ذلك

(١) رواه الطبراني، أنظر الترغيب جـ٢ ص٨٩٥.
(٢) سورة المنافقون، آية ٨.

مراعاة مصلحة كل من الأغنياء، والفقراء. كما أن تعاليم الإسلام اقتضت أن يكون مقدار الزكاة قليلًا بحيث لا يؤثر في ثروة الأغنياء. علمًا بأن النبي ﷺ أخبر بأن الصدقة لا تنقص المال بل تنمّيه، يوضح ذلك الحديث الآتي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقةٌ من مال -وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا- وما تواضع أحد لله إلّا رفعه الله عزّ وجل» اهـ[1].

كما أخبر عليه الصلاة والسلام بأن الزكاة تذهب الشرّ عن الأموال -مثل الجوائح- وغيرها، يرشد إلى ذلك الحديثان التاليان: فعن «جابر» رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أرأيت إنْ أدّى الرجل زكاة ماله؟

فقال رسول الله ﷺ: «من أدّى زكاة ماله، فقد ذهب عنه شرّه» اهـ[2] أي ذهب عن المال فساده-ومحقه- إذ الزكاة تطهره -وتنميه- وتحفظه من التلف- ويبارك لصاحبه فيه.

وعن «الحسن» رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حصّنوا أموالكم بالزكاة -وداووا مرضاكم بالصدقة، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرّع» اهـ[3].

كما أخبر الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام بأن أداء الزكاة من علامات الإيمان -وأن من أدّى الزكاة طيبة بها نفسه ذاق حلاوة الإيمان، يوضح ذلك الحديثان التاليان:

فعن «ابن عمر» رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«من كان يؤمن بالله ورسوله فليؤدّ زكاة ماله»

---

(١) رواه مسلم، أنظر رياض الصالحين ص٢٦١.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٩٣.

(٣) رواه الطبراني والبيهقي وغيرهما، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٩٤.

«من كان يؤمن بالله ورسوله، فليقل حقًّا أو ليسْكت،

«من كان يؤمن بالله ورسوله، فليكرم ضيفه» اهـ[1].

وعن «عبدالله بن معاوية الغَاضِيريّ» رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من فعلهنّ فقد طَعِمَ طَعْم الإيمان: من عبد الله وحده -وعلم أن لا إله إلا الله- وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه رافدة عليه كل عام، ولم يعط الهرمة -ولا الدّرِنَة -ولا المريضة -ولا الشّرط اللئيمة -ولكن من وسط أموالكم -فإن الله لم يسألكم خيره -ولم يأمركم بشرّه» اهـ[2].

والمراد بالهرمة: العجوزة المسنّة -وبالدّرنة: الجرباء -وبالشَّرط: العجفاء ونحوها.

كما أخبر الهادي البشير عليه الصلاة والسلام بأن من مات وهو يؤدّي الزكاة كان مع الصدّيقين -والشهداء.

يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «عمرو بن مرّة» الجهنيّ رضي الله عنه قال: جاء رجل من «قضاعة» إلى رسول الله ﷺ فقال: شهدتُ أن لا إله إلا الله -وأنك رسول الله- وصلّيتُ الخمس- وصمتُ رمضان وقمتُه -وآتيتُ الزكاة، فقال رسول الله ﷺ «من مات على هذا كان من الصدّيقين -والشهداء» اهـ[3]. والله أعلم.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٩٦.

(٢) رواه أبو داود، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٩٩.

(٣) رواه البزار بإسناد حسن، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٩٨.

حكمة التشريع الإسلامي من تعدد الزوجات

السؤال على هذا الموضوع، والإجابة عليه:

س ١ : أباح الدين الإسلامي لكل رجل حرّ أن يجمع بين أربع نسوة من الحرائر بشرط أن يعدل بينهنّ والكثيرون من الناس يبحثون عن معرفة حكمة التشريع الإسلامي عندما أباح التعدد.

نريد من فضيلتكم إلقاء الضوء على هذا الموضوع الهام.

جـ ١ : قال الله تعالى: **﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألّا تعولوا﴾**[1].

هذه الآية الكريمة أعطت كل رجل مسلم حرّ الحق في أن يتزوج بأكثر من واحدة حتى يصل العدد إلى أربع زوجات وفقًا لشروط معينة بيّنها الشرع الشريف.

وبناء عليه فكل من ينادي بعدم تعدد الزوجات دعواه باطلة، ولا حجة له فيما يدّعيه.

وأقول لهؤلاء: إن تعاليم الإسلام ستظلّ مشرقة بالرغم من هذه الافتراءات

(١) سورة النساء، آية ٣.

التي لا مصدر لها سوى الجهل بتعاليم الإسلام. ومن يقرأ التاريخ القديم يجد أن الإسلام لم يكن أوّل من شرع تعدّد الزوجات، لأنه كان موجودًا في كثير من الأمم القديمة: مثل: الصينيين، والهنود، والبابليّين، والأشوريين، والمصريّين، والديانة اليهوديّة كانت تبيح التعدّد، وأنبياء التوراة كانت لهم زوجات كثيرات، وعلى سبيل المثال يروى أن نبيّ الله «سليمان» عليه السلام، كان له سبعمائة امرأة من الحرائر عدا الإماء.

يقول «العقّاد» في كتابه: المرأة في القرآن الكريم ص١٣٢ إن اقتناء السّراري كان مباحًا في المسيحية على إطلاقه كتعدّد الزوجات وربما نصح بعض الأئمة عند النصارى بالتسري لاجتناب الطلاق في حالة عقم الزوجة الشرعية» اهـ.

والمسيحية المعاصرة تعترف بالتعدّد في «أفريقيا» حيث وجدت الإرساليّة التبشيرية نفسها أمام واقع اجتماعي وهو تعدد الزوجات لدى الإفريقيين الوثنيين، ورأوا أن الإصرار على منع التعدد يحول بينهم وبين الدخول في النصرانية، فنادوا بوجوب السماح للأفريقيين المسيحيين بالتعدد[1].

ولقد أباح الله تعالى تعدد الزوجات لمقاصد سامية ـ وحكم جليلة تجلّى لنا بعضها، وغاب عنا البعض الآخر، فمن هذه الحكم ما يلي:

أولًا: عند زيادة عدد النساء على الرجال، ففي هذه الحالة يكون التعدد أمرًا واجبًا ـ وأخلاقيًّا ـ واجتماعيًّا. وهو أفضل بكثير من تسكّع النساء الزائدات عن الرجال في الشوارع والطرقات بلا عائل. ولا أظن أنه يوجد إنسان يحترم استقرار النظام الاجتماعي يفضل انتشار الدعارة على تعدد الزوجات.

ومنذ أوائل هذا القرن تنبه الكثيرون من رجال الغرب إلى ما ينشأ من منع تعدد الزوجات من تشرد النساء، وانتشار الفاحشة وكثرة الأولاد غير

(١) أنظر الإسلام والنصرانية في أواسط أفريقيا لنمورجيه ص٩٢ فما بعدها.

الشرعيين، فأعلنوا أنه لا علاج لذلك إلا السماح بتعدد الزوجات[1].

ثانيًا: عند قلة الرجال عن النساء نتيجة الحروب الطاحنة، أو الكوارث العامة، والعياذ بالله تعالى فبعد الحرب العالمية الثانية قام في «ألمانيا» جمعيات نسائية يطالبن بالسماح بتعدد الزوجات.

ثالثًا: قد تكون الزوجة عقيمًا، والرجل بطبعه يحب الذرّية، ولا حرج عليه في ذلك، إذ حبّ الأولاد غريزة في نفس كل إنسان، ومثل هذا ليس أمامه إلا أحد أمرين: إمّا أن يطلق زوجته العقيم، أو أن يتزوج أخرى عليها.

ومما لا جدال فيه أن الزواج بأخرى أفضل بكثير من الطلاق، وذلك لمصلحة الزوجة العاقر نفسها، لأنه خير لها أن تبقى زوجة ولها شريكة أخرى في حياتها الزوجية، على أن تفقد بيت الزوجية، ثم لا أمل هناك بعد ذلك فيمن يرغب في الزواج منها بعد أن يعلم أن طلاقها كان لعقمها.

فهي حينئذ مخيرة بين التشرد ـ وبين البقاء في بيت زوجها، ولها كل الحقوق الزوجية، فمما لا شك فيه أن المرأة العاقلة تفضل التعدّد على التشرد.

رابعًا: أن تصاب الزوجة بمرض مزمن ـ أو معد ـ أو منفّر، بحيث لا يستطيع معه الزوج أن يعاشرها معاشرة الأزواج فالزوج هنا بين حالتين: إمّا أن يطلقها ـ وإمّا أن يتزوج عليها أخرى، ويبقيها في عصمته، ولها حقوقها كزوجة.

مما لا ريب فيه أن بقاءها أكرم، وأضمن لسعادة الزوجة المريضة.

هذا وبالله التوفيق. والله أعلم.

---

(١) أنظر مجلة المنار المجلد الرابع ص٤٨٥ ـ ٤٨٦.

حُكْم النسخ في القرآن الكريم

الحمدلله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا «محمد» وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾[1].

عن «البراء بن عازب» رضي الله عنه قال:

«لما قدم رسول الله ﷺ المدينة صلّى نحو «بيت المقدس» ستّة، أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحبّ أن يُوَجَّه إلى «الكعبة» فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وُجُوهَكم شطره﴾[2].

فوُجّه نحو «الكعبة» وكان يحبّ ذلك فصلّى رجل معه «العصر»، قال: ثم مرّ على قوم من الأنصار وهم ركوع في صلاة العصر، نحو «بيت المقدس» فقال: هو يشهد أنه صلّى مع رسول الله ﷺ وأنّه قد وُجّه إلى «الكعبة» فانحرفوا وهم ركوع». أخرجه الترمذي.

---

(١) سورة البقرة، آية ١٠٦.

(٢) سورة البقرة، آية ١٤٤.

وبعد: فهذه مجموعة من الأسئلة والإجابة عليها حول: «حكم النسخ في القرآن الكريم»:

س ١: نحب ونحن في بداية حديثنا عن «النسخ في القرآن الكريم» أن تحدثنا عما يلي: تعريف النسخ، وبيان حكمه، ثم عن أدلة وقوع النسخ.

جـ ١: إن موضوع النسخ من المباحث الهامّة المتصلة بعلوم القرآن اتصالًا وثيقًا، لذلك فقد اهتم العلماء بهذه القضية قديمًا وحديثًا. ولا أكون مبالغًا إذا قلت إن قضية النسخ نشأت منذ باكورة الإسلام، وفي حياة النبي عليه الصلاة والسلام.

فالصحابة رضوان الله عنهم وجّهوا معظم اهتمامهم إلى القرآن الكريم، فكانوا كلما نزلت آية فهموها فهمًا جيّدًا وتعلموا حلالها وحرامها، وعملوا بما فيها ومن هنا كانت عنايتهم بمعرفة الناسخ والمنسوخ شديدة وذلك ليتحرزوا من العمل بالأحكام التي تمّ نسخها، ويقبلوا على العمل بالمحكم منها.

بعد ذلك أنتقل إلى الإجابة على الفقرات المطلوبة، فأقول: يطلق النسخ في اللغة على عدة معان منها:

١ - النقل، يقال: نسخت كتابي من كتاب فلان إذا نقلته منه.

٢ - ومنها: الإزالة، تقول العرب نسخت الشمسُ الظلّ بمعنى أزالته وحلت محله.

وفي اصطلاح علماء أصول الفقه يطلق النسخُ ويراد منه انتهاء حكم شرعيّ بطريق شرعيّ متراخ عنه.

ومعنى ذلك: أن ينتهي العمل بحكم من الأحكام الشرعية بدليل شرعيّ آخر، سواء كان من الكتاب أو من السنة، بشرط أن يكون الدليل الناسخ للحكم متأخّرًا في الورود من دليل الحكم المنسوخ.

مثال ذلك قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[1].

لما نزلت هذه الآية سأل الصحابة الرسول ﷺ عن معنى قوله تعالى «اتقوا الله حق تقاته»: فقال الهادي البشير ﷺ: معنى ذلك: أن يطاع الله فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى» اهـ. فقال الصحابة: ومن يقوى على ذلك يا رسول الله، فنُسخ ذلك الحكم بقوله تعالى ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾[2].

أما عن حكم النسخ فأقول: إن المنطق السليم يقرر بجواز النسخ عقلًا، لأنه لا يترتب على وقوعه محال، بل وقوعه مبني على حكم جليلة يعلمها الله تعالى.

ومن يقرأ أقوال العلماء في هذا يجد هناك شبه إجماع منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم حتى عصرنا الحاضر على وقوع النسخ في القرآن الكريم.

وإذا ما رجعنا إلى علماء أصول الفقه نجدهم يقررون ذلك، ويقولون، أجمع المسلمون على أن النسخ جائز عقلًا، وواقع شرعًا، إلا ما نقل عن نفر قليل مثل: «أبي مسلم الأصفهاني» ت ٣٢٢ هـ.

وهذا لا يعتد به لأنه مجانب للصواب، ومخالف لما عليه العلماء. أما عن أدلة وقوع النسخ فأقول: ثبت وقوع النسخ بالكتاب، والسنة - والإجماع.

أما الكتاب فحسبي أن أستدل على ذلك بآيتين أولاهما مكّية، وهي قوله تعالى: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية، والله أعلم بما ينزّل قالوا إنما أنت مُفْتَر بل أكثرهم لا يعلمون﴾[3].

وثانيتهما مدنية وهي قول الله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو نُنسها نأت

(١) سورة آل عمران، آية ١٠٢.
(٢) سورة التغابن، آية ١٦.
(٣) سورة النحل، آية ١٠١.

بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾[1].

وهذا إلقاء الضوء على أقوال العلماء في معنى هاتين الآيتين كي تتضح الحجة، ويقوى البرهان. قال «مُجاهد بن جبر» ت ١٠٤ هـ سنة مائة وأربعة من الهجرة: معنى قوله تعالى: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾[2] أي نسخناها ورفعناها، وأثبتنا غيرها.

وقال ابن جرير الطبري: ت ٣١٠ هـ: «معنى ذلك: إذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكمًا آخر، والله أعلم بالذي هو أصلح لخلقه فيما يبدّل ويغيّر من أحكام» اهـ.

ويقول «الطبري» في معنى قوله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية﴾ الخ.

يقول: «معنى ذلك: أي ما ننقُل من حكم آية إلى غيره فنبدله ونغيره نأت بحكم آخر» الخ.

ثم يقول «الطبري»: ولا يكون ذلك أي النسخ إلا في الأمر والنهي، والمنع، والإباحة، أما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ» اهـ.

وأما السنة: فالآثار في ذلك أكثر من أن تحصى، ومن أراد الوقوف على ذلك فعليه بالمصنفات التي تصدت بالتفصيل للآيات المنسوخة، فإنه سيجد كل ما يريد.

وأما الإجماع: فإن من يتابع هذه القضية منذ نشأتها حتى عصرنا الحاضر فإنه سيجد إجماعًا على وقوعها. والله أعلم.

س ٢: هناك أنواع من النسخ اختلف فيها العلماء نحب تجلية هذه القضية.

جـ ٢: هذا السؤال من أهم الأسئلة، وأصعبها، لأن من يقرأ أقوال العلماء في ذلك يجد اختلافًا كثيرًا.

---

(١) سورة البقرة، آية ١٠٦.

(٢) سورة النحل، آية ١٠١.

وحرصًا على الوقت، والرغبة في إعطاء فكرة ميسّرة عن هذا الموضوع أقول وبالله التوفيق: هناك أنواع من النسخ اتفق عليها العلماء وهي: نسخ الكتاب بالكتاب + نسخ السنة المتواترة بالسنة المتواترة + نسخ الآحاد بالآحاد.

وهناك أنواع من النسخ اختلف فيها العلماء وهي موضوع حديثنا، في مقدمة هذه الأنواع: نسخ الكتاب بالسنة المتواترة. وقد اختلف العلماء في ذلك:

فذهب جمهور العلماء إلى أنه يجوز نسخ الكتاب بالسنة المتواترة. وحجتهم أن نسخ القرآن بالسنة المتواترة ليس مستحيلًا، لأن القرآن كما هو قطعي الثبوت، فالسنة المتواترة أيضًا قطعية الثبوت.

ولأن السنة وحيٌ من الله تعالى، كما أن القرآن كذلك، ولا فارق بينهما إلا أن ألفاظ القرآن من ترتيب الله تعالى، وألفاظ السنة من ترتيب الرسول ﷺ.

فنسخ أحد هذين الوحيين بالآخر لا مانع يمنعه عقلًا، كما أنه لا مانع يمنعه شرعًا. وقد استدلّ المجوّزون لنسخ القرآن بالسنة المتواترة بعدة أدلة:

الدليل الأول، أن آية الجلد وهي قول الله تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾[1]. تشمل المحصنين وغيرهم من الزناة، ثم جاءت السنة فنسخت عمومها بالنسبة إلى المحصنين ـ وهم المتزوجون ـ أي الذين سبق لهم زواج شرعي، وحكمت بأن عقوبتهم الرجم، وقد ثبت ذلك بالسنة العملية.

الدليل الثاني: قول الله تعالى: ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم، فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى

(١) سورة النور، آية ٢.

يتوفاهن الموتُ أو يجعل الله لهن سبيلًا﴾[1]. ومعنى ذلك أن المرأة إذ زنت وأقيمت عليها الحجة بشهادة أربعة، كانت عقوبتها الحبس في البيت إلى أجل غير مسمّى، حتى جعل الله لهنّ سبيلًا، ونسخ هذا الحكم بقول النبي ﷺ: «خذوا عنّي خذوا عنّي، قد جعل الله لهنّ سبيلًا، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم» اهـ. رواه عبادة بن الصامت.

النوع الثاني من أنواع النسخ المختلف فيها: نسخ السنة بالكتاب. وقد اختلف العلماء في هذا النوع أيضًا: فذهب جمهور العلماء إلى أنه يجوز نسخ السنة بالكتاب. وحجتهم أن نسخ السنة بالقرآن ليس مستحيلًا، لأن السنة وحيٌ من الله تعالى كما أن القرآن وحيٌ، ولا مانع من نسخ وحي بوحي. وقد استدل الجمهور على صحة الجواز بعدة أدلة:

منها: أن التوجه في الصلاة إلى بيت المقدس كان واجبًا، وليس في القرآن ما يدلّ على الوجوب، وإنما ثبت ذلك بالسنة العملية، ثم نسخ التوجه إلى بيت المقدس بالتوجه إلى المسجد الحرام بقوله تعالى: ﴿قد نرى تقلّب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾[2].

والله أعلم.

س ٣: للنسخ أركان وشروط كما أن له طرقًا يعرف بها، حول هاتين القضيتين نحب أن يكون حديثنا.

جـ ٣: هذا السؤال في غاية الأهمية. فأركان النسخ أربعة: الناسخ - والمنسوخ به - والمنسوخ عنه - والمنسوخ. وبذكر شروط هذه الأركان يتم بيان شروط النسخ. وهذا بيان شروط كل ركن على حدة:

---

(١) سورة النساء، آية ١٥.

(٢) سورة البقرة، آية ١٤٤.

أولًا: شروط الناسخ:

اتفق العلماء على أن الناسخ هو الشارع الحكيم، فذلك حقّه لا يشاركه فيه أحد مهما كان، وهو ينسخُ بخطاب منه، كما شرع الحكم بدليل منه أيضًا. وهذا الدليل تارة يكون قرآنًا، وتارة يكون سنة، إذ النبي ﷺ مبلغ عن ربّه، وهو كما وصفه الله بقوله: ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحيٌ يوحى﴾[1].

ثانيًا: شروط المنسوخ به:

يشترط في المنسوخ به ثلاثة شروط:

الشرط الأول: يجب في الدليل الناسخ أن لا يكون أضعف من دليل الحكم المنسوخ.

الشرط الثاني: أن يكون مدلول الدليل الناسخ مغايرًا للحكم المنسوخ بحيث لا يمكن الجمع بينهما وإعمالها معًا.

الشرط الثالث: أن يكون الدليل الناسخ متأخّرًا وروده عن ثبوت الحكم المنسوخ وبناء عليه فلا ينسخ حكم شرعيّ بدليل أنزل قبله، ولا بخطاب صدر معه ومما تجدر الإشارة إليه أن كلًا من الإجماع، والقياس لا ينسخان حكمًا ثبت بالدليل الشرعي.

ثالثًا: شروط المنسوخ عنه:

يجب في المنسوخ عنه أن يكون أهلًا للتكليف حتى يصحّ ورود دليل جديد ينسخ الحكم السابق الذي كلفه به الشارع.

رابعًا: شروط المنسوخ:

يجب في المنسوخ أن يكون حكمًا شرعيًّا عمليًّا ثابتًا بالنص غير مؤبَّد

---

(١) سورة النجم، الآيتان ٣ ـ ٤.

نصًا، إذ لا يؤبّد الشارع حكمًا وهو لا يعلم أنه سينسخه بعد مدّة.

ولذلك لا يجوز نسخُ الأخبار المحضة، لأن نسخها يعتبر تكذيبًا للمخبر بها، والشارع منزّه عن الكذب.

كما لا يجوز نسخ الأحكام الشرعية الاعتقادية، لأن أحكام العقيدة ثابتة في جميع الشرائع الإلهية.

أما عن الطرق التي يعرف بها النسخ فأقول:

النسخ يقتضي أن يكون هناك دليلان متعارضان في الحكم، وحينئذ يصبح الأمر يتطلب البحث عن معرفة أيّ الدليلين متأخّر عن الآخر، وبعدها يُحكم بأن المتقدم في النُّزول هو المنسوخ، والمتأخر هو الناسخ، مثال ذلك: قول الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة**﴾ الخ[1].

وقوله: ﴿**أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات، فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله، والله خبير بما تعملون**﴾[2].

هاتان الآيتان كل منهما أفادت حكمًا شرعيًا: فالآية الأولى تضمنت الأمر بتقديم الصدقة عند مناجاة النبي عليه الصلاة والسلام. والآية الثانية تضمنت العدول عن هذا الحكم، وإباحة المناجاة دون تقديم الصدقة.

من هذا يتبيّن أن الحكمين متعارضان، وقد قال العلماء: لما كانت الآية الثانية متأخّرة في النزول عن الآية الأولى اعتبرت ناسخة لها.

وكما في قوله تعالى: ﴿**يا أيها النبيّ حرض المؤمنين على القتال، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم مائة يغلبوا**

---

(١) سورة المجادلة، آية ١٢.

(٢) سورة المجادلة، آية ١٣.

ألفًا من الذين كفروا﴾[1].

وقوله: ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفًا، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين. وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾[2].

هاتان الآيتان كل منهما أفادت حكمًا شرعيًا، والحكمان يعتبران متعارضين إذ الآية الأولى أفادت أن الفرد المسلم يستطيع أن يغلب عشرة من الكفار والآية الثانية أفادت أن الفرد المسلم يستطيع أن يغلب اثنين فقط ولما كانت الآية الثانية متأخرة في النزول عن الآية الأولى اعتبرت ناسخة لها. والله أعلم.

س ٤: النسخ في القرآن على عدة أنواع، نحب تجليتها، ثم تلقون الضوء على بعض الحِكَم التي تستفاد من النسخ.

جـ ٤: من يطالع المصنفات التي تصدت للكتابة عن النسخ يجدها تجمع على أن النسخ في القرآن نوعان:

النوع الأول: نسخ الحكم وبقاء التلاوة: مثال ذلك قول الله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصية لأزواجهم متاعًا إلى الحول غير إخراج﴾[3].

فهذه الآية تفيد أن عدة المرأة المتوفى عنها زوجها حول كامل، إذا كانت غير حامل. ثم نسخ ذلك الحكم، وبقيت التلاوة، بقول الله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا﴾[4]. فإن قيل: ما الحكمة التي تستفاد من رفع الحكم وبقاء التلاوة؟ أقول: لعل الحكمة من ذلك ترجع إلى أمرين:

---

(١) سورة الأنفال، آية ٦٥.
(٢) سورة الأنفال، آية ٦٦.
(٣) سورة البقرة، آية ٢٤٠.
(٤) سورة البقرة، آية ٢٣٤.

الأول: أن النسخ في الغالب يكون للتخفيف والتيسير على الأمة، فأبقيت التلاوة للتذكير بهذه النعمة الكبرى، والمنة العظمى من الله تعالى.

والثاني: أن القرآن كما نزل ليُعمل بأحكامه ويتعبد بها، فإنه نزل أيضاً ليثاب المسلم على قراءته.

فنسخ الحكم وبقيت التلاوة ليتعبد بها.

النوع الثاني: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم، مثال ذلك: ما روي عن كل من «عمر بن الخطاب، وأبيّ بن كعب» رضي الله عنهما أنهما قالا: «كان فيما أنزل من القرآن: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله، والله عزيز حكيم».

فنسخ لفظ هذه الآية بدليل أنه لا وجود لها بين دفّتي المصحف، ولكن بقي حكمها وسيظل العمل به إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فإن قيل: ما الحكمة في ذلك:

أقول: لعل الحكمة ترجع إلى أن هذه الآية نزلت لتقرير حكمها وردْعًا لكلّ من تحدثه نفسه بمزاولة هذه الفاحشة، حتى إذا ما تقرر الحكم وعُرف لدى جميع المسلمين نسخ الله تعالى تلاوتها إشارة إلى شناعة هذه الفاحشة، وبشاعة صدورها من شيخ وشيخة، وكأن الله تعالى يشير بذلك إلى تنزيه الألسن والأسماع بهذه الحادثة الخطيرة فضلاً عن الفرار من ارتكابها، والتلوث برجسها.

أضيف إلى ما تقدم، بعض الحِكَم التي قد تستفاد من النسخ:

أولاً: إرادة الخير إلى الأمة الإسلامية. لأن النسخ إن كان إلى أخفّ ففيه يُسرٌ وسهولة على المكلفين، وإن كان إلى غير ذلك ففيه زيادة الثواب.

ثانيًا: النسخ فيه إشارة إلى تطور التشريع الإسلامي حسب تطور الدعوة الإسلامية وتطوّر حال المسلمين.

وبيان ذلك أن الأمة الإسلامية في بدايتها كانت تُعاني فترة انتقال شاق، بل كان أشدّ ما يكون عليها ترك عقائدها، ومورروثاتها وعاداتها، ولأن الطفرة من نوع المستحيل الذي قد لا يطيقه الإنسان، من هذا جاءت الشريعة متدرجة إلى الكمال رويدًا رُويدًا حتى أتم الله نوره ودخل الناس في دين الله أفواجًا. والله أعلم.

خصائص الأمّة المحمدية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا «محمد» وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿كنتم خير أمّة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[1].

وعن «أبي موسى الأشعريّ» رضي الله عنه قال:

قال النبي ﷺ: «إن الله أنزل عليّ أمانيْن لأمتي: ﴿وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم وما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون﴾[2]. رواه الترمذي.

وبعد: فهذه مجموعة من الأسئلة والإجابة عليها حول: «خصائص الأمّة المحمدية».

س ١: من يقرأ السنة المطهرة يجد الكثير من الأحاديث التي ينشرح لها الصدر ويطمئن لها القلب، ويسعد بها كل مؤمن يعبد الله حق عبادته.

إذ سيجد أحاديث تعرضت لذكر خصائص هذه الأمة المحمدية.

---

(١) سورة آل عمران، آية ١١٠.

(٢) سورة الأنفال، آية ٣٣.

نرجو من فضيلتكم تسليط الأضواء على قبس من هذه الأحاديث كي يسرَّ بها كل قارىء كريم.

ج ١ : إن الأحاديث التي جاءت متضمنة بعض خصائص هذه الأمة كثيرة ومتعددة وحسبي أن أشير إلى طرف منها.

ومن أراد المزيد فعليه بالرجوع إلى الأحاديث الواردة في فضل أمّة نبينا « محمد » ﷺ.

في مقدمة هذه الخصائص نجد أحاديث تبيّن أن شهادة الجماعة المؤمنة مقبولة عند الله تعالى، لأنها شهادة الله من الأرض.

فعن « أنس بن مالك » رضي الله عنه قال:

« مرّ بجنازة فأثني عليها خيرٌ، فقال النبي ﷺ ، وجبت، وجبت، وجبت، ومرّ بجنازة فأُثني عليها شرٌّ، فقال نبي الله ﷺ ، وجبت، وجبت، وجبت ». فقال « عمر » رضي الله عنه، فِدًى لك أبي وأمي، مرّ بجنازة فأثني عليها خيرٌ، فقلت: وجبت، وجبت، وجبت، ومرّ بجنازة فأثني عليها شرٌّ، فقلت: وجبت، وجبت، وجبت، فقال رسول الله ﷺ ، من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًّا وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، اهـ[1].

ومن خصائص هذه الأمة أنها أمة مرحومة، والذين سيدخلون الجنة بعفو الله تعالى سيكون عددهم نصف عدد جميع الأمم السابقة:

فعن « عبدالله بن مسعود » رضي الله عنه قال:

« كنا مع النبي ﷺ في قبّة نحوًا من أربعين، فقال: « أترضون أن تكونوا رُبُعَ أهل الجنة؟ فقلنا: نعم، قال: « أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا: نعم، قال « والذي نفس « محمد » بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل

(١) رواه مسلم، أنظر جامع الأصول جـ٩ ص١٨٠.

الجنة، وذلك لأن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم من أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر» اهـ[1].

ويؤيد هذا الحديث في المعنى الحديث التالي:

فعن «بريدة» رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم» اهـ[2].

ومن خصائص هذه الأمة أن الله سبحانه وتعالى سيتفضل على عدد كبير منهم ويدخلهم الجنة بلا حساب، ولا عقاب:

فعن «أبي أمامة» الباهلي رضي الله عنه قال:

«سمعت رسول الله ﷺ يقول: وعدني ربّي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب، ومع كل ألف سبعون ألفًا، وثلاث حثيات من حثيات ربّي» اهـ[3].

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفًا بغير حساب، فقال رجل - هو عكاشة بن مِحْصن الأسدي - فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «اللهم اجعله منهم، ثم قام آخر، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال: سبقك بها عكاشة» اهـ[4].

ومن خصائص هذه الأمة أنها لا تجتمع على ضلالة:

فعن «أبي مالك الأشعري» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «قد

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم، أنظر جامع الأصول جـ٩ ص١٨٧.

(٢) أخرجه الترمذي، أنظر جامع الأصول جـ٩ ص١٩٢.

(٣) أخرجه الترمذي، أنظر جامع الأصول جـ٩ ص١٩٠.

(٤) أخرجه مسلم، أنظر جامع الأصول جـ٩ ص١٩٠.

أجاركم الله من ثلاث خلال: أن لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعاً، وأن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق، وأن لا تجتمعوا على ضلالة» اهـ[1].

ومن خصائص هذه الأمة أن الله تعالى تكرّم عليها بالأمن والأمان، مدّة حياة النبي ﷺ، وما داموا يستغفرون الله تعالى:

فعن «أبي موسى الأشعري» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله أنزل عليّ أمانين لأمتي[2]: ﴿وما كان الله ليُعذِّبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾[3] اهـ. والله أعلم.

س ٢: من خصائص الأمة المحمدية أن الله منحها دون غيرها من سائر الأمم المقدرة على حفظ كتابها.

ولذا كرّم الله تعالى حفّاظ القرآن، ومنحهم الثواب الجزيل حيث جعلوا قلوبهم أوعية لكلامه.

حول فضل حفاظ «القرآن» نحب أن يكون حديثنا، كي يكون ذلك حافزاً للشباب وغيرهم على حفظ القرآن الكريم.

ج ٢: نعم الله تعالى على عباده لا حصر لها، وصدق الله حيث قال: ﴿وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾[4].

ومن أجلّ هذه النعم، توفيق الله تعالى للمسلم بحفظ «القرآن» والقرآن خير صديق وأفضل جليس، ومن جعله أمامه وعمل بتعاليمه ساقه إلى الجنة، ومن جعله خلفه ولم يهتد بهديه زجّ به في النار، والعياذ بالله تعالى.

ولقد فاز حفاظ القرآن بالثواب الجزيل، والأجر العظيم، كما أكرمهم الله

---

(١) أخرجه أبو داود، أنظر جامع الأصول جـ٩ ص١٩٥.
(٢) أخرجه الترمذي، أنظر جامع الأصول جـ٩ ص١٩٧.
(٣) سورة الأنفال، آية ٣٣.
(٤) سورة النحل، آية ١٨.

تعالى بعزّ الدنيا، وسعادة الآخرة. وأحاديث الهادي البشير خير شاهد على ذلك:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ويجيء صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول القرآن، يا ربّ حلّه، فيلبس تاج الكرامة ثم يقول: يا ربّ زده فيُلبس حلّة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارق، ويزداد بكل آية حسنة» اهـ[1].

حقًّا، إنها لمنة كبرى، ودرجة عظمى سيفوز بها حامل القرآن يوم القيامة حيث يلبسه الله تعالى تاج الكرامة، ويمنح بكل آية يحفظها درجة في الجنة.

وعن «ابن عمر» رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر، ولا ينالهم الحساب، هم على كثيب من مسك حتى يفرغ من حساب الخلائق:

رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله، وأمّ به قوما وهم به راضون، وداعٍ يدعو إلى الصلوات ابتغاء وجه الله.

وعبد أحسن فيما بينه وبين ربه، وفيما بينه وبين مواليه» اهـ[2].

نعم ألا يعتبر هذا التكريم لحفّاظ «القرآن» من أجلّ النعم، التي هي خيرٌ من الدنيا الفانية؟

وعن «عبدالله بن عمرو» رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد».

يقول الصيام: ربّ إني منعته الطعام والشراب بالنهار فشفعني فيه.

ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان» اهـ[3].

---

(١) رواه الترمذي وابن خزيمة والحاكم وقال صحيح الاسناد، أنظر الترغيب جـ٢ ص٥٨٥.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط والصغير، أنظر الترغيب جـ٢ ص٥٨٧.

(٣) رواه أحمد، والطبراني في الكبير، أنظر الترغيب جـ٢ ص٥٨٩.

ومن الأحاديث التي جاءت في فضل حفظة القرآن الحديث التالي:

فعن «أنس» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله أهلين من الناس، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» اهـ[1].

ومن فضل الله تعالى على حفاظ القرآن أن الله بمنّه وكرمه يُشَفِّع حافظ القرآن في عشرة من أهل بيته، يدلّ على ذلك الحديث التالي:

فعن «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ القرآن فاستظهره - أي حفظه عن ظهر غيب - فأحلّ حلاله وحرّم حرامه أدخله الله به الجنة، وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم وجبت لهم النار» اهـ[2].

ومن أجل نعم الله على حافظ القرآن أن تحفظ عليه حواسُّه ولن يردّ إلى أرذل العمر، أي أن الله يحفظ عليه صحته وقوّته، ولا يحرف عقله، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «ابن عباس» رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «من جمع القرآن - أي حفظه كله عن ظهر قلب - لم يردّ إلى أرذل العمر، وذلك قوله تعالى: ﴿ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا﴾[3] قال - أي النبي ﷺ - الذين قرأوا القرآن» اهـ[4].

س ٣: من خصائص الأمة المحمدية أنه إذا كان يوم القيامة يُشَفِّع الله تعالى المقربين لديه في نفر من أهل النيران.

ألا يعتبر هذا التكريم ميزة عظمى، وخاصية كبرى لأمة نبينا «محمد» ﷺ؟

---

(١) رواه النسائي، والحاكم، وابن ماجة، أنظر الترغيب جـ٢ ص٥٩٣.

(٢) رواه ابن ماجة، والترمذي، أنظر الترغيب جـ٢ ص٥٩٤.

(٣) سورة التين الآيتان ٥ و٦.

(٤) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد، أنظر الترغيب جـ٢ ص٥٩٥.

حول هذا الموضوع نحب أن يكون حديثنا.

ج ٣: قال الله تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه»[١].

وأهوال يوم القيامة يشيب لها الولدان ﴿يوم ترجف الراجفة ★ تتبعها الرادفة ★ قلوب يومئذ واجفة ★ أبصارها خاشعة﴾[٢].

في هذا اليوم المشهود الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين، وبعد أن يقضي الله بين العباد، ويُصدر حكمه العادل، ففريق في الجنة وفريق في السعير فإذا حقّ دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله سبحانه وتعالى بفضله وكرمه يقبل في أهل النار شفاعة الأنبياء، والصديقين، والعلماء، والشهداء، والصالحين وحملة القرآن.

فيشفع المؤمن من أمة نبينا «محمد» ﷺ في أهله، وقرابته، وأصدقائه، ومعارفه.

والأدلة على قبول الشفاعة كثيرة:

منها قوله تعالى: ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعةُ إلا من أذِن له الرحمن ورضي له قولًا﴾[٣].

ومنها الحديث الذي رواه «أبي بن كعب» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحدٌ قبلُ:

نصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم ولم تحلّ لأحد قبلي. وجعلت لي الأرض مسجدًا وتربتها طهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته

---

(١) سورة الروم، آية ٢٧.
(٢) سورة النازعات، آية ٦ - ٩.
(٣) سورة طه، آية ١٠٩.

الصلاة فليصل، وأعطيت الشفاعة، وكل نبيّ بعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامّة» اهـ[1].

وعن «أبي سعيد الخدري» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه، وأنا أول شافع وأول مشفع، بيدي لواء الحمد تحته «آدم» فمن دونه» اهـ[2].

ومن الأدلة على شفاعة المؤمنين من أمة نبينا «محمد» ﷺ الأحاديث التالية:

فعن «أنس بن مالك» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إن رجلًا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول يا فلان هلا تعرفني؟

فيقول: لا والله ما أعرفك، من أنت؟

فيقول: أنا الذي مررت بي في الدنيا فاستسقيتني شربة ماء فسقيتك، قال: قد عرفت، قال: فاشفع لي بها عند ربك؟ فيسأل الله تعالى ذكره ويقول: إني أشرفتُ على أهل النار، فناداني رجل من أهلها فقال: هل تعرفني؟ فقلت: لا، من أنت؟ فقال أنا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي عند ربك، فشفعني فيه، فيشفعه الله فيه، فيؤمر به فيخرج من النار» اهـ[3].

حقًّا: إنها لمنة كبرى، وفضل عظيم، وخاصية جليلة اختص الله بها المؤمنين من أمة سيّد الوجود عليه الصلاة والسلام.

وعن «أبي سعيد الخدري» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنّ من أمتي من يشفع في الفئام - أي الجماعة من الناس - ومنهم من يشفع للقبيلة،

---

(١) متفق عليه، أنظر إحياء علوم الدين جـ٤ ص٥٢٦.

(٢) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن، أنظر إحياء علوم الدين جـ٤ ص٥٢٦.

(٣) أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس، أنظر إحياء علوم الدين جـ٤ ص٥٢٨.

ومنهم من يشفع للعُصْبة، ومنهم من يشفع للواحد حتى يدخلوا الجنة» اهـ[1].

وعن «الحسن البصري» أن النبي ﷺ قال:

«يشفع «عثمان بن عفان» يوم القيامة في مثل ربيعة ومُضَر» اهـ[2].

وعن «عبدالله بن شقيق» رحمه الله قال: «كنت مع رهط»[3] «بإيليا» فقال «عبدالله بن أبي الجدعاء»:

سمعت رسول الله ﷺ قال: يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمّتي أكثر من بني تميم، قلنا: سواك يا رسول الله؟ قال: نعم سواي» اهـ[4]. والله أعلم.

س ٤ : من خصائص الأمة المحمدية أن الله سبحانه وتعالى اختصها بليلة القدر كما اختصّ صائمي شهر رمضان بمنح جليلة، وفضائل عظيمة حول هذه المعاني نحب أن يكون حديثنا.

جـ ٤ : نعم الله تعالى على عباده، وبخاصة الأمة المحمدية لا يحصيها عدٌّ، وسبق أن تحدثنا عن بعض هذه الخصائص ولا زال حديثنا موصولًا عن ذلك ولله الحمد.

ليلة القدر من خصائص الأمة الاسلامية.

وقد اختلف العلماء في سبب تسميتها بهذا الاسم الجليل.

فقال «الزهري» محمد بن مسلم ت ١٢٤ هـ وغيره:

«إنما سميت بذلك لعظمها، وقدرها، وشرفها، مأخوذ من قولهم: «لفلان قدر» أي شرف، ومنزلة» اهـ.

---

(١) أخرجه الترمذي، أنظر جامع الأصول جـ٩ ص٢٠٠.
(٢) أخرجه الترمذي، أنظر التاج جـ٥ ص٣٩٢.
(٣) الرهط: الجماعة من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة، أنظر المعجم الوسيط جـ١ ص٣٧٩.
(٤) أخرجه الترمذي، أنظر جامع الأصول جـ٩ ص٢٠١.

وقيل: سميت بذلك لأن للطاعات فيها قدرًا عظيمًا، وثوابًا جزيلًا. وليلة القدر كما أخبر الله تعالى هي خيرٌ من ألف شهر أي أن العمل فيها يضاعفه الله سبحانه وتعالى حتى يصبح خيرًا من العمل في ألف شهر لا تكون فيها ليلة القدر. قال «الحسن البصري» ت ١١٠ هـ.

من أمارات ليلة القدر: أنها ليلة سمحة، لا حارّة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها ليس لها شعاع.

والكثيرون من العلماء على أن ليلة القدر تكون في الوتر من العشر الأواخر من رمضان. وبعضهم قصرها على ليلة السابع والعشرين.

وقد جاء في فضل ليلة القدر الكثير من أحاديث البشير ﷺ منها:

ما روي عن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه» اهـ[1].

أما عن الفضائل، والمنح الجليلة التي اختص الله بها صائمي شهر رمضان فهي كثيرة وقد ورد فيها العديد من أحاديث البشير النذير ﷺ، اقتبس منها ما يلي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أعطيت أمّتي خمس خصال في رمضان لم تعطهن أمة قبلهم خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الحيتان حتى يفطروا، ويزيّن الله عز وجلّ كل يوم جنته، ثم يقول: يوشك عبادي الصائمون أن يلقوا عنهم المؤونة، ويصيروا إليك، وتصفّد فيه مردة الشياطين فلا يخلُصُوا فيه إلى ما كانوا يخلُصُون إليه في غيره، ويغفر لهم في آخر ليلة، قيل: يا رسول الله، أهي ليلة القدر؟ قال: لا، ولكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله» اهـ[2].

---

(١) رواه الشيخان وأبو داود والنسائي، أنظر الترغيب جـ٢ ص١٣٤.

(٢) رواه أحمد والبزّار والبيهقي، أنظر الترغيب جـ٢ ص١٣٧.

وعن «عبادة بن الصامت» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يومًا وقد حضر رمضان: «أتاكم رمضان، شهر بركة يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحطّ الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله في أنفسكم خيرًا، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل» اهـ[١].

وعن «أبي سعيد الخدريّ» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن لله تبارك وتعالى عتقاء في كل يوم وليلة، يعني في رمضان، وإن لكل مسلم في كل يوم وليلة دعوة مستجابة»[٢].

وعن «أبي سعيد الخدريّ» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان وعرف حدوده، وتحفظ مما ينبغي له أن يتحفظ كفّر ما قبله» اهـ[٣]. والله أعلم.

---

(١) رواه الطبراني ورواته ثقات، أنظر الترغيب جـ٢ ص١٤٩.

(٢) رواه الطبراني، أنظر الترغيب جـ٢ ص١٥٧.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه، والبيهقي، أنظر الترغيب جـ٢ ص١٣٦.

خطورة البدع في الدين الإسلاميّ

السؤال على هذا الموضوع، والإجابة عليه:

س ١ : بعض المسلمين يبتدعون أشياء لا تتفق مع ما جاء به نبينا «محمد» ﷺ.

نريد من فضيلتكم تعريف البدعة، ثم بيان حكم الشارع فيها.

جـ ١ : هذا سؤال في غاية الأهمية، وأستعين الله تعالى وأقول: البدعة: كل أمر دينيّ لم يرد به الشرع الشريف ونبينا «محمد» ﷺ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى حتى أكمل الله تعالى تعاليم دينه وشرعه، يوضح ذلك قول الله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾[1].

من هذا المنطلق كان حكم الشارع على كل من سوّلت له نفسه أن يحدث في الدين أمرًا لم يشرعه الله تعالى أن يكون عمله مردودًا عليه، لأنه أدخل في دين الله ما لم يأذن به الله تعالى، يوضح ذلك الحديث الآتي:

فعن «عائشة» أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:

«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ» اهـ. رواه الشيخان، وأبو داود.

---

(١) سورة المائدة، آية ٣.

كما أخبر الهادي البشير ﷺ بأن كل بدعة تعتبر في حكم الشارع ضلالة يُعاقَب عليها صاحبها، يشير إلى ذلك الحديث الآتي:

فعن «جابر» رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرّت عيناه، وعلا صوته، واشتدّ غضبه كأنه منذر جيش، يقول: صبّحكم ومسّاكم، ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين أصبعيه: السبابة والوسطى، ويقول: أمّا بعد: فإن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدى هدى «محمد» وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة ثم يقول: أنا أوْلى بكل مؤمن مِنْ نفسه، من ترك مالًا فلأهله، ومن ترك ديْنًا، أوْ ضياعًا، فإليّ وعليّ» اهـ[1].

ولشدّة خطورة البدعة في الدين فقد لعن النبي ﷺ كل مبتدع، يدلّ على ذلك الحديث التالي:

فعن «عائشة» أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ستّة لعنتهم، ولعنهم الله، وكل نبيّ مجاب: الزائد في كتاب الله عزّ وجل والمكذب بقدر الله، والمتسلط على أمّتي بالجبروت ليذلّ من أعزّ الله، ويعزّ من أذلّ الله، والمستحلّ حرمة الله، والمستحلٌ من عترتي ما حرّم الله، والتارك السنة» اهـ[2].

ومن سماحة الدين الإسلاميّ أن الله فتح باب التوبة لكل مذنب الا المبتدع فقد حجب الله عنه التوبة حتى يترك بدعته، يرشد إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «أنس بن مالك» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته» اهـ[3].

كما أخبر البشير النذير ﷺ بأن صاحب البدعة يخرج من الإسلام كما

---

(١) رواه مسلم، وابن ماجة وغيرهما، أنظر الترغيب جـ ١ ص٧٩.
(٢) رواه الطبراني في الكبير، وابن حبان والحاكم، أنظر الترغيب جـ ١ ص٨١.
(٣) رواه الطبراني بإسناد حسن، أنظر الترغيب جـ ١ ص٨٤.

تخرج الشعرة من العجين، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «أنس بن مالك» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقبل الله لصاحب بدعة صوما، ولا حجًّا، ولا عمرة، ولا جهادًا، ولا صرْفًا، ولا عدلًا، يخرج من الإسلام كما يخرج الشعَر من العجين» اهـ[1].

ولشدّة خطورة البدعة فإن تعاليم الإسلام تقضي بتحمل صاحب البدعة وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، يدل على ذلك الحديث التالي:

فعن «عمرو بن عوف» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لبلال بن الحارث» يومًا: اعلم يا بلال، قال: ما أعلمُ يا رسول الله؟ قال: «اعلم أن من أحيا سنة من سنتي أميتت بعدي كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئًا» اهـ[2].

هذا وبالله التوفيق. والله أعلم.

---

(١) رواه ابن ماجة، أنظر الترغيب جـ١ ص٨٤.

(٢) رواه الترمذي، وابن ماجة، أنظر الترغيب جـ١ ص٨٦.

الدفاع عن النفس وفقا لتعاليم الإسلام

السؤال على هذا الموضوع، والإجابة عليه:

س ١: قال الله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾[٢].

هاتان الآيتان وغيرهما من آيات القرآن، والكثير من الأحاديث النبوية كل ذلك يدلّ دلالة واضحة على أن تعاليم الإسلام كفلت لكل مسلم حق الدفاع عن نفسه.

حول هذا الموضوع الهام نحبّ أن تحدثنا.

جـ ١: من يتتبع الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقضية صحابة رسول الله ﷺ، ومن بعدهم من قضاة المسلمين، يدرك بجلاء ووضوح أن التعاليم التي جاء بها الدين الإسلاميّ الحنيف، تعتبر أرقى، وأعدل ما توصلت إليه البشرية كلها في تاريخها الطويل حين وضعت الأنظمة، واللوائح، والقوانين، من أجل إقامة العدل بين الناس، وحفظ حقوقهم.

والحديث عن تأمين حقوق المسلمين في الدفاع عن النفس، مرتبط ارتباطا

---

(١) سورة البقرة، آية ١٩٤.

(٢) سورة الشورى، آية ٤١.

وثيقا بالنظام الذي يحرص على تطبيق «العدالة الاجتماعية بين جميع أفراد المسلمين، ويحافظ على ردّ الحقوق لأصحابها المظلومين».

كما أن الكلام عن شرح هذا النظام، وبيان الأسس التي يجب أن يقوم عليها يطول، ويحتاج إلى عدد من الأحاديث الخاصة به.

ونظرًا لأن القصد من هذه العجالة هو بيان ما يختص بالعدالة الاجتماعية بين جميع أفراد المسلمين، فسأحاول بقدر الإمكان أن أتناول هذا الجانب باختصار فأقول وبالله التوفيق: إن القاعدة التي يقوم عليها النظام الإسلاميّ تختلف عن القواعد التي تقوم عليها الأنظمة البشرية جميعًا:

إذ إنها تقوم على أساس أن الحاكميّة لله وحده، فهو الذي يشرّع، أمّا سائر الأنظمة فإنها تقوم على أساس أن الحاكمية للإنسان، فهو الذي يشرّع لنفسه.

وهما قاعدتان لا تلتقيان، ومن ثمّ فالتشريع الإسلاميّ لا يلتقي مع أيّ نظام، ولا يجوز وصفه بغير صفة الإسلام.

لقد عرف العالم في نشأته، وتطوره، نظمًا عدة، وليس التشريع الإسلاميّ واحدًا منها، كما أنه ليس خليطا منها، وليس مستمدًا من مجموعها، إنما هو تشريع قائم بذاته، مستقل بفكرته، متفرد بوسائله:

وكل متتبع لروح الإسلام ولطريقته يجزم بأنها أبعد ما تكون عن جميع الأنظمة البشرية الموجودة في العالم أجمع. فالإسلام يسوّي بين المسلمين في جميع أجزاء العالم، وينكر العصبيات الجنسية، والقومية، والإقليمية. تقوم أنظمة الحكم - والقضاء في الإسلام، على أساس: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله».

ومتى تقرر أن الألوهية لله وحده بهذه الشهادة، تقرر بها أن الحاكمية في حياة البشر لله وحده. والله سبحانه وتعالى يتولى الحاكمية في حياة البشر عن طريق تصريف أمرهم بمشيئته وقدرته وحده، وعن طريق تنظيم أوضاعهم،

وحياتهم، وحقوقهم، وواجباتهم، وعلاقاتهم، وارتباطاتهم بشريعته، ومنهجه.

ويقوم نظام القضاء بين المسلمين في الإسلام، بعد التسليم بقاعدة الألوهية الواحدة، والحاكمية الواحدة، وعلى أساس العدل بين الحكام - والطاعة من المحكومين. استمع إلى قول الله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾[1].

وإلى قوله تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما﴾[2].

وإلى قوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عمّا جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا﴾[3].

وإلى قوله تعالى: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرًا من الناس لفاسقون* أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾[4].

فهذا هو العدل المطلق الذي لا يميل ميزانه إلى الحبّ، أو البغض، ولا تعتبر قواعده المودّة أو الشنآن.

هذا هو العدل الذي لا يتأثر بالقرابة بين الأفراد، فيتمتع به جميع أفراد الأمة الإسلامية، وتلك قمة في العدل لا يبلغها أيّ قانون.

وأهمّ جهة يلجأ إليها المظلومون للدفاع عن أنفسهم، والمطالبة بردّ

---

(١) سورة النساء، آية ٦٥.
(٢) سورة النساء، آية ١٠٥.
(٣) سورة المائدة، آية ٤٨.
(٤) سورة المائدة، الآيتان ٤٩ - ٥٠.

حقوقهم إليهم هي القضاء.

وللقضاء قواعده الثابتة التي يقوم عليها وفقا للتشريع الإسلاميّ.

تتجلّى هذه القواعد في حديث «معاذ بن جبل» رضي الله عنه حينما بعثه الهادي البشير ﷺ قاضيا إلى «اليمن» فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: «بم تقضي يا معاذ؟ فقال «معاذ»: بكتاب الله، قال الرسول: «فإن لم تجد»؟ قال «معاذ»: فبسنة رسول الله ﷺ؟ قال الرسول ﷺ: «فإن لم تجد»؟

قال «معاذ»: أجتهد رأيي.

فقال عليه الصلاة والسلام: «الحمد لله الذي وفّق رسول رسول الله لما يرضي الله».

من هذا الحديث يتبين أن القاضي ليس له مرجع إلّا القرآن الكريم، ثم السنة المطهرة.

ثم بعد ذلك على القاضي «الاجتهاد» فيما لم يجد له دليلا من الكتاب، أو السنة.

وللقضاء المكانة السامية في نفوس المسلمين. يقول «الماوردي» في كتابه «أدب القاضي»: لقد حكم الخلفاء الراشدون بين الناس، وقلّدوا القضاء: فحكم «أبو بكر» رضي الله عنه بين الناس، وبعث «أنسًا» إلى «البحرين» قاضيا.

وحكم «عمر» بين الناس، وبعث «أبا موسى الأشعريّ» إلى البصرة قاضيا، و«عبدالله بن مسعود» إلى «الكوفة» قاضيا.

وحكم «عثمان» بين الناس، وقلّد «شريحا» القضاء.

وحكم «عليّ» بين الناس، وبعث «عبدالله بن عباس» إلى «البصرة» قاضيا.

فصار القضاء بفعل الخلفاء الراشدين إجماعا. ثم قال «الماوردي»: وذلك

لأن الناس لما في طباعهم من التنافس، والتغلّب، ولما فطروا عليه من التنازع - والتجاذب، يقلّ فيهم التناصر - ويكثر فيهم التشاجر، والتخاصم، إمّا لشبهة تدخل على من تديّن، أو لعناد يقدم عليه من تجوّز فدعت الضرورة إلى قَوْدهم إلى الحق، والتناصف بالأحكام القاطعة لتنازعهم، والقضايا الباعثة على تناصفهم » اهـ.

ومع أن القضاء له المنزلة الرفيعة في نفوس المسلمين، فإن النبي ﷺ حذّر منه، وذلك كي يتحرى « القضاة » العدل بين الناس:

فعن « أبي هريرة » رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من وليَ القضاءَ، أو جُعِل قاضيًا بين الناس، فقد ذبح بغير سكّين » اهـ[1].

وقد خصّص « وكيع » في كتابه « أخبار القضاة » سبع صفحات لتخريج هذا الحديث، ولألفاظه المختلفة التي تدور حول معنى واحد، وقد صححه قوم - وحسنه قوم - وضعّفه آخرون، ويكفي أن نعلم أن « أحمد بن حنبل » وأبا داود، وابن ماجه، والنسائيّ، والدارقطنيّ قد صحّحوه، وأن بعضهم قد ردّ على من ضعّفه، أو أنكره، وقال « ابن حجر »: كفاه قوّة تخريج النسائي له.

وهذا الحديث إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على خطورة هذا المنصب الكبير، الذي تتعلق به الأموال - والدماء - والأعراض، وغير ذلك مما يتعلق بحقوق العباد. ومما لا جدال فيه فإن « القاضي » يظل في جهد متواصل، وقلق نفسيّ مستمر، إلى أن يتبين وجه الحق.

ولعل من المعاني التي تستفاد من هذا الحديث تشبيه الجهد - والقلق الذي يلحق القاضي، بالذبح بغير سكين، وهذا يمثل صورة رائعة من صور المثابرة، والتحرّي، والبحث، وسهر الليل، والتماس الحق بكل وسيلة من وسائله.

وعن « بُرَيْدَة » رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: « القضاة ثلاثة: واحد

(١) رواه أبو داود - والترمذي، والحاكم وقال صحيح الإسناد، أنظر الترغيب جـ٣ ص٢٨١.

في الجنّة، واثنان في النار، فأمّا الذي في الجنة، فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم، فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار» اهـ[1].

ونظرًا لأهميّة القضاء، وبيان خطورته، فقد حذّر النبيّ ﷺ من تولّيه. وذلك كي يتحرى القاضي دائمًا العدل بين الناس: فعن «أبي ذرّ» رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منْكبي ثم قال: «يا أبا ذرّ إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلّا من أخذها بحقّها، وأدّى الذي عليه فيها» اهـ. رواه مسلم.

وعن «عبدالله بن مسعود» رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ»: «ما من حاكم يحكم بين الناس إلّا جاء يوم القيامة وملك آخذ بقفاه، ثم يرفع رأسه إلى السماء، فإن قال: ألقه، ألقاه، فهو في «مَهْواه» أربعين خريفا» اهـ. رواه ابن ماجة، والبزار.

حقًا إن خطورة القضاء عظيمة، فهذا الحديث يدلّ على أن القاضي مرهون بقضائه يوم القيامة، إذ هو في قبضة أحد الملائكة ينتظر حكم الله فيه، فإن نجا فبها ونعمت، وإلّا فسيلقيه «الملك» في مكان قعرُه بعيد، يظلّ يهوي فيه أربعين خريفا، نسأل الله السلامة ـ والنجاة.

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من طلب قضاء المسلمين حتى يناله، ثم غلب عدلَه جورُه، فله النار» اهـ[2].

وعن «معقل بن يسار» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من وليَ أمّةً من أمّتي قلّت أو كثرت، فلم يعدل فيهم كبّه الله على وجهه في النار» اهـ[3].

---

(١) رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجة، أنظر الترغيب جـ٣ ص٢٨٢.
(٢) رواه أبو داود، أنظر الترغيب جـ٣ ص٣٠٤.
(٣) رواه الحاكم، وقال صحيح الإسناد، أنظر الترغيب جـ٣ ص٣٠٦.

هذا قليل من كثير مما جاء من هدي النبي ﷺ في التحذير من خطورة القضاء.

ونظرًا لأن مصلحة المسلمين تستدعي أن يكون هناك قضاة ليقوم العدل بين الناس، فقد بين الهادي البشير عليه الصلاة والسلام في أحاديثه فضل القاضي العادل، وما ذلك إلّا للحث والترغيب في تولي شئون المسلمين، مع الحرص على إقامة العدل بينهم، ومما جاء في هذا المقام الأحاديث الآتية:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا تردّ دعوتهم: الصائمُ حتى يُفْطر - والإمامُ العادل - ودعوةُ المظلوم، يرفعها الله فوق الغمام، ويَفْتح لها أبواب السماء، ويقول «الربّ» وعزّتي لأنصرنّكَ ولو بعد حين» اهـ[1].

وعن «عبدالله بن عمرو بن العاص» رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين - أي الذين يعدلون في أحكامهم - عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمٰن وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم - وأهليهم - وما وَلُوا» اهـ[2].

حقًّا: إنها لبشرى عظيمة لكل قاضٍ عادل، إذ سيكون يوم القيامة في منزلة عظيمة، وستشمله رحمة الله تعالى وسيكرمه ربّ العالمين، فيجلسه على منبر من نور يوم القيامة. ألا يكفي هذا الحديث في الحث على الحكم بالعدل بين المسلمين.

وعن «عياض» رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسِطٌ مُوَفَّقٌ، ورجلٌ رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى مسلم، وعفيفٌ متعفّفٌ ذو عيال» اهـ[3].

---

(١) رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجة وغيرهم، أنظر الترغيب جـ٣ ص٢٩٥.

(٢) رواه مسلم، والنسائي، أنظر الترغيب جـ٣ ص٢٩٦.

(٣) رواه مسلم، أنظر الترغيب جـ٣ ص٢٩٦.

يا سعادة هؤلاء الذين أخبر عنهم الذي لا ينطق عن الهوى بأنهم من أهل الجنة، في مقدمة هؤلاء الثلاثة: الحاكم الموفق في حكمه، العادل في قضائه، فلا ظلم - ولا جور، بل عدل - وإنصاف.

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا هريرة عَدْل ساعة أفضل من عبادة ستين سنة. قيام ليلها - وصيام نهارها، يا أبا هريرة جَوْر ساعة في حكم أشدّ وأعظمُ عند الله عز وجلّ من معاصي ستين سنة» اهـ[1].

وعن «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أفضل الناس عند الله منزلة يوم القيامة: إمام عادل رفيق، وشرّ عباد الله عند الله منزلة يوم القيامة: إمام جائر خَرِق» اهـ[2]. رواه الطبراني في الأوسط.

وعن «ابن عمر» رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «السلطان ظلّ الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عباده، فإن عدل كان له الأجر، وكان يعني على الرعية الشكر[3].

وإن جار أو حاف، أو ظلم كان عليه الوزر، وعلى الرعية الصبر، وإذا جارت الولاة قُحِطت السماء[4].

وإذا مُنِعت الزكاة هلكت المواشي، وإذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة، وإذا أُخفِرت الذمّة: - أي خان الناس العهود ونقضوها - أُدِل الكفار: - أي جعلت لهم الدولة والغلبة على المسلمين» اهـ. رواه ابن ماجة.

أيها المسلمون: الإسلام عندما أمّن حقّ المسلم في الدفاع عن نفسه، تصدّى لجميع الأسباب التي قد تكون سببا في عدم وصول صاحب الحق إلى حقه،

---

(١) رواه الأصبهاني، أنظر الترغيب جـ٣ ص٢٩٧.
(٢) الخرق: الأحمق في تصرفه.
(٣) أي يشكرونه على عدله فيهم.
(٤) أي احتبس مطرها.

مثل: الرشوة، والكذب - أو الشفاعة الباطلة التي يترتب عليها عدم إقامة العدل بين المسلمين.

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن: «تأمين حق المسلم في الدفاع عن نفسه» أن نتصدّى لبيان موقف الشارع الحكيم من هذه العوامل: فبالنسبة للرشوة فقد بين الهادي البشير صلوات الله وسلامه عليه حرمتها، كما نص في جلاء ووضوح على العذاب الأليم الذي سيلحق كلا من الراشي - والمرتشي - والرائش، أي الذي يكون واسطة بينهما:

فعن «ثوبان» رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ الراشي - والمرتشي - والرائش، يعني الذي يمشي بينهما» اهـ[1].

حقًّا إنها لعقوبة شديدة، ونهاية سيئة إذ اللعن هو الطرد من رحمة الله تعالى، أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

وعن «عمرو بن العاص» رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من قوم يظهر فيهم الربا إلّا أُخذوا بالسنّة»[2]. «وما من قوم يظهر فيهم الرّشا إلا أخذوا بالرعب» اهـ[3].

وعن «عبدالله بن عمرو» رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الراشي والمرتشي في النار» اهـ[4].

وبالنسبة للكذب فقد تواترت الأدلة الشرعية على حرمته، كما بين الصادق الأمين أن الكذب من علامات النفاق:

فعن: «عبدالله بن عمرو» رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «أربع من كنّ فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة

---

(١) رواه أحمد، والبزار، أنظر الترغيب جـ٣ ص٣١٨.
(٢) أي بالقحط ويبس الأرض وجدوبتها.
(٣) رواه أحمد، أنظر الترغيب جـ٣ ص٣١٨.
(٤) رواه البزار، أنظر الترغيب جـ٣ ص٣١٧.

من النفاق حتى يدّعها: إذا ائتمن خان - وإذا حدّث كذب - وإذا خاصم فجر » اهـ[1].

وعن «أنس بن مالك» رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ثلاث من كنّ فيه فهو منافق، وإن صام - وصلّى - وحجّ - واعتمر - وقال: إنّي مسلم، إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان» اهـ[2].

وعن «سلمان» رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: الشيخ الزاني - والإمام الكذاب - والعائل المزهوّ» اهـ[3].

وبالنسبة إلى الظلم الذي يكثر في القضاء، ويشوّه عدالة الإسلام فإن عاقبته وخيمة، إذ هو ظلمات يوم القيامة، وقد حذّر منه ﷺ، وبيّن عاقبته:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: «إيّاكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وإياكم والفحش فإن الله لا يحبُّ الفاحش والمتفحّش، وإياكم والشحّ فإن الشحّ دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم واستحلّوا محارمهم» اهـ[4]. والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، أنظر الترغيب جـ٣ ص٨٤٣.
(٢) رواه أبو يعلى، أنظر الترغيب جـ٣ ص٨٤٤.
(٣) رواه البزار بإسناد جيد، أنظر الترغيب جـ٣ ص٨٥٠.
(٤) رواه ابن حبّان، والحاكم، أنظر الترغيب جـ٣ ص٣٢٢.

رفع الرأس قبل الإمام

السؤال على هذا الموضوع، والإجابة عليه:

س ١ : الكثيرون من الناس يرفعون رؤوسهم من الركوع أو السجود قبل إمامهم في الصلاة. نرجو من فضيلتكم بيان حكم ذلك.

جـ ١ : الصلاة أحد أركان الإسلام الخمسة، وهي أهمّ الاركان بعد الشهادتين. والصلاة صلة بين المسلم وبين خالقه، وأقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد.

والصلاة لا يقبلها الله تعالى إلاّ إذا كانت تامّة بشروطها وأركانها، وسننها، وهيئاتها.

فمن صلاها لغير وقتها، ولم يسبغ وضوءها، ولم يتم أركانها خرجت وهي سوداء مظلمة تقول: ضيعك الله كما ضيعتني حتى إذا كانت حيث شاء الله لفّت كما يلفّ الثوب الخلق، ثم يضرب بها وجه صاحبها.

ونظرًا لأهمية الصلاة كان من حقّ المسلم أن يعرف الأمور التي لا يجوز فعلها أثناء الصلاة:

فمن ذلك: لا يجوز للمسلم أن يرفع رأسه من ركوع أو سجود قبل الإمام.

ومن خالف وفعل ذلك فقد أخبر عنه النبي ﷺ بأن مثل هذا الصنيع لا يمكن أن يكون إلا بوسوسة الشيطان، والإنسان في هذه الحالة كمن أسلم ناصيته للشيطان يتصرف فيها كيف يشاء، يشير إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الذي يخفض -أي يهوي إلى الركوع أو السجود- ويرفع قبل الإمام إنما ناصيته بيد شيطان» اهـ[1].

وكي يقبح النبي ﷺ رفع الرأس من ركوع أو سجود قبل الإمام قال: أما يخشى الذي يفعل هذا أن يجعل الله رأسه رأس حمار، والحمار يشبه به دائمًا في التبلد وشدة الغباء يرشد إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه من ركوع أو سجود قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار، أو يجعل الله صورته صورة حمار» اهـ[2].

كما أننا نجد البشير النذير يخبر بأن من لا يقيم ظهره في الركوع أو السجود: أي بأن يستوي حتى تعود فقار ظهره إلى موضعها من يفعل ذلك فصلاته غير تامة، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي مسعود البدريّ» رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «لا تجزئ صلاة الرجل حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود» اهـ[3].

والصلاة التي لا يقيم الإنسان صلبه حتى تعود فقارُ ظهره إلى موضعها لا ينظر الله إليها بل يردّها على صاحبها، يؤيد ذلك الحديث التالي:

فعن «طلق بن عليّ» الحنفيّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا

(١) رواه البزار، والطبراني بإسناد حسن، أنظر الترغيب جـ١ ص٤٣١.
(٢) رواه الشيخان، وأبو داود، والترمذي، أنظر الترغيب جـ١ ص٤٣٠.
(٣) رواه أحمد، وأبو داود، وغيرهما، أنظر الترغيب جـ١ ص٤٣٢.

ينظر الله إلى صلاة عبد لا يقيم فيها صلبه بين ركوعها، وسجودها» اهـ[1].

وصحّ أن الرسول ﷺ رأى رجلا لا يقيم صلبه في الركوع فقال: «لا صلاة لمن لا يقيم صلبه في الركوع والسجود، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «عليّ بن شيبان» رضي الله عنه، قال:

خرجنا حتى قدمنا على رسول الله ﷺ فبايعناه وصلينا خلفه، فلمح بمؤخر عينيه رجلا لا يقيم صلاته يعني صلبه في الركوع، فلما قضى النبي ﷺ صلاته قال: «يا معشر المسلمين لا صلاة لمن لا يقيم صلبه في الركوع والسجود» اهـ[2].

هذا وبالله التوفيق، والله أعلم.

(١) رواه الطبراني في الكبير، ورواته ثقات، أنظر الترغيب جـ١ ص٤٣٤.

(٢) رواه أحمد، وابن ماجة، وابن خزيمة، أنظر الترغيب جـ١ ص٤٣٤.

الرياء مضارّه وعقوبته

السؤال على هذا الموضوع، والإجابة عليه:

س ١: الرياء من الصفات المحرمة، وخطره شديد على الفرد والجماعة، نحبّ من فضيلتكم التحدّث عن ذلك.

جـ ١: من الأمور التي حذّر منها البشير النذير ﷺ لشدّة خطرها على عقيدة المسلم «الرياء».

ومن يقرأ السنّة المطهرة يجدها حافلة بالأحاديث التي تبين حرمة الرياء، وتبين أن من عمل عملا من أعمال الآخرة يبتغي بذلك العمل عرضا من الدنيا فليس له في الآخرة من نصيب، يوضح ذلك الحديث الآتي:

فعن «أبي بن كعب» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بشر هذه الأمة بالتيسير، والسناء، والرفعة بالدّين والتمكين في البلاد والنصر، فمن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا فليس له في الآخرة من نصيب» اهـ. رواه البيهقي، وأحمد، والحاكم وقال صحيح الاسناد.

كما أخبر النبي ﷺ بأن من أظهر عمله للناس رياء أظهر الله نيته الفاسدة يوم القيامة وفضحه على رؤوس الاشهاد، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «معاذ بن جبل» رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: «ما من عبد

يقوم في الدنيا مقام سمعة ورياء إلاّ سمّع الله به على رؤوس الخلائق يوم القيامة » اهـ[1].

كما أخبر البشير النذير عليه الصلاة والسلام بأن من عمل عملا يتجمل به للناس حتى يحسنوا الظن به وينعتوه بالصلاح والتقوى، لعنه الله في السموات والأرض، يدل على ذلك الحديث التالي:

فعن « أبي هريرة » رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « من تزيّن بعمل الآخرة، وهو لا يريدها ولا يطلبها لعن في السموات والأرض » اهـ[2].

كما بين الهادي البشير ﷺ بأن من طلب الدنيا بعمل الآخرة أذهب الله نور وجهه، وبهاءه يوم القيامة وأثبت اسمه في النار، يرشد إلى ذلك الحديث التالي:

فعن النبي ﷺ أنه قال:

« من طلب الدنيا بعمل الآخرة طمس وجهه، ومحق ذكره، وأثبت اسمه في النار » اهـ[3].

كما أخبر عليه الصلاة والسلام بأن المرائين يذيقهم الله العذاب الأليم يوم القيامة مع حرمانهم من النعيم المقيم، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن « عديّ بن حاتم » أن رسول الله ﷺ قال: « يؤمر يوم القيامة بناس من الناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها، واستنشقوا ريحها، ونظروا إلى قصورها، وما أعدّ الله لأهلها فيها، نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها، فيقولون: ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك، وما أعددت فيها لأوليائك كان

(١) رواه الطبراني بإسناد حسن، أنظر الترغيب جـ١ ص٥٢.
(٢) رواه الطبراني في الأوسط، أنظر الترغيب جـ١ ص٥٢.
(٣) رواه الطبراني في الكبير، أنظر الترغيب جـ١ ص٥٢.

أهون علينا، قال: «ذلك أردت بكم، كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين، تراءون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم، هبتم الناس ولم تهابوني، وأجللتم الناس ولم تجلوني، وتركتم للناس ولم تتركوا لي، اليوم أذيقكم أليم العذاب مع ما حرمتم من الثواب» اهـ[1].

ولشدّة خطورة «الرياء» اعتبره الشارع من الشرك الأصغر، أي الشرك في العمل لا في الاعتقاد، يشير إلى ذلك الحديث التالي: فعن «رُبَيْح بن عبد الرحمن» أن جدّه قال:

خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجّال، فقال: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجّال؟ فقلنا: بلى يا رسول الله، فقال: «الشرك الخفيّ: أن يقوم الرجل فيصلّي فيزيّن صلاته لما يرى من نظر رجل» اهـ[2].

أسأل الله أن يحفظني وإياكم من «الرياء» إنه سميع مجيب.

هذا وبالله التوفيق، والله اعلم.

(١) رواه البيهقي، والطبراني في الكبير، أنظر الترغيب جـ ١ ص٦٢.

(٢) رواه البيهقي، وابن ماجة، أنظر الترغيب جـ ١ ص٥٥.

السكينة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة، والسلام على أشرف النبيين والمرسلين سيدنا « محمد » وعلى آله وصحبه أجمعين. السكينة آية من آيات الله تعالى تتجلى معانيها في كثير من آيات القرآن، منها قوله تعالى:

﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾[1]. والسكينة من معانيها « الطمأنينة ».

وقد وصف الهادي البشير ﷺ « الصدق » بأنه طمأنينة، لأنه يؤدي دائمًا إلى الخير.

وبعد: فهذه مجموعة من الاسئلة، والإجابة عليها حول: « السكينة ».

س ١ : نود ونحن في بداية حديثنا عن « السكينة » وبما أنها آية من آيات الله تعالى نحبّ أن تحدثنا عن المعنى الدلالي لكلمة « السكينة ».

ثم تذكر الآيات القرآنية المشتملة على هذه الكلمة، مع بيان المناسبات، والملابسات التي صاحبت نزول هذه الآيات.

جـ١ : في بداية حديثي أقرر أن هذا الموضوع من أهمّ القضايا التي يجب أن يتفهمها كل مسلم جيّدًا.

---

(١) سورة التوبة، آية ٢٦.

إذ السكينة سرّ من أسرار الله تعالى، لا يمنحها الله إلاّ للسعداء الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وحسن إيمانهم، ويقينهم، وغسلوا قلوبهم من الران الذي يكون سببًا في عدم اتصالهم بالله، وصدق الله حيث قال: ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾[1].

بعد ذلك أنتقل إلى الإجابة على الاسئلة فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: السكينة: معناها الطمأنينة، يقال: سكن يسكن سكونًا: إذا قرّ وهدأ. والسكينة من معانيها أيضًا: زوال الرعب، والخوف عن النفس.

ثانيًا: سيكون حديثي عن الآيات القرآنية المشتملة على كلمة «السكينة» حسب التسلسل الزمني، ليكون في ذلك ترتيب للأحداث، وبيان لنعم الله التي لا تنقطع عن عباده المؤمنين. وسيتضح لنا من خلال هذا الحديث أن كلمة «السكينة» استعملت في كل آية من الآيات التي وردت فيها كعلاج ربّانيّ يطمئن النفوس، ويفرّج الكروب، ويذهب الهمّ، والغمّ، والحزن، الذي ألمّ بالنفوس، ويزيل الرعب، والخوف والفزع عن القلوب.

وكان هذا العلاج -بلا تشبيه- بمثابة الطبيب الماهر الذي يعالج مرضاه بالكلمة الطيبة، وهو ما يسمّى الآن: بالطبّ النفسيّ، وفي مقدمة هذه الآيات قول الله تعالى:

﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾[2].

هذه الآية الكريمة نزلت في هجرة سيد الوجود (ﷺ) من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

---

(١) سورة النور، آية ٣٥.
(٢) سورة التوبة، آية ٤٠.

والقصة مشهورة، ومعروفة لدى الكثيرين من المسلمين. وحسبي أن أشير هنا إلى بعض العوامل النفسية المؤلمة التي واجهها النبي ﷺ، وصاحبه: «أبو بكر الصديق» رضي الله عنه مما استحق نزول السكينة عليهما.

إن موقف زعماء مكة من النبي ﷺ، ومن دعوته كان موقف عداء، وعناد، ولم يشهد التاريخ له مثيلًا ولقد لاقى الهادي البشير ﷺ من صنوف الأذى ما لا يتحمله غيره.

واضطر أخيرًا وبأمر من الله تعالى أن يترك مكة التي قسا عليه أهلها مهاجرًا إلى المدينة المنورة، فخرج هو وصاحبه «أبو بكر الصديق» حتى وصلا «غار ثور» فدخلاه، وهنا تتجلّى رحمة الله اللطيف الخبير.

يقول «أبو مصعب» المكي: أدركت «زيد بن أرقم». و«أنس بن مالك»، والمغيرة بن شعبة» فسمعتهم يتحدّثون أن الله سبحانه وتعالى ليلة الغار أمر شجرة فنبتت، وأمر الله العنكبوت فنسجت، وأمر حمامتين فوقعتا بفم الغار، وأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل، بأسيافهم، وعصيهم، حتى إذا كانوا من النبي ﷺ قدر أربعين ذراعًا، فنظر أوّلهم فرأى الحمامتين فرجع فقال له أصحابه: ما لك لم تنظر في الغار؟ قال: رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار فعرفت أن ليس فيه أحد» اهـ. الطبقات الكبرى لابن سعد جـ١/٢٢٩.

في هذا الموقف الذي يملأ النفس البشرية رعبًا وخوفًا تتجلّى عناية الله تعالى، ويتنزّل سكينته، فتملأ قلب الهادي البشير ﷺ طمأنينة، وثقة بنصر الله وإن نصر الله لقريب.

الآية الثانية:

قول الله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحًا قريبًا﴾[1].

---

(١) سورة الفتح، آية ١٨.

هذه الآية الكريمة نزلت عقب بيعة الرضوان التي تمت تحت الشجرة المباركة، وقبل صلح الحديبية بقليل.

والمقام يقتضي أن أشير إلى بعض العوامل النفسية التي واجهها المسلمون من كفار قريش، إذ الموقف يقتضي بل في حاجة إلى أن تنزل سكينة الله تعالى، لتغسل تلك الآلام التي كان يعايشها المسلمون في هذه الفترة الرهيبة:

وخلاصة ذلك أن النبي ﷺ سنة ستّ من الهجرة استنفر المسلمين إلى أداء العمرة، فأسرعوا وخرجوا مع الهادي البشير ﷺ قاصدين مكة المكرمة، وكانوا ألفا وخمسمائة، حتى وصلوا «الحديبية» على قرب من مكة. في هذه الاثناء بلغ كفار قريش خروج النبي ﷺ فأجمعوا رأيهم على صدّه عليه الصلاة والسلام عن البيت الحرام هذا العام.

وبلغ النبي ﷺ موقف كفار قريش، فأرسل إليهم «خراش بن أمية» ليخبرهم بأن النبي ﷺ جاء لزيارة البيت، ولم يجئ محاربًا، ولكنهم لم يستجيبوا لقوله وهمّوا بقتله فأرسل إليهم النبي ﷺ «عثمان بن عفان» ليخبرهم بوجهة الرسول عليه الصلاة والسلام، ولكن أشيع أن «عثمان» قتل. عندئذ دعا الهادي البشير ﷺ المسلمين للبيعة على قتال الكفار، وتمت البيعة والحمد لله.

في هذا الجوّ المشحون بالآلام النفسيّة تتنزل السكينة، وينزل قول الله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحًا قريبًا﴾.

الآية الثالثة: قول الله تعالى:

﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودًا لم تروها وعذّب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾[1].

(١) سورة التوبة، آية ٢٦.

نزلت هذه الآية الكريمة في غزوة «حنين» التي وقعت سنة ثمان من الهجرة.

وحنين واد بينه وبين مكة ثلاثة أميال. وخلاصة مشاهد هذه الغزوة التي ابتلي فيها المسلمون ابتلاء حسنًا مما استحق نزول السكينة عليهم لتضميد جراحهم، وإزالة الرعب والفزع من قلوبهم:

أنه لما تمّ فتح «مكة المكرمة» اجتمع أشراف «هوازن، وثقيف» وأجمعوا أمرهم على المسير إلى المدينة المنورة لمحاربة الرسول ﷺ.

ولما علم البشير النذير ﷺ بصنيع هؤلاء المشركين وما بيتوا العزم عليه، خرج إليهم في اثني عشر ألفًا من المسلمين: عشرة آلاف من الأنصار، وألفان من المهاجرين.

وهنا قال «أبو بكر الصديق» رضي الله عنه كلمته المشهورة: «لا نغلب اليوم من قلة».

ولما التقى الجيشان بوادي حنين، انهزم جيش المسلمين في بداية الأمر، نظرًا لاعتمادهم على كثرتهم، يشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئًا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾[1].

مما لا شك فيه أن تصوير مشهد الهزيمة مع كثرة المسلمين يعجز عن وصفه كل بليغ، وصاحب بيان.

في هذه الاثناء قال الهادي البشير ﷺ «للعباس بن عبد المطلب»: ناولني حصيات من الارض، فأخذها ورمى بها وجوه المشركين وقال: شاهت الوجوه انهزموا وربِّ الكعبة، ثم نادى بأعلى صوته قائلًا: أنا النبيّ لا كذب، أنا ابن عبد المطلب.

---

(١) سورة التوبة، آية ٢٥.

وهنا في هذه اللحظة الحرجة تتجلى عناية الله تعالى، وتنزل سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وتمّ نصر الله للمسلمين، وما النصر إلا من عند الله. والله أعلم.

س ٢: قال الله تعالى:

﴿ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾(١).

وردت الكلمة المشتقة من «السكون» بصيغة المضارع في أكثر من موضع في القرآن الكريم.

نحبّ إلقاء الضوء على الحكم والمعاني التي تستفاد من هذه الصيغة في كل موضع على حدة.

جـ ٢: هذا السؤال في غاية الأهمية، وبالتتبع لآيات القرآن الكريم وجدت هذه الكلمة المشرفة وردت في ستّ آيات من القرآن الكريم.

وبإنعام النظر في المعنى الدلالي لهذه الكلمة تبيّن أنها تتحدث عن نعمتين من نعم الله على عباده:

النعمة الأولى: نعمة «الزوجة» حيث جعلها الله بطبيعتها وعواطفها من العوامل التي تسكن إليها نفس «الزوج» وفي ذلك يقول الله تعالى:

﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾(٢). ويقول: **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة﴾(٣)**.

فالسكون: هو الهدوء، والاستقرار الذي يترتب عليه استراحة الأعصاب

---

(١) سورة النمل، آية ٨٦.
(٢) سورة الأعراف، آية ١٨٩.
(٣) سورة الروم، آية ٢١.

بعد هذا العناء الشديد، والعمل المتواصل: سواء كان ذهنيًّا، أو بدنيًّا، الذي يجده الزوج أثناء السعي على طلب المعيشة.

هذا السكون لا يشعر به الزوج إلاّ من زوجة مؤمنة، حكيمة، تفتح قلبها لزوجها، وتقابله بالكلمة العذبة الرقيقة، فتزيل عنه الكثير من الآلام.

ولو أردت الحديث عن هذه النعمة الكبرى التي امتنّ الله بها على عباده لطال الحديث.

ولكن حسبي أن ألقي الضوء على بعض الجوانب الهامة التي تعتبر نموذجًا رائعًا للسكينة، والطمأنينة بين الزوجين.

ولقد حدثنا التاريخ عن مواقف رائعة تحققت فيها سكينة الرجل إلى زوجه بأجلّ معانيها.

وفي مقدمة هذه المواقف موقف «أم المؤمنين خديجة بنت خويلد» مع رسول الله ﷺ.

لقد كانت حياة «خديجة» مع الهادي البشير ﷺ كلها سكون، وبهجة، وسرور. وهذا مشهد من المشاهد الكثيرة والمتعددة:

لما نزل الوحي لأوّل مرّة على الهادي البشير ﷺ وهو في غار حراء، انطلق ﷺ عائدًا إلى بيته خائفًا مرتعد الأوصال، وما أن وصل إلى حجرة زوجه «خديجة» حتى أحسّ بالأمان، وأخذ يحدث «خديجة» بصوت مرتجف عن كل ما كان، كما حدّثها بكل مخاوفه.

فما كان من السيدة الفاضلة الجليلة إلّا أن قابلته بقلب كله عطف وحنان، وبعبارات عذبة رقيقة، فكانت بردًا وسلامًا على نفسه عليه الصلاة والسلام، ولبلاغة العبارات التي نطقت بها سجّلها التاريخ لتكون شاهدًا حيًا على عطف الزوجة الصالحة، قالت له:

«الله يرعاك يا أبا القاسم، أبشر يا ابن العمّ، فوالذي نفس خديجة بيده،

إني لأرجو أن تكون نبيّ هذه الأمة، والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحقّ.

هذه العبارات العذبة الرقيقة انبعثت في قلب النبي ﷺ فأشرقت أساريره، وزال روعه وأحسّ بالرّاحة، والطمأنينة، ولكن «أم المؤمنين خديجة» لم تكتف بما قالته رضي الله عنها، بل أخذت النبي ﷺ في رفق وحنان إلى فراشه الذي ينام فيه فتضعه كما تفعل «أم» حنون بولدها الوحيد، ثم تهدهده بصوتها الحنون، حتى أغمض جفنيه واستغرق في النوم، ثم تسللت من المخدع على حذر، وما أن وصلت الباب حتى اندفعت مسرعة نحو «ابن عمها ورقة بن نوفل» وحدّثته بحديث النبي ﷺ، فانتفض «ورقة» يقول:

قدّوس قدّوس، والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي «موسى، وعيسى» وإنه لنبي هذه الأمّة فقولي له فليلبث «اهـ.

ولم تكد «أم المؤمنين خديجة» تستمع إلى ما قاله «ورقة» حتى انطلقت مسرعة عائدة إلى بيتها لتزفّ إلى رسول الله ﷺ البشرى.

وحدّثته بما سمعت من «ورقة» فرنا إليها مليّا بنظرة تفيض شكراً وامتنانا.

ألا يعتبر هذا المشهد العظيم من أكبر الأدلّة على ما فطر الله عليه الزوجة الصالحة كي تكون سكنًا، وطمأنينة لزوجها؟ بهذه المواقف النبيلة استحقت «خديجة» رضي الله عنها أن يقول في شأنها «الهادي البشير ﷺ»:

«والله ما أبدلني خيرًا منها: آمنت بي حين كفر الناس، وصدّقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء» اهـ.

أنتقل بعد ذلك إلى مشهد آخر من مشاهد السكينة والحنان بين الزوجين.

ويتمثل هذا المشهد الرائع بين النبي ﷺ، وزوجه «أم سلمة» بنت «زاد الركب» رضي الله عنها:

ففي العام السادس من الهجرة صحبت «أم سلمة» النبي ﷺ في رحلته إلى مكة المكرمة «معتمرًا» وهي الرحلة التي صدّت فيها قريش النبي ﷺ عن دخول البيت الحرام، وتمّ صلح الحديبية.

وكان لأمّ سلمة يومئذ دور جليل يدلّ على رجاحة عقلها، وبعد نظرها، وصدق فراستها، تسبب عن موقفها هذا إزالة الهموم والأحزان عن رسول الله ﷺ، وعن صحابته رضوان الله عليهم أجمعين.

وبيان ذلك أن الصحابة دخل عليهم همّ عظيم حين بلغهم نصّ المعاهدة التي أبرمت بين النبي ﷺ وزعماء قريش، ظنًا منهم أن هذه المعاهدة قد بخست المسلمين حقوقهم وهم المنتصرون الغالبون، واستفحل الأمر إلى حدّ ينذر بالخطر، حتى إن النبي ﷺ أمر أصحابه أن يقوموا فينحروا، ثم يحلقوا تحلُّلا من العمرة، فلم يقم منهم رجل واحد، فدخل الهادي البشير ﷺ على زوجه: «أمّ سلمة» مهمومًا، وذكر لها ما حدث.

فتلقته رضي الله عنها بكلماتها العذبة، ومشورتها التي كانت سببًا في تضميد الجراح وقالت له: يا نبي الله اخرج على القوم ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر «بُدُنك» ثم تحلق، وأصغى ﷺ إلى مشورتها، فخرج ونفّذ ما أشارت به «أم سلمة» رضي الله عنها.

فلما رأى الصحابة صنيع رسول الله ﷺ أسرعوا ونحروا، وحلقوا، وثاب المسلمون إلى عقولهم بعد أن غلبتهم عواطفهم.

والنعمة الثانية:

أن الله سبحانه وتعالى جعل في الليل خاصيّة عظيمة، وهي: أن تكون هناك فترة زمنية تسكن فيها أعصاب جميع العاملين، والمتعبين أثناء النهار من هذا العمل الشاق.

وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرًا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾[1].

ويقول عزّ من قائل: ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدًا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ★ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾[2].

ويقول الله تعالى: ﴿ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرًا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾[3].

إن من أهم الظواهر التي تكون سببًا لاستعادة الجسم حيويَّته، ونشاطه «النوم» وهو غالبًا ما يكون في «الليل» الذي جعله الله سكنًا لبني الإنسان، بل لكل كائن حيّ.

إذ النائم يتخلص من إجهاده الجسديّ، وإرهاقه الفكريّ، وإن استرخاء عضلات الإنسان بنومه تساعد على تنشيط، وتنظيم الدورة الدمويّة التي تطرد من الجسم ما قد يكون سبّبه الإجهاد من موادّ ضارة بالجسم.

وصدق الله حيث قال: ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾[1]. والله أعلم.

---

(١) سورة يونس، آية ٦٧.
(٢) سورة القصص، الآيتان ٧٢ - ٧٣.
(٣) سورة النمل، آية ٨٦.

شروط وجوب الحجّ وفضائله

السؤال على هذا الموضوع والإجابة عليه:

س ١ : نريد من فضيلتكم بيان شروط وجوب الحج، وإلقاء الضوء على بعض الأحاديث الواردة في فضله.

جـ١ : الحجّ أحد أركان الاسلام الخمسة، وفرضيته ثابتة بالكتاب والسنّة، والإجماع.

فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنيّ عن العالمين﴾[1].

ومن السنة الأحاديث الآتية:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه قال:

«خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحجّ فحجّوا، فقال رجل -هو الأقرع بن حابس- أكل عام يا رسول الله؟

فسكت حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم، ثم قال:

«ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على

---

(١) سورة آل عمران، آية ٩٧.

أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه» اهـ. رواه مسلم، والنسائي، والترمذي.

وأمّا الاجماع: فقد أجمعت الأمّة على أن الحج أحد أركان الإسلام ومن أنكره فهو كافر والعياذ بالله تعالى.

والحجّ واجب في العمر مرّة واحدة إذا ما توفرت شروط وجوبه، وما زاد على المرّة الواحدة فهو تطوع، يؤيد ذلك الحديث التالي:

فعن «ابن عباس» رضي الله عنهما أن «الأقرع بن حابس» رضي الله عنه لما قال: يا رسول الله الحجّ في كل سنة أو مرة واحدة؟ قال: بل مرّة واحدة، فمن زاد على ذلك فهو تطوّع» اهـ[1].

وشروط وجوب الحج بيانها فيما يلي:

الإسلام، والبلوغ، والعقل، والحرية، والقدرة على المسير لأداء مناسك الحج، ووجود محرم مع المرأة كي يرافقها اثناء الحج، وتخلية الطريق من الاعداء، والاستطاعة، وهي:

وجود الزاد، والراحلة التي تمكنه من الذهاب إلى أداء مناسك الحج والعودة إلى وطنه.

ويوضح تفسير الاستطاعة الحديث التالي:

فعن «ابن عمر» رضي الله عنهما قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما يوجب الحج؟

قال: «الزاد، والراحلة» اهـ[2].

وقد جاء في فضل الحج والحث عليه الكثير من أحاديث الهادي البشير ﷺ أقتبس منها ما يلي:

(١) رواه أبو داود، والنسائي، وأحمد، أنظر التاج جـ٢ ص١٠٩.
(٢) رواه الترمذي، وأحمد، أنظر التاج جـ٢ ص١٠٩.

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من حجّ لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» اهـ[1].

حقًّا: إنه لأجر كبير من الله تعالى لحجاج بيته الحرام، بيّنه الحديث الشريف، فمن أدى مناسك الحج كاملة بشروطها، وأركانها، وآدابها، وحفظ سائر جوارحه عما يغضب الله تعالى، وكان حجه من مال حلال تفضل الله عليه وغفر ذنوبه، إذًا فعلى كل عاقل حجّ بيت الله الحرام أن يحافظ على حدود الله، ويقيم شرع الله كي يلقى الله تعالى نقيا من الذنوب.

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنة» اهـ[2].

المعنى: أخبر الهادي البشير ﷺ في هذا الحديث الشريف بأن أداء العمرة يكون سببًا في تكفير الذنوب التي تقع من الإنسان حتى العمرة التي بعدها.

كما أن الحج المبرور ليس له جزاء عند الله تعالى سوى الجنة.

ومن الأحاديث الواردة في فضل أداء الحج ما يأتي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه قال:

سئل النبي ﷺ أيَ العمل أفضل؟

قال: «إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله قيل: ثم ماذا؟ قال: حجّ مبرور» اهـ متفق عليه.

المعنى: أخبر الهادي البشير ﷺ في هذا الحديث المتفق عليه بأن الحج المبرور من أفضل الأعمال وممّا يدلّ على علوّ منزلة الحج، وعظم أجره أن النبي ﷺ قرنه بالإيمان بالله تعالى وبرسوله عليه الصلاة والسلام، وبالجهاد في سبيل الله.

---

(١) رواه الشيخان، أنظر التاج جـ٢ ص١٠٦.

(٢) رواه الشيخان، انظر التاج جـ٢ ص١٠٦.

بل تارة نجد المبعوث رحمة للعالمين يخبر بأن أفضل الجهاد الحج المبرور، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «عائشة» أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله نرى الجهاد أفضل الأعمال أفلا نجاهد؟ فقال: لكن أفضل الجهاد حج مبرور» اهـ[1].

كما أخبر الهادي البشير ﷺ بأن الله تعالى يغفر بالحج المبرور جميع الذنوب التي ارتكبها الإنسان قبل الحج الا ما كان من حقوق الآدميين فإنها لا تسقط إلا بأدائها، أو بتجاوز أصحاب الحقوق عنها، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «ابن شماسة» رضي الله عنه قال: حضرنا «عمرو بن العاص» رضي الله عنه وهو في سياقة الموت، فبكى طويلًا وقال: فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله ابسط يمينك لأبايعك فبسط يده، فقبضت يدي، فقال: -أي النبي ﷺ- ما لك يا عمرو؟

قال: أردت أن أشترط، قال: تشترط ماذا؟ قال: أن يغفر لي، قال: «أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله» اهـ[2].

حقا: إنها لبشرى عظيمة يزفها الهادي البشير ﷺ إلى الامة الإسلامية، وذلك بقوله: «وأن الحج يهدم ما كان قبله» أي أنه يكون سببًا في غفران الذنوب التي كانت قبله.

وعن «عمرو بن عبسة» رضي الله عنه قال:

قال رجل: يا رسول الله ما الإسلام؟

(١) رواه البخاري، أنظر رياض الصالحين ص٤٩٣.

(٢) رواه ابن خزيمة بإسناد حسن، أنظر الترغيب جـ٢ ص٢٥٩.

قال: أن يسلم لله قلبك، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك، قال: فأيّ الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان، قال: وما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، قال فأيُّ الإيمان أفضل؟ قال: «الهجرة» قال: وما الهجرة؟ قال: أن تهجر السوء، قال: فأيّ الهجرة أفضل؟ قال: «الجهاد» قال: وما الجهاد؟ قال: «أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم» قال: فأيّ الجهاد أفضل؟ قال: من عقر جواده وأهريق دمه، قال رسول الله ﷺ: ثم عملان هما أفضل الأعمال إلّا من عمل بمثلها:

«حجة مبرورة، أو عمرة مبرورة» اهـ[1].

فانظر أخي المسلم إلى قول الهادي البشير ﷺ في هذا الحديث الشريف بأن أفضل الأعمال حجة مبرورة أو عمرة مبرورة، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على عظم منزلة الحج والعمرة عند الله تعالى.

هـذا وبالله التوفيق، والله أعلم.

---

(١) رواه أحمد بإسناد صحيح، أنظر الترغيب جـ ٢ ص٢٦٣.

شكر صاحب الجميل

السؤال على هذا الموضوع، والإجابة عليه:

س ١: الدين الإسلامي دين الحبّ، والوفاء، وردّ الجميل، وتعاليم الإسلام تقضي على كل من أُسدي له معروف أن يكافىء صاحبه، أو يدعو له بخير. نحب من فضيلتكم أن تحدثنا عن حكم شكر صاحب الجميل.

جـ ١: ما عرفت البشرية كلها منذ تاريخها الطويل دينا سماويًا مثل الدين الإسلامي الحنيف: فقد جاء تام البناء، ثابت الأركان، تعاليمه كلها على نسق واحد من الرقيّ، والتقدم والنماء، وكلها تدعو إلى الألفة، والمحبّة، والتعاون، ومعرفة الجميل لذويه، والدعاء بالخير لفاعل الخير. ومن يقرأ السنة المطهرة يجدها حافلة بهذه التعاليم النبيلة:

فعن «عبدالله بن عمر» رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن استجار بالله فأجيروه، ومن أتى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه» اهـ. رواه أبو داود، والنسائي.

وعن «الأشعث بن قيس» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ أشكر الناس لله تبارك وتعالى أشكرهم للناس» اهـ. رواه أحمد، ورواته ثقات.

وعن «عائشة» أمّ المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ

أُتِيَ إليه معروفٌ فليكافىء به، ومن لم يستطعْ فليذْكرْهُ، فإنّ منْ ذكره فقد شكره، ومَنْ تشبّع بما لَم يُعْط فهو كلابس ثوْبَيْ زور» اهـ[1].

بل نجد من تعاليم الإسلام السامية ما ينص على أنّ من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل، يوضح ذلك ما يلي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يشكرُ اللهَ من لا يشكرُ الناسَ» اهـ[2].

والإنسان كريم الأصل، طيّبُ العنصر، صاحبُ الأخلاق الفاضلة، والصلة بالله تعالى، تجده إذا أسدى إليه أيّ إنسانٍ معروفا سواء كان قليلا أو كثيرا، فإنه يبادر إلى تقديم الشكر، والدعاء له، لأنه يعلم يقينا أن عدم التحدث بنعمة الله كفر، يشير إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «النعمان بن بشير» رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناسَ لم يشكر اللهَ، والتحدّث بنعمة الله شكرٌ، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفُرْقَةُ عذاب» اهـ[3].

وعن «طلحة بن عُبَيد الله» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أُولِيَ معروفا فليذكرْهُ، فمن ذكره فقد شكرهُ، ومن كتمه فقد كفرَهُ» اهـ[4].

ويحدثنا التاريخ عن الموقف المشرّف النبيل الذي وقفه الأنصار رضوان الله عليهم أجمعين، تجاه إخوانهم المهاجرين أثناء محنتهم الكبرى، وهي خروجهم من مكة المكرّمة، مهاجرين، مطرودين بدون مال ولا أيّ شيء من حطام الدنيا، اللهم إلّا رضوان الله تعالى، ففزع إليهم الأنصار، وبذلوا لهم كل شيء نفيس، فقاسموهم أموالهم، وبيوتهم، ونساءهم، وأنزلوهم منهم منزلة الإخوة

---

(١) رواه أحمد ورواته ثقات. أنظر الترغيب جـ٢ ص١١٦.
(٢) رواه أبو داود، والترمذي، وقال صحيح. أنظر الترغيب جـ٢ ص١١٧.
(٣) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد، وغيره. أنظر الترغيب جـ٢ ص١١٧.
(٤) رواه الطبراني، وابن أبي الدنيا. أنظر الترغيب جـ٢ ص١١٧.

الأشقاء الذين يقتسمون التركة فيما بينهم سواء بسواء. وإزاء هذا الجميل الذي لم تشهد البشرية كلها مثله منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها، فقد سجّل الله تعالى لهم هذا الشرف العظيم، وأنزل فيهم قرآنا يتلى ما دامت الدنيا، فقال عزّ مِنْ قائل: ﴿والذين تبوّءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾[1].

كما سجّل المهاجرون للأنصار تلك المواقف السامية، وشكروهم وأثنَوْا عليهم عرفانا لهم بالجميل، وهناك أكثر من دليل على ذلك، ولكنني أكتفي بالحديث التالي:

فعن «أنس بن مالك» رضي الله عنه قال: قال المهاجرون: يا رسول الله ذهب الأنصار بالأجر كله، ما رأينا قوما أحسن بَذْلًا لكثير، ولا أحسن مواساةً في قليل منهم، ولقد كفونا المؤونة، قال: أليس تُثنُونَ عليهم به، وتدعون لهم؟ قالوا: بلى، قال: فذاك بذاك» اهـ[2].

هذا وبالله التوفيق، والله أعلم.

---

(١) سورة الحشر، آية ٩.

(٢) رواه أبو داود، والنسائي، أنظر الترغيب جـ٢ ص١١٨.

الصداقة: بيان واجباتها، ومقوّمات نجاحها

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا «محمد» وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾[1].

جاء في الحديث القدسيّ: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلّي يوم لا ظلّ إلّا ظلّي». رواه مسلم.

وبعد: فهذه مجموعة من الأسئلة والإجابة عليها.

عن: «الصداقة: بيان واجباتها، ومقوّمات نجاحها».

س ١: يجدر بنا ونحن نتحدث عن «الصداقة» وبيان واجباتها، أن يكون أول حديثنا عن أهم مقوّمات «الصداقة».

وهو أنه يجب أن تقوم الصداقة على الحب الخالص لله.

إذ الصداقة التي تقوم على هذا الأساس المتين ستكتب لها بإذن الله تعالى «الحياة» وتكون صداقة قوية متينة.

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٠٣.

لذلك نحب أن تحدثنا عن أهم المبادئ التي يجب أن يتم عليها اختيار الأصدقاء ثم تلقي الضوء على فضل الصداقة المبنية على الحبّ الخالص لله.

جـ ١: من الأمور المسلمة أن الإنسان بطبعه إلف مألوف، والإنسان في حياته في حاجة ماسة إلى أن يصطفي له صديقا يبث إليه شكواه، ويودعه بعض أسراره، ويستشيره في بعض قضاياه، بل لعله يأخذ برأيه في أخص شؤون الحياة.

إذًا فالصداقة مسألة هامة لكل إنسان في الحياة.

من هذا المنطلق كان لا بدّ أن تكون هناك مبادىء ثابتة، يتم بمقتضاها اختيار الأصدقاء، كي تكون صداقة حقيقية نافعة ومفيدة، لا صداقة اسمية مزيّفة كما هو مشاهد الآن:

وأرى أن هذه المبادئ يجب أن تكون متمشية وتعاليم الإسلام، بمعنى أن الصديق ينبغي أن تتوفر فيه صفات المسلم الحقيقي، مثل: الصدق، والإخلاص، والوفاء، والخوف من الله تعالى.

ومما لا شك فيه أن أفضل موجّه لنا في هذا المقام تعاليم النبي عليه الصلاة والسلام:

فعن: «أبي سعيد الخدري» رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا تصاحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقيّ» اهـ[1].

وعن «عائشة» أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أراد الله بالأمير خيرًا جعل له وزير صدق، إن نسي ذكّره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه» اهـ[2].

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، أنظر الترغيب جـ٤ ص٤٨.

(٢) رواه أبو داود، وابن حبّان، والنسائي، أنظر الترغيب جـ٣ ص٣٨٢.

فهذا الحديث وإن كان واردًا في بطانة الحكام وأولياء الأمور، إلا أنه يندرج تحته كل بطانة بما في ذلك بطانة الأصدقاء.

وأما عن بيان فضل الصداقة المبنية على الحب الخالص لله تعالى، فقد ورد في ذلك الكثير من أحاديث الهادي البشير ﷺ، أقتبس منها ما يلي:

تارة نجده عليه الصلاة والسلام يصوّر الصداقة القويّة المبنية على الحب الخالص بشيء محسوس من ألذّ المطعومات، أو المشروبات، يشعر الإنسان بلذته وحلاوته كلما تذوقه، يشير إلى ذلك الحديثان التاليان:

فعن «أنس بن مالك» رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كُنّ فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان: «من كان الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، ومن أحبّ عبدًا لا يحبّه إلا لله ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار» اهـ[1].

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من سرّه أن يجد حلاوة الإيمان، فليحبّ المرء لا يحبه إلا لله» اهـ[2].

وتارة نجده ﷺ يخبر بأن من أحب شخصا لله أظله الله في ظل عرشه يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشابّ نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه» اهـ[3].

---

(١) رواه الشيخان، والترمذي، والنسائي، أنظر الترغيب جـ ٤ ص٢٤.

(٢) رواه الحاكم، أنظر الترغيب جـ ٤ ص٢٧.

(٣) رواه الشيخان، أنظر الترغيب جـ ٤ ص٢٧.

ومن أعظم ما ورد في فضل الصداقة المبنية على الحبّ في الله الحديث التالي:

فعن «بريدة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة غرفا ترى ظواهرها من بواطنها، وبواطنها من ظواهرها، أعدّها الله للمتحابين فيه والمتزاورين فيه، والمتباذلين فيه» اهـ[1].

وأختم كلامي بالحديث التالي عن فضل الصداقة في الله:
عن «أنس» رضي الله عنه أن رجلا سأل رسول الله ﷺ: متى الساعة؟ قال: وما أعددت لها، قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، قال: أنت مع من أحببت، قال: «أنس» فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي: أنت مع من أحببت» اهـ[2]، والله أعلم.

س ٢: مما هو معروف أن الصديق قد يُطْلع صديقه على بعض أسراره لعله يجد عنده حلّا لبعض مشكلاته. ومما لا جدال فيه أن الشرع الحكيم يوجب على الصديق أن يحفظ سرّ صديقه، وأن يستر عورته.

حول هذا الموضوع نحب أن تبيّن منهج الدين الحنيف في ذلك.

جـ ٢: مما لا شك فيه أن الإنسان بطبعه، وفي حياته المليئة بالآلام والهموم والأحزان، محتاج دائما إلى صديق يجلس إليه، ويفضي إليه بآلامه وأحزانه وأن يبث إليه شكواه، لأن في ذلك تنفيسًا له عما يجده، ويشعر به من آلام نفسية خطيرة، وهذا لا يقل أهمية عن الطب النفسي، فالطبيب النفساني أحيانا يعالج مرضاه بالكلمة الطيبة.

من هذا المنطلق حرّم «منهج الإسلام» على الإنسان أن يفشي سِرًّا من الأسرار، واعتبر ذلك خيانة للأمانة التي أوجب الله المحافظة عليها في قوله: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها

(١) رواه الطبراني في الأوسط، أنظر الترغيب جـ ٤ ص٤٠.
(٢) رواه الشيخان، أنظر الترغيب جـ ٤ ص٤٥.

وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾[1].

ومن الأسرار التي تجب المحافظة عليها أنك إذا كنت تستمع إلى حديث صديقك أو أيّ إنسان ووجدته يلتفت أثناء حديثه فاعلم أنه يحدثك بحديث يجب عليك حفظه وعدم إفشائه، لأنه اعتبره أمانة عندك يجب عليك المحافظة عليها، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «جابر بن عبدالله» رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا حدّث رجلٌ رجُلًا بحديث ثم التفت فهو أمانة»[2].

وأما عن وجوب أن يستر كل صديق عورة صديقه، فهذا أمر أوجبته تعاليم الإسلام.

والصديق الذي يهتك عورة صديقه، سيكشف الله عورته يوم القيامة حتى يفضحه بين الخلائق، يدلّ على ذلك الحديثان التاليان:

فعن «ابن عباس» رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من ستر عورة أخيه ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته» اهـ[3].

وعن «أبي برزة» الأسلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه في بيته» اهـ[4].

أما الصديق الذي يحافظ على سرّ صديقه، ولا يكشف ستره، ولا ينشر عورته فإن الله سيستره في الدنيا والآخرة، يدلّ على ذلك الحديث التالي:

---

(١) سورة الاحزاب، آية ٧٢.

(٢) رواه أبو داود، والترمذي، أنظر الترغيب جـ٣ ص١٥٩.

(٣) رواه ابن ماجة بإسناد حسن، أنظر الترغيب جـ٣ ص٤١٦.

(٤) رواه أبو داود، وأبو يعلى بإسناد حسن، انظر الترغيب جـ٣ ص٤١٧.

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يستر عبد عبدًا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة» اهـ[1].

كما أخبر الهادي البشير ﷺ بأن الذي يستر عورة أخيه المسلم سيدخله الله الجنة، يدلّ على ذلك الحديث التالي: فعن «أبي سعيد الخدري» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يرى مؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا أدخله الله بها الجنة» اهـ[2].

أسأل الله أن يسترنا جميعا في الدنيا والآخرة، والله أعلم.

س ٣: من لوازم الصداقة رفع الكلفة بين الصديقين.

من هذا المنطلق سيتعامل الأصدقاء معاملة خاصة بعيدة عن الأسلوب الذي يتعامل به الإنسان مع كافة الناس، هذه المعاملة قد يترتب عليها أحيانا أمور لو عرضت على المقياس العام لرفضها.

وحرصا على عدم تقطيع عُرَى الصداقة يجب أن يحلم كل صديق على صديقه وأن يعفو عن عثرته، حول هذا نحب أن تحدثنا رجاء أن يبتعد الأصدقاء عن الحمق والغضب، وأن يعفو كل صديق عن عثرة صديقه.

جـ٣: مما هو مشاهد أن الصداقة تستلزم رفع التكليف بين الأصدقاء، وقد ورد في المثل قولهم: الألفة تمنع الكُلفة. والأصدقاء تحدث بينهم أمور تستوجب رحابة الصدر، كي تدوم هذه الصداقة.

ونحن إذا ما نظرنا إلى تعاليم الإسلام وجدناها تحث على الحلم في جميع الأحوال إذ الحلم من الصفات الحميدة التي وصف الله بها عباده المتقين بقوله:
﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض، أعدت للمتقين ★ الذين ينفقون في السّراء والضراء والكاظمين الغيظ

---

(١) رواه مسلم، أنظر الترغيب جـ٣ ص٤١٢.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط والصغير، أنظر الترغيب جـ٣ ص٤١٢.

والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين﴾[1].

والحلم من خصائصه أنه يزيل ما علق بالنفوس من كراهية، وبغضاء، فهو كالدواء للنفوس يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة إدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم ★ وما يلقّاها إلا الذين صبروا وما يلقّاها إلا ذو حظ عظيم﴾[2].

ولعظم شأن الحلم في «منهج الإسلام» فقد جاءت السنة المطهّرة حافلة بالأحاديث التي تحث عليه وتبين فضله:

فعن «ابن مسعود» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار، أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هيّن ليّن سهل» اهـ[3].

وعن «عائشة» أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه» اهـ[4].

كما أن العفو عن عثرات الإخوان، وبخاصة الأصدقاء من الصفات الحميدة التي جاء بها ديننا الإسلامي الحنيف، ولقد ضرب لنا نبينا «محمد» ﷺ المثل الأعلى في العفو والصفح والحلم:

فعن «أنس بن مالك» رضي الله عنه قال: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بردٌ نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابيّ فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي عليه الصلاة والسلام وقد أثرت بها حاشية البُرد من شدة جبذته، ثم قال: يا «محمد» مُرْ لي من مال الله الذي

(١) سورة آل عمران، الآيتان ١٣٣ - ١٣٤.
(٢) سورة فصلت، الآيتان ٣٤ - ٣٥.
(٣) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن، أنظر الترغيب جـ٣ ص٦٦٣.
(٤) رواه مسلم، أنظر الترغيب جـ٣ ص٦٥٩.

عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء» اهـ[1].

ومن ينعم النظر في السنة المطهرة يجدها حافلة بالأحاديث التي تحث على العفو والصفح، وتبين فضل العافين عن الناس: فعن «جابر بن عبدالله» رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث من جاء بهنّ مع إيمان دخل من أبواب الجنة ما شاء، وزوّج من الحور العين كما شاء: من أدّى دينا خفيا، وعفا عن قاتله، وقرأ في دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات «قل هو الله أحد».

فقال «أبو بكر» أو إحداهن يا رسول الله؟ فقال: «أو إحداهن» اهـ[2].

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل» اهـ[3].

وأختم كلامي بفضل العفو عن عثرات الأصدقاء بالحديث التالي:

فعن «عبادة بن الصامت» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات». قالوا: نعم يا رسول الله قال: «تحلم على من جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك» اهـ[4].

اللهم اعف عنا واغفر لنا وارحمنا يا أرحم الراحمين، والله أعلم.

س ٤: مما هو معروف لدى الجميع أن الغيبة من الكبائر وواجبات الصداقة ألا يغتاب الصديق صديقه، ولكن للأسف ما عليه بعض الناس اليوم

---

(١) متفق عليه، أنظر رياض الصالحين ص٢٨٦.
(٢) رواه الطبراني في الأوسط، أنظر الترغيب جـ٣ ص٥٠٩.
(٣) رواه مسلم والترمذي، أنظر الترغيب جـ٣ ص٥١١.
(٤) رواه البزّار والطبراني، أنظر الترغيب جـ٣ ص٥١١.

مخالف لذلك، ولهذا نرى صرح الصداقة سرعان ما يَنْهار بسبب الغيبة.

حول هذا الموضوع نحب أن يكون حديثنا. رجاء أن يقلع الناس عن الغيبة وبخاصة الأصدقاء.

جـ ٤ : الغيبة صفة ذميمة، وعادة قبيحة، تفشت وتسببت في تمزيق عرى الأخوّة، والصداقة بين المسلمين، ولشدّة خطورتها فقد اعتبرها الشرع الشريف من الكبائر، كما صورها القرآن أبشع تصوير، استمع إلى قول الله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله توّاب رحيم﴾[1].

فانظر كيف صوّر القرآن الغيبة، وهوّل من شأنها حيث شبّه المغتاب بالذي يأكل لحم أخيه بعد موته، ومما لا شك فيه أنه لا توجد نفس تقدم على أكل جيفة أي إنسان.

وما دام الأمر كذلك أفلا يجب على المسلمين وبخاصة الأصدقاء ترك الغيبة تلك العادة الرذيلة، التي أصبح لا ينجو منها إلا من عصمه الله.

ومما يدل أيضًا على فظاعة الغيبة، وعقوبتها الشديدة الحديثان التاليان:

فعن «أنس بن مالك» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم»[2].

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وعرضه وماله» اهـ[3]، والله أعلم.

---

(١) سورة الحجرات، آية ١٢.

(٢) رواه أبو داود، أنظر رياض الصالحين ص٥٧٨.

(٣) رواه مسلم، أنظر رياض الصالحين ص٥٧٨.

صفات عباد الرحمٰن في القرآن

الحمد لله القائل: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾[1]. والصلاة والسلام على رسول الله الذي صحّ عنه في الحديث القدسيّ قوله: إن الله تعالى قال: «من عادى لي وليّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه» اهـ. رواه البخاري.

وبعد: فهذه مجموعة من الأسئلة والإجابة عليها عن: «صفات عباد الرحمٰن في القرآن».

س ١: نود ونحن في بداية حديثنا عن هذا الموضوع الهام أن تبرز الحكمة التي تستفاد من إضافة عباد إلى «الرحمن» ثم تحدثنا عن الصفة الأولى من صفات هؤلاء الأصفياء.

جـ ١: أحب قبل الدخول في الإجابة على هذا السؤال أن أقول: لما طرد الله إبليس من الجنة نظرًا لمخالفته أمر الله تعالى بالسجود «لآدم» عليه السلام

(١) سورة الأنفال، آية ٢٩.

وقال: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾[1]. أجابه الله بقوله: ﴿قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين﴾[2].

عندئذ طلب إبليس من الله تعالى أن يؤخر أجله إلى قرب قيام الساعة، يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿قال أنظرني إلى يوم يبعثون﴾[3].

أجاب الله دعاءه وقال له: ﴿إنك من المنظرين﴾[4].

عندئذ توعّد اللعين بني آدم بالغواية والتزيين، يشير الى ذلك قول الله تعالى: ﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ★ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾[5].

حينئذ قال الله تعالى متحديًا له: ﴿اخرج منها مذءومًا مدحورًا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾[6].

ولكن هناك أناس اصطفيتهم واخترتهم لرحمتي لن تستطيع الوصول الى قلوبهم لأني أحفظهم بعنايتي وأحيطهم برعايتي. ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾[7].

إذًا فعباد الله الذين حفظهم الله من وساوس الشيطان هم عباد الرحمن الذين نتحدث عن صفاتهم. ولعل في إضافة عباد إلى «الرحمن» إشارة لطيفة وبشرى سارة وهي أن عباد الرحمن سينجيهم الله من عذاب يوم القيامة بفضله

(١) سورة الأعراف، آية ١٢.
(٢) سورة الأعراف، آية ١٣.
(٣) سورة الأعراف، آية ١٤.
(٤) سورة الأعراف، آية ١٥.
(٥) سورة الأعراف، الآيتان ١٦ - ١٧.
(٦) سورة الأعراف، آية ١٨.
(٧) سورة الحجر، آية ٤٢.

وكرمه وسيدخلهم جنات النعيم كما أشار إلى ذلك بعد أن تمت صفاتهم بقوله: ﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما ★ خالدين فيها حسنت مستقرًا ومقامًا﴾[1].

بعد ذلك انتقل إلى بيان الصفة الأولى من صفات عبدالرحمن وهي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿الذين يمشون على الأرض هونًا﴾[2] ومعنى «هونًا» أي بسكينة وتواضع. ومن ينعم النظر في هذه الصفة يجدها تضمنت أمرين:

الأمر الأول: أن عباد الرحمن من صفاتهم: التواضع ولين الجانب وحسن الخلق وهذه من الصفات الحميدة التي حث عليها «منهج الاسلام» كما جاء في فضلها الكثير من أحاديث الهادي البشير عليه الصلاة والسلام.

فعن «أبي الدرداء» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقا».

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم» اهـ.

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذه الأخلاق من الله تعالى، فمن أراد الله به خيرًا منحه خلقًا حسنا، ومن أراد الله به سوءًا منحه خلقًا سيّئًا» اهـ.

الأمر الثاني: أن هذه الصفة نفت عن عباد الرحمن: الكبر والخيلاء. وهذه من الصفات الذميمة التي ورد في التحذير منها وبيان عقوبتها الكثير من أحاديث البشير النذير عليه الصلاة والسلام:

فعن «عبدالله بن عمر» رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كِبْر»، قال رجل: يا رسول الله إن

---

(١) سورة الفرقان، الآيتان ٧٥ - ٧٦.

(٢) سورة الفرقان، آية ٦٣.

الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا.

قال: « إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس » اهـ[1].

وعن « أبي هريرة » رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى: « الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار » اهـ[2]، والله أعلم.

س ٢: الصفة الثانية من صفات « عباد الرحمن » هي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾[3].

نريد أن تحدثنا عن مدلول هذه الصفة مع بيان المراد بالجاهلين.

جـ ٢: لقد تحدثت عن الصفة الأولى من صفات عباد الرحمن وبينت أن من سماتهم أنهم يمشون على الأرض في سكينة وتواضع ووقار. ثم كانت الصفة الثانية فبينت أنهم في جدهم وتواضعهم ووقارهم يعرضون عن جهل الجاهلين ولا يلتفتون إلى حماقة الحمقى وسفه السفهاء، ويترفعون عن المهاترة مع المهاترين الطائشين. ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ لا عن ضعف ولكن عن ترفع ولا عن عجز إنما عن استعلاء فلا يردون عليهم طلبًا للسلامة لأن الإغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مطلوب عقلًا وشرعًا لأن الإسلام قد حرم المهاترات السفيهة وتبادل السباب بين المتخاصمين، وقد عد القرآن هذه الصفة من الصفات السامية والشمائل الرفيعة التي تسرع بصاحبها إلى طريق الجنات العُلى حيث يقول جل شأنه في آية أخرى: ﴿والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾[4].

نعم: إن الإيمان إذا ربا في القلب ربت معه السماحة وازداد معه الحلم ونفر

---

(١) رواه مسلم والترمذي، أنظر التاج جـ٥ ص٣٢.

(٢) رواه ابو داود ومسلم، أنظر التاج جـ٥ ص٣٢.

(٣) سورة الفرقان، آية ٦٣.

(٤) سورة آل عمران، آية ١٣٤.

المرء من طلب الهلاك للمخطئين في حقه عن رضا وارتياح لأن للطباع الأصيلة الكريمة دخلًا كبيرًا في تهذيب النفس والتحلي بأجل الصفات وأحلاها وأسماها.

فالعظيم حقًّا كلما حلق في آفاق الكمال اتسع صدره وامتد حلمه والتمس المبررات لأغلاط الناس وأخطائهم، بيد أن بعض الناس لا يسكت عند الغضب وإذا خاطبهم الجاهلون جهلوا عليهم وردوا عليهم بالسب والشتم واللعن والطعن.

والاسلام بريء من هذا كله، فعن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء». رواه الترمذي.

وعنه ﷺ أنه قال: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر». رواه الشيخان والترمذي.

ولقد كان العرب الأولون يفخرون بأنهم يقابلون الجهل والطغيان بجهل وطغيان أشد، وشاعرهم يقول:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فجاء الإسلام يكفكف من هذا النزوات والطيش والجهل ويقيم أركان المجتمع على الفضائل وكريم الخصال لأنه يعرف أن الحمق والسفه قد يذهبان بالإنسان مذاهب حمقاء فقد يسب الباب إذا استعصى عليه فتحه، وقد يلعن دابة جمحت به أو سيارة أصابها عطب أو ريحًا أصابه بغبار.

ولا شك أن ذلك نوع من الجهل والطيش الذي لا يرتضيه الاسلام.

فقد حدث أن رجلًا نازعته الريح رداءه على عهد النبي ﷺ فلعنها، فقال رسول الله ﷺ «لا تلعنها فإنها مأمورة وإنه من لعن شيئًا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه». رواه ابو داود والترمذي.

لذلك كان ضبط النفس والسكوت عن جهل الجاهلين دليل على قدرة محمودة وتماسك كريم وخلق نبيل يستحق به صاحبه أن يكون من جملة عباد الرحمن الذين أضافهم رب العزة والجلال إلى نفسه تشريفًا لهم وتكريمًا. ومنع إبليس من التسلط عليهم حين قال: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ نسأل الله تعالى أن يؤدبنا بأدب القرآن الكريم وأن ينفعنا بما فيه من الذكر الحكيم وأن يصون ألسنتنا عن الفحش، وقلوبنا عن الزيغ وأن يجعلنا من جملة من رضي عنهم إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين، اهـ. والله أعلم.

س ٣: الصفة الثالثة من صفات «عباد الرحمن» هي المرادة بقوله تعالى: ﴿والذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا﴾[١].

نحب أن تحدثنا عن هذه الصفة.

جـ ٣: هذه الصفة لعلها من أهم صفات «عباد الرحمن» إذ لا يصل إليها الانسان إلا بعد صفاء روحه من شوائب الدنيا ولذاتها.

والإنسان إذا وصل إلى هذه المنزلة وأصبح ذاكرًا لله تعالى في ليله ونهاره وغدوّه ورواحه فإنه حينئذ سيشعر بلذة الذكر ويكون ممن قال فيهم الهادي البشير عليه الصلاة والسلام: يقول الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم، وإن تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا وإن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» اهـ[٢].

ويؤيد هذا الحديث في المعنى الحديث التالي: فعن «ابن عباس» رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: قال الله تبارك وتعالى: «يا ابن آدم إذا ذكرتني خاليًا ذكرتك خاليًا وإذا ذكرتني في ملإ ذكرتك في ملإ خير من الذين تذكرني فيهم» اهـ[٣].

---

(١) سورة الفرقان، آية ٦٤.

(٢) رواه الشيخان، والترمذي، والنسائي وابن ماجة، أنظر الترغيب جـ٢ ص٦٥٥.

(٣) رواه البزار بإسناد صحيح، أنظر الترغيب جـ٢ ص٦٥٧.

ومما يدل على سمو درجة الذاكرين لله تعالى الحديثان التاليان:

فعن «عبدالله بن بُسْر» رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت فأخبرني بشيء أتشبث به - أي: التزمه وأواظب عليه - قال: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله» اهـ[1].

وعن «جابر» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما عمل آدمي عملًا أنجى له من العذاب من ذكر الله تعالى، قيل: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع» اهـ[2].

كما أخبر الهادي البشير عليه الصلاة والسلام بأن من أعطاه الله أربعة أشياء فقد أعطي خيري الدنيا والآخرة، منها ذكر الله تعالى، يبين هذه الأشياء الحديث التالي:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أربع من أعطيهن فقد أعطي خيري الدنيا والآخرة: قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وبدنا على البلاء صابرًا وزوجة لا تبغيه حَوْبًا في نفسها وماله» اهـ[3].

والمعنى: أنها لا تقع في ذنب بسبب عصيانها أوامره أو إضاعة ماله.

وفي الحديث الصحيح أن «أم انس» رضي الله عنها قالت: يا رسول الله أوصني، قال: «اهجري المعاصي فإنها أفضل الهجرة وحافظي على الفرائض فإنها أفضل الجهاد، واكثري من ذكر الله فإنك لا تأتين الله بشيء أحب اليه من كثرة ذكره» اهـ[4].

وبما أن ذكر الله تعالى من أجل وأفضل القربات، فقد ورد في الحث على حضور مجالس الذكر والاجتماع عليه أحاديث كثيرة نذكر منها الحديث التالي:

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم وقال: صحيح الإسناد، أنظر الترغيب جـ٢ ص٦٥٧.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط والصغير ورجالها رجال الصحيح، أنظر الترغيب جـ٢ ص٦٦١.

(٣) رواه الطبراني بإسناد جيد، أنظر الترغيب جـ٢ ص٦٦٤.

(٤) رواه الطبراني بإسناد جيد، أنظر الترغيب جـ٢ ص٦٦٨.

فعن «أبي الدرداء» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليبعثن الله اقوامًا يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء، قال: فجثا أعرابي على ركبتيه فقال: يا رسول الله: جلّهم لنا نعرفهم؟ قال: «هم المتحابون في الله من قبائل شتى وبلاد شتى يجتمعون على ذكر الله يذكرونه» اهـ[1].

وأختم كلامي بالحديث التالي: عن «أبي أيوب» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل» اهـ[2]، والله أعلم.

س ٤: الصفة الرابعة من صفات عباد الرحمن هي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ★ إنها ساءت مستقرًا ومقامًا﴾[3].

نود أن تحدثنا عن هذه الصفة.

جـ ٤: لقد بينت الصفة الثالثة وأثبت أنهم شغلوا لياليهم بخدمة ربهم ومراقبته حيث وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين.

أما هذه الصفة وهي السمة الرابعة من سمات عباد الرحمن فمضمونها أنهم مع اجتهادهم وتبتلهم خائفون يبتهلون إلى الله تعالى في صرف العذاب عنهم حيث يقولون: ﴿ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غرامًا﴾ ... الخ أي هلاكًا وخسرانًا لازمًا أو موجعًا.

إنهم يتوجهون إلى ربهم في ضراعة وخشوع ليصرف عنهم عذاب جهنم لا يطمئنهم أنهم يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا، فهم لما يخالج قلوبهم من التقوى

---

(١) رواه الطبراني بإسناد حسن، أنظر الترغيب جـ٢ ص٦٨٠.

(٢) رواه الشيخان والترمذي والنسائي، أنظر الترغيب جـ٢ ص٧٠٢.

(٣) سورة الفرقان، الآيتان ٦٥ - ٦٦.

يستقلون عملهم وعبادتهم او لا يرون فيها ضماناً ولا أماناً من النار إن لم يتداركهم الله بفضله ومنّه وعفوه ورحمته فيصرف عنهم عذاب جهنم.

فهذا الخوف النبيل إنما هو ثمرة الإيمان العميق وثمرة التصديق، نعم: إنهم عباد الرحمن يخافون النار ويخشون عذابها ويتضرعون الى ربهم خوفاً وفزعاً، يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة، إنهم يخافون النار وما رأوا جهنم ولكنهم آمنوا بوجودها وتمثلوا صورتها مما جاء في القرآن الكريم وعلى لسان رسول الله الكريم: ﴿إنها ساءت مستقراً ومقاماً﴾ وهل أسوأ من جهنم مكاناً يستقر فيه الإنسان ويقيم، وأين الاستقرار وهي النار؟ وأين المقام وهو التقلب على اللظى ليل نهار.

فهم حين سألوا الله تعالى أن يصرف عنهم عذاب جهنم إنما سألوه ذلك لعلتين: إحداهما: أن عذابها كان غراماً، وثانيهما: انها ساءت مستقراً ومقاماً. أي مستقراً للعصاة من أهل الإيمان فإنهم يستقرون في النار ولا يقيمون فيها ومقاماً دائماً للكفار حيث يقيمون فيها ولا يخرجون منها.

إن عباد الرحمن الذين اتسموا بهذه الصفة من خشية ربهم وعذابه مشفقون وجلون يفعلون من الطاعات ما يستطيعون ولكنهم بعد ذلك يشعرون بالتقصير والتفريط في جنب الله. لأن قلب المؤمن يستشعر نعمة الله عليه ويحس آلاءه في كل نفس وفي كل نبضة. ويستقل كل طاعاته إلى جانب آلاء الله تعالى ونعمائه، ومن ثم يشعر بالهيبة ويشفق أن يلقى الله تعالى وهو مقصر في حقه. وهؤلاء هم الذين يسارعون في الخيرات ويتنافسون في كل ما يحقق العبودية الكاملة لله تعالى التي هي أعظم شيء يتحلى به المرء ويتصف به الإنسان ولله در القائل:

ومما زادني شرفاً وتيهاً — وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي — وجعلك خير خلقك لي نبيا

تلك يقظة يفرضها الإسلام على قلب المسلم ويقويها الإيمان بمجرد

استقراره في القلوب وتنتج الاتصال بالله ومراقبته في السر والعلن والخوف من عقابه وشديد عذابه.

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يصرف عن النار أبصارنا وأن يثلج بالهدى والفرقان بصائرنا وصدورنا وأن يطمئن بذكر الله قلوبنا، إنه نعم المولى ونعم النصير، والله أعلم.

س ٥: الصفة الخامسة من صفات «عباد الرحمن» هي المقصودة بقوله تعالى: ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتُرُوا وكان بين ذلك قَوَامًا**﴾[١].

نحب أن تحدثنا عن هذه الصفة.

جـ ٥: المال مال الله والانسان مستخلف فيه، فالسعيد الذي ينفقه وفقًا للمنهج السوي الذي رسمه الله تعالى. ولذا نجد «عباد الرحمن» عندما سلكوا هذا المنهج وفازوا بدرجة القرب من الله، ونحن إذا ما أنعمنا النظر في هذا المنهج وجدناه وسطًا بين الاسراف والتقتير.

وهذه الصفة التي هي الاعتدال في الانفاق والتي هي صفة عباد الرحمن نجدها قد نفت عن «عباد الرحمن» صفتين قبيحتين نهى عنهما منهج الاسلام هما: التبذير والبخل أما التبذير فيكفي ذمه وتقبيحه قول الله تعالى: ﴿**إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورًا**﴾[٢].

وأما البخل وحب المال فقد جاءت السنة المطهرة حافلة بالأحاديث التي تحذر منهما:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفا،

---

(١) سورة الفرقان، آية ٦٧.

(٢) سورة الإسراء، آية ٢٧.

ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفا» اهـ[١].

ويؤيد هذا الحديث في المعنى الحديث التالي:

فعن «أبي الدرداء» رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «ما طلعت شمسٌ قط الا وبجنبيها ملكان يناديان: اللهم من أنفق فأعقبه خلفا، ومن أمسك فأعقبه تلفا» اهـ[٢].

ولذا نجد النبي ﷺ يخبر بأن البخل شرٌ والعياذ بالله تعالى. يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي أمامة» رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك وأن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى» اهـ[٣].

كما أننا نجد الهادي البشير ﷺ يحذر من الحرص على الدنيا وحب المال، يشير الى ذلك الحديث التالي:

فعن «ابن عباس رضي الله عنهما قال: «خطبنا رسول الله ﷺ في مسجد الخيف - أي مسجد منى - فحمد الله وذكره بما هو أهله ثم قال: من كانت الدنيا همه فرّق الله شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يؤته من الدنيا إلا ما كتب له» اهـ[٤].

كما كان عليه الصلاة والسلام يتعوذ دائمًا من عدة أمور:

أحدها: من نفس تصاب بداء الجشع وحب المال إذ هي دائمًا تلهث في طلب المزيد من حطام الدنيا.

---

(١) رواه الشيخان، وابن حبّان في صحيحه، أنظر الترغيب جـ٢ ص٦٤.
(٢) رواه احمد وابن حبّان والحاكم، أنظر الترغيب جـ٢ ص٦٦.
(٣) رواه مسلم والترمذي، أنظر الترغيب جـ٢ ص٦٦.
(٤) رواه الطبراني، انظر الترغيب جـ٢ ص٨٩٥.

يرشد إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعاء لا يسمع» اهـ[1]. من هذا يتبين ان «عباد الرحمن» فازوا بهذه المنزلة السامية وهي درجة القرب من الله تعالى، لأنهم دائمًا يسلكون المنهج المستقيم الذي رسمه لهم الهادي البشير عليه الصلاة والسلام، والله أعلم.

س ٦: الصفة السادسة من صفات عباد الرحمن هي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلٰهًا آخر﴾[2].

ما المراد بهذه الصفة؟

جـ ٦: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.

وبعد: فمن الصفات التي اتصف بها عباد الرحمن توحيد الله وإفراده بالعبادة لأن التوحيد أساس هذه العقيدة، فهم يعلمون أنه وحده هو الجدير بالعبادة فلا يعبدون سواه ولا يلجأون الا إليه ولا يرجون غيره، شغلوا أوقاتهم بطاعته والتزموا العمل بكتابه وسنة رسوله محمد ﷺ لأنهم يعلمون أن من أكبر الكبائر الشرك بالله تعالى، وهو نوعان:

أحدهما: أن يجعل لله ندًّا ويعبد معه غيره من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو نبي أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك، وهذا هو الشرك الاكبر الذي ذكره الله عز وجل حيث قال: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[3]. وقال تعالى: ﴿إن الشرك لظلم

(١) رواه مسلم والنسائي والترمذي، أنظر الترغيب جـ٢ ص٨٩٨.

(٢) سورة الفرقان، آية ٦٨.

(٣) سورة النساء، آية ١١٦.

عظيم﴾[1] . وقال تعالى: ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾[2] . والآيات في ذلك كثيرة. فمن أشرك بالله ثم مات مشركًا فهو من أصحاب النار قطعًا كما أن من آمن بالله ومات مؤمنا فهو من أصحاب الجنة وإن عذب بالنار.

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر - ثلاثًا - قالوا: بلى يا رسول الله قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين. وكان متكئًا فجلس فقال: الا وقول الزور، ألا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت». متفق عليه.

قال ﷺ «اجتنبوا السبع الموبقات» فذكر منها الشرك بالله والحديث رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

والنوع الثاني من الشرك: الرياء بالأعمال كما قال الله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا﴾[3] .

أي: لا يرائي بعمله أحدًا، وقال ﷺ: «إياكم والشرك الأصغر، قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء، يقول الله تعالى يوم يجازي العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء». رواه احمد باسناد جيد.

وذكر الحسن رحمه الله أن المقصود من ذكر هذه الصفة التنبيه على الفرق بين سيرة المسلمين وسيرة الكفار. كأنه قال: وعباد الرحمن هم الذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر وأنتم تدعون معه الهة أخرى. وعن ابن مسعود أنه قال: «قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم»؟ قال: أن تجعل لله ندًا وهو خلقك، قلت: ثم أي؟ قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك، قلت: ثم

(١) سورة لقمان، آية ١٣.
(٢) سورة المائدة، آية ٧٢.
(٣) سورة الكهف، آية ١١٠.

أي؟ قال: أن تزني بحليلة جارك فأنزل الله تصديقه.

فعباد الرحمن جديرون بأن يتصفوا بهذه الصفة فلا يدعون معه الها آخر لأنهم يوقنون أنه الخالق العظيم المالك المدبر لجميع الأمور، الحي القيوم الذي قامت به السموات والأرض خلق كل شيء فقدره تقديرًا. أمد الإنسان بالنعم والعقل والفهم وأعده لقبول ذلك والانتفاع به فله - جل شأنه - فضل الإيجاد والإعداد والإمداد إنه لا يريد من عبده رزقًا ولا إطعامًا: ﴿لا نسألك رزقًا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾[1].

وإنما يريد منه شيئًا واحدًا، يريد منه أن يعبده وحده لا شريك له، يريد منه أن يكون عبدًا له بكل معاني العبودية كما أنه ربه بكل معاني الربوبية، يريده عبدًا متذللًا له، خاضعًا له، ممتثلًا أمره مجتنبًا نهيه، مصدقًا بخبره لأنه يرى نعمة الله سابغة عليه تترى، يسوق نعمه على العبد بفضله، ويدفع عنه السوء برحمته.

فهم هذه المعاني عبادُ الرحمن فعبدوه متذللين طائعين، وراقبوه في السر والعلن خائفين خاشعين فكان جزاؤهم جنات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين يتلقون فيها بالتحية والتكريم فيقال لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين. والله أعلم.

س ٧: الصفة السابعة من صفات «عباد الرحمن» هي المقصودة بقوله تعالى: ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾[2].

نحب أن تبين المراد من هذه الصفة.

جـ ٧: الروح سر من أسرار الله تعالى أودعها أنفس عباده، وهو الذي يتوفى هذه الأنفس وفقًا لإرادته ومشيئته، ومن تعاليم الاسلام أن الله تعالى حرم قتل النفس بغير حق واعتبر ذلك من السبع الموبقات - والعياذ بالله

(١) سورة طه، آية ١٣٢.
(٢) سورة الفرقان، آية ٦٨.

تعالى ـ. ومن يقرأ الكتاب والسنة يتبين له بجلاء ووضوح العقوبة والعذاب الأليم لكل من يقتل نفسًا بغير حق.

فمن الآيات القرآنية قول الله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا﴾[1].

ومن الأحاديث النبوية ما يلي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات ـ أي المهلكات ـ، قيل: يا رسول الله وما هن؟

قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق. وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» اهـ[2].

ولفظاعة قتل النفس بغير حق نجد النبي ﷺ يخبر بأن خراب الدنيا وفناءها أهون على الله تعالى من قتل مؤمن بغير حق. يدل على ذلك الحديثان التاليان:

فعن «البراء بن عازب» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق» اهـ[3].

وعن «عبدالله بن عمر» رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ـ أي في حجة الوداع، او عمرة القضاء ـ ويقول: ما أطيبك وما أطيب ريحك. وما أعظمك وما أعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك ماله ودمه» اهـ[4].

كما نجد البشير النذير عليه الصلاة والسلام يخبر بأن اثنين لا يغفر الله لهما

---

(١) سورة النساء، آية ٩٣.
(٢) رواه الشيخان وابو داود والنسائي، أنظر الترغيب جـ٣ ص٤٨٩.
(٣) رواه البيهقي وابن ماجة بإسناد حسن، أنظر الترغيب جـ٣ ص٤٩٠.
(٤) رواه ابن ماجة، أنظر الترغيب جـ٣ ص٤٩١.

يوم القيامة: من مات كافرًا أو مشركًا، ومن قتل مؤمنًا متعمدًا بغير حق، يرشد الى ذلك الحديث التالي:

فعن «معاوية» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا او الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا» اهـ[1].

وأختم كلامي بالحديث التالي:

فعن «أبي سعيد الخدري» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يخرج عنق من النار يتكلم ويقول: وكلت اليوم بثلاثة: بكل جبار عنيد، ومن جعل مع الله إلهًا آخر، ومن قتل نفسًا بغير حق، فينطوي عليهم فيقذفهم في جمر جهنم» اهـ[2].

لهذا نجد «عباد الرحمن» فازوا برضوان الله تعالى لأنهم حافظوا دائمًا على تنفيذ تعاليم الإسلام، والله أعلم.

س ٨: الصفة الثامنة هي المقصودة بقوله تعالى: ﴿ولا يزنون﴾[3].

ما المراد بهذه الصفة؟

جـ ٨: السمة الثامنة من صفات عباد الرحمن: طهارة النفس والبيت والجماعة وهذه الطهارة تكمن في حفظ الفروج وذلك هو المقصود بقوله تعالى: ﴿ولا يزنون﴾.

إن هؤلاء العباد عباد الرحمن يصونون أنفسهم عن الدنس والخطايا ويعلمون ان الزنا كبيرة من الكبائر والقرآن الكريم بين فحشه وسوء سبيله حيث قال الله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلًا﴾[4].

---

(١) رواه النسائي والحاكم وقال: صحيح الإسناد، أنظر الترغيب جـ٣ ص٤٩٤.
(٢) رواه أحمد والبزار، أنظر الترغيب جـ٣ ص٤٩٧.
(٣) سورة الفرقان، آية ٦٨.
(٤) سورة الإسراء، آية ٣٢.

وثبت عن رسول الله ﷺ فيما رواه ابو هريرة أنه قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن». رواه ابو داود والترمذي.

وقال ﷺ في حديث آخر: «إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان كالظلة على رأسه ثم إذا أقلع رجع إليه الإيمان». رواه الحاكم من حديث أبي هريرة.

وعن «ابن مسعود» رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله: أي الذنب أعظم عند الله تعالى؟ قال: أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك، فقلت ان ذلك لعظيم ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية ان يطعم معك، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزني بحليلة جارك» يعني زوجة جارك فأنزل الله عز وجل تصديق ذلك ﴿والذين لا يدعون مع الله الهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾[1]. نعم: إن عباد الرحمن وصفوا بالتحرج عن الزنا وحفظ الفرج وطهارة القلب لأنهم يعلمون أن فعل ذلك تمرد على سنن الله في الكون وهتك للمحرمات، وهدم لاستقرار الأسر وقتل لفضيلة الحياء ومعاندة للفطرة التي فطر الله الناس عليها.

إن الجماعة التي تنطلق فيها الشهوات بغير حساب جماعة قذرة هابطة في سلم البشرية لأنه لا أمن فيها للبيت ولا حرمة فيها للأسرة، والبيت هو الوحدة الأولى في بناء المجتمع ولا بد له من الأمن والاستقرار والطهارة ليعيش الزوجان مطمئنًّا كل منهما للآخر وهما يرعيان البيت وما فيه من أولاد.

وصفوة القول هو أن هذه الصفة تعني طهارة الروح والبيت والجماعة ووقاية النفس والأسرة والمجتمع بحفظ الفروج من دنس المباشرة في غير حلال، وحفظ القلوب من التطلع إلى غير حلال وحفظ الجماعة من انطلاق الشهوات فيها بغير حساب ومن فساد البيوت فيها واختلاط الأنساب.

نسأل الله المنان أن يحفظنا بحفظه وأن يكلأنا برعايته وأن يغفر لنا ذنوبنا وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه إنه سميع مجيب، والله أعلم.

---

(١) سورة الفرقان، آية ٦٨.

عقوبة تارك الصلاة عمداً

السؤال على هذا الموضوع، والإجابة عليه:

س ١ : الصلاة ركن من أركان الإسلام، وبالصلاة يكفر الله الذنوب، والصلاة صلة بين العبد وخالقه. ولكن للاسف هناك الكثيرون من الرجال والنساء لا يخافون الله تعالى ويتعمدون ترك الصلاة لسبب من الأسباب.

نرجو من فضيلتكم أن تحدثنا عن عقوبة ذلك.

جـ ١ : من يقرأ السنة المطهرة يستطيع أن يعرف بأن تعاليم البشير النذير ﷺ تفيد بأن ترك الصلاة عمداً يحبط الأعمال، يوضح ذلك الحديث الآتي:

فعن «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من ترك صلاة متعمداً أحبط الله عمله، وبرئت منه ذمة الله حتى يراجع الله عز وجل توبته» اهـ. رواه الأصبهاني.

فالصلاة هي الصلة الحقيقية بين العبد وربه، وبالصلاة يكفر الله الذنوب، ويمحو الخطايا، يوضح ذلك الحديث الآتي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرّات هل يبقى من درنه شيء؟

قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا» اهـ. رواه الشيخان، والترمذي، والنسائي.

ولأهمية الصلاة في «منهج الإسلام» فقد جعل نبي الإسلام المقياس الحقيقي الذي يعرف به المسلم من المشرك والكافر، أداء الصلاة، يوضح ذلك الحديثان التاليان:

فعن «جابر بن عبد الله» رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» اهـ[1].

وعن «ثوبان» رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بين العبد، وبين الكفر والايمان الصلاة، فإذا تركها فقد أشرك» اهـ[2].

ومن يقرأ تعاليم الهادي البشير ﷺ يجده يخبر صراحة بأن من ترك الصلاة متعمدًا فقد خرج من «الملّة» والعياذ بالله تعالى، يدل على ذلك الحديثان التاليان:

فعن «عبادة بن الصامت» رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي رسول الله ﷺ بسبع خصال فقال: «لا تشركوا بالله شيئًا وإن قطعتم أو حرقتم، أو صلّبتم، ولا تتركوا الصلاة متعمّدين، فمن تركها متعمّدًا فقد خرج من الملّة، ولا تركبوا المعصية فإنها سخط الله، ولا تشربوا الخمر فإنها رأس الخطايا كلها» اهـ[3].

وعن «أنس بن مالك» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من ترك الصلاة متعمدًا فقد كفر جهارًا» اهـ[4].

---

(١) رواه مسلم، انظر الترغيب جـ ١ ص ٤٧٤.
(٢) رواه الطبراني بإسناد صحيح، انظر الترغيب جـ ١ ص ٤٧٦.
(٣) رواه الطبراني بإسناد حسن، انظر الترغيب جـ ١ ص ٤٧٥.
(٤) رواه الطبراني بإسناد حسن، انظر الترغيب جـ ١ ص ٤٧٨.

وتارة نجد النبي ﷺ يصوّر مكانة الصلاة من الدين بمكانة الرأس من الجسد، يشير إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «ابن عمر» رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا صلاة لمن لا طهور له، ولا دين لمن لا صلاة له، إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد» اهـ[١].

ولشدّة عقوبة تارك الصلاة فقد أخبر البشير النذير ﷺ بأن من لم يحافظ على الصلاة فإنه سيحشر يوم القيامة مع أعداء الله تعالى، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «عبد الله بن عمر» رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ذكر الصلاة يومًا فقال: «من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا، ونجاة، يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور، ولا برهان، ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون، وفرعون، وهامان، وأبيّ بن خلف» اهـ[٢].

ومن الأمور الهامة التي كان يوصي بها الرسول ﷺ الصحابة المحافظة على الصلاة، يرشد إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «معاذ بن جبل» رضي الله عنه قال أوصاني رسول الله ﷺ بعشر كلمات قال: «لا تشرك بالله شيئًا، وإن قتلت أو حرّقت، ولا تعص والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك، ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدًا فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدًا فقد برئت منه ذمّة الله، ولا تشرب خمرًا فإنه رأس كل فاحشة، وإياك والمعصية، فإن بالمعصية حلّ سخط الله، وإياك والفرار من الزحف، وإن هلك الناس، وإن أصاب الناس موت فاثبت، وأنفق على أهلك من طولك، ولا ترفع عنهم عصاك أدبًا، وأخفهم في الله» اهـ[٣] والله أعلم.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط، انظر الترغيب جـ١ ص٤٧٧.

(٢) رواه أحمد والطبراني في الكبير، انظر الترغيب جـ١ ص٤٨٥.

(٣) رواه أحمد، والطبراني في الكبير، انظر الترغيب جـ١ ص٤٨٠.

فضل حملة القرآن وتلاوته

السؤال على هذا الموضوع، والإجابة عليه:

س ١ : لقد تواترت الأخبار، وكثرت الأحاديث الواردة في الإشادة بحملة القرآن، وببيان فضل قراءته، نحبّ من فضيلتكم أن تذكر قبسًا من الأحاديث الواردة في ذلك.

جـ ١ : لقد اهتم نبينا «محمد» ﷺ اهتمامًا كبيرًا بحملة «القرآن» وبيّن فضل تلاوته في الكثير من الأحاديث الصحيحة، لذلك نجد الصحابة رضوان الله عليهم يتسابقون في حفظ «القرآن» ويتمسكون بالتعاليم التي جاء بها.

كما نجد الهادي البشير ﷺ في غزوة «أحد» يقدّم حملة القرآن في الدفن على غيرهم تكريمًا لهم.

أمّا عن الأحاديث الواردة في ذلك فهي كثيرة ومتعددة، وأكتفي بذكر قبس منها رجاء أن يعود المسلمون جميعًا إلى مدارسة «القرآن» بعد أن شغلتهم الصحف والمجلات عن قراءة القرآن الكريم:

عن «عثمان بن عفان» رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه» اهـ. رواه البخاري وأبو داود.

وعن «عبد الله بن عباس» رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أشراف أمّتي حملة القرآن، وأصحاب الليل» اهـ. رواه الطبراني.

وعن «عبدالله بن مسعود» رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اقرأوا القرآن فإن الله تعالى لا يعذّب قلبا وعى القرآن، وإن هذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه أمن» اهـ. رواه الدارمي.

وعن «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن وعمل به أُلبس والداه تاجًا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا، فما ظنكم بالذي عمل بهذا» اهـ. رواه الترمذي.

وعن «عبدالله بن مسعود» رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، أما إني لا أقول «الم» حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» اهـ. رواه الترمذي، وقال حسن صحيح.

وعن «أبي أمامة الباهلي» رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه» اهـ. رواه مسلم.

وعن «أنس بن مالك» رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله أهلين من الناس، قيل: من هم يا رسول الله؟

قال: أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته» اهـ. رواه أحمد.

وعن «عبد الله بن عمرو» رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن: إقرأ وارتق، ورتّل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» اهـ. رواه ابو داود، والترمذي.

وعن «أبي موسى الأشعري» رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجّة ريحها طيّب وطعمها طيّب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيّب وطعمها مرّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مرّ» اهـ. رواه البخاري، ومسلم.

وعن «عبد الله بن عمر» رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، قالوا يا رسول الله فما جلاؤها؟ قال:

تلاوة القرآن» اهـ. أخرجه البيهقي.

بعد ذلك أنتقل إلى ذكر قبس من الأحاديث الواردة في فضل قراءة سور بعينها:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لكلّ شيء سنام، وإن سنام القرآن سورة البقرة، وفيها آية هي سيدة آي القرآن: هي آية الكرسيّ» اهـ. رواه الترمذي.

وعن «أبي الدرداء» رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجّال» اهـ. رواه مسلم، والترمذي.

وعن «أبي سعيد الخدريّ» رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له نور ما بين الجمعتين» اهـ. رواه الحاكم، والبيهقي.

وعن «أنس بن مالك» رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن لكل شيء قلبًا، وقلب القرآن يّس، ومن قرأ يّس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات» اهـ. رواه البيهقي، والترمذي.

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قرأ حم» الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك» اهـ. رواه أحمد، والبيهقي.

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى غفر له تبارك الذي بيده الملك» اهـ. رواه أبو داود، والترمذي.

وعن «أنس بن مالك» رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من قرأ «إذا زلزلت» عدلت له بنصف القرآن، ومن قرأ «قل يا أيها الكافرون» عُدِلت له بربع القرآن، ومن قرأ «قل هو الله أحد» عُدِلت له بثلث القرآن» اهـ. رواه الترمذي. والله أعلم.

فضل صلاة الجماعة

السؤال على هذا الموضوع، والإجابة عليه:

س ١: صلاة الجماعة فيها الأجر الكثير والثواب الجزيل، وترك صلاة الجماعة يحبط الأعمال والعياذ بالله تعالى نريد من فضيلتكم الحديث عن هذا الموضوع الهام.

جـ ١: تعاليم الإسلام تحث على التعاون، والتعارف، يوضح ذلك قول الله تعالى: ﴿وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا﴾[٢].

ومن الأمور التي تعتبر سببًا في التعاون، والتعارف: صلاة الجماعة، حيث يجتمع كل أهل قرية، أو أهل كل حيّ من الأحياء في مسجد واحد خمس مرات في اليوم والليلة، وحينئذ يقف بعضهم على أحوال بعض حتى يصبحوا كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضًا.

لذلك فقد جاءت تعاليم الإسلام ببيان فضل صلاة الجماعة، يوضح ذلك الحديث التالي:

---

(١) سورة المائدة، آية ٢.

(٢) سورة الحجرات، آية ١٣.

فعن «عثمان بن عفان» رضي الله عنه أنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من توضأ فأسبغ الوضوء، ثم مشى إلى صلاة مكتوبة فصلاها مع الإمام غفر له ذنبه» اهـ. رواه ابن خزيمة في صحيحه.

ولشدّة اهتمام النبي ﷺ بحضور المؤمنين صلاة الجماعة فقد أخبر بأن من تخلف عن صلاة الجماعة بغير عذر فإن الله لا يقبل منه الصلاة التي صلاها منفردًا يدلّ على ذلك الحديث التالي:

فعن «ابن عباس» رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من سمع النداء فلم يمنعه من اتّباعه عذر، قالوا: وما العذر؟ قال: خوف أو مرض، لم تقبل منه الصلاة التي صلّى» اهـ[1].

وفي رواية:

أن النبي ﷺ قال: «من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر» اهـ[2].

كما حذر البشير النذير ﷺ من التخلف عن صلاة الجماعة وتوعّد المتخلّفين بتحريق بيوتهم عقابا على تخلفهم، يشير إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لقد هممت أن آمر فتيتي فيجمعوا لي حُزَمًا من حطب، ثم آتي قومًا يصلون في بيوتهم ليست بهم علّة فأحرّقها عليهم».

فقيل «ليزيد» هو: ابن الصمّ: الجمعة عَنَى أو غيرها؟ قال: صمّت أذناي إن لم أكن سمعت «أبا هريرة» يأثره عن رسول الله ﷺ ولم يذكر جمعة ولا غيرها»[3].

---

(١) رواه أبو داود، وابن حبان، وابن ماجة، انظر الترغيب جـ١ ص٣٥٩.

(٢) رواه ابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، انظر الترغيب جـ١ ص٣٥٩.

(٣) رواه مسلم، وأبو داود، وابن ماجة، انظر الترغيب جـ١ ص٣٦١.

كما أخبر ﷺ بأنه إذا كان هناك عدد ولو قليل يقيمون في أيّ مكان ولا تقام فيهم صلاة الجماعة إلا استحوذ عليهم الشيطان، يرشد إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي الدرداء» رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من ثلاثة في قرية، ولا بدو، لا تقام فيهم الصلاة الا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» اهـ[1].

ونظرًا لأهمية صلاة الجماعة في تعاليم الإسلام فقد رفض النبيّ ﷺ أن يأذن لمكفوف البصر بالتخلّف عن صلاة الجماعة ما دام يسمع النداء.

يشير إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «جابر» رضي الله عنه قال: أتى «ابن أم مكتوم» النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله إن منزلي شاسع، وأنا مكفوف البصر، وأنا أسمع الأذان، قال: «فإن سمعت الأذان فأجب ولو حبوا أو زحفًا» اهـ[2].

هــذا وبالله التوفيق والله أعلم.

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، انظر الترغيب جـ ١ ص٣٥٩.

(٢) رواه أحمد، وابن حبان، وأبو يعلى، انظر الترغيب جـ ١ ص٣٦٦.

فضل صوم شهر رمضان وقيام ليله

السؤال على هذا الموضوع، والإجابة عليه:

س ١: صوم شهر رمضان من أركان الإسلام، وقد جاء في فضل صومه، وقيام ليله الكثير من أحاديث الهادي البشير ﷺ، نريد من فضيلتكم إلقاء الضوء على ذلك.

جـ ١: جاء في فضل صوم شهر رمضان، وقيام ليله، وعمل الخيرات فيه الكثير من أحاديث الهادي البشير ﷺ أقتبس منها ما يأتي:

فعن «سلمان الفارسيّ» رضي الله عنه قال:

«خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال: «يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله قيامه فريضة، وقيام ليله تطوّعا، من تقرّب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدّى فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنّة، وشهر المواساة، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه، من فطر فيه صائمًا كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء، قالوا يا رسول الله: ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، فقال: «يعطي الله هذا الثواب، من فطّر صائمًا على تمرة، أو على شربة ماء، أو مذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار.

من خفّف عن مملوكه فيه غفر الله له، وأعتقه من النار واستكثروا فيه من أربع خصال:

خصلتين ترضون فيهما ربكم، وخصلتين لا غناء بكم عنهما، فأمّا الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم:

فشهادة ان لا إله الا الله، وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لاغناء بكم عنهما، فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن سقى صائمًا سقاه الله من حوضي شَرْبَة لا يظمأ حتى يدخل الجنة» اهـ[1].

المعنى: حقًّا إنها لنعمة كبرى، وتفضل عظيم من الله تعالى على عباده المؤمنين حيث اختصهم دون سائر الأمم السابقة بشهر رمضان، وأغدق عليهم نعمه في هذا الشهر الكريم. فجعل أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتقًا من النار. وجعل فيه ليلة القدر التي يساوي العمل فيها العمل في الف شهر يشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾[2]. كما ضاعف الله فيه الأجر لعباده المؤمنين: فمن تقرب فيه إلى الله تعالى بخصلة من الخير كان كمن أدّى فريضة فيما سواه، ومن فطّر فيه صائمًا ابتغاء مرضاة الله تعالى كان مغفرة لذنوبه، وعتقا لرقبته من النار، وكان له مثل أجر الصائم من غير أن ينقص من أجره شيء.

ومن سقى فيه صائمًا، سقاه الله من حوض النبي ﷺ.

وعن «عبادة بن الصامت» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يومًا وقد حضر رمضان:

«أتاكم رمضان، شهر بركة، يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعا. ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته،

---

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه، انظر الترغيب جـ٢ ص ١٤٢.

(٢) سورة القدر، آية ٣.

فأروا الله من أنفسكم خيرًا، فإن الشقيّ من حُرِم فيه رحمة الله عز وجل» اهـ[1].

المعنى: أخبر البشير النذير ﷺ في هذا الحديث بان الله سبحانه وتعالى يتجلّى على عباده خلال شهر رمضان تجليًا خاصًّا:

فينزّل عليهم رحماته، ويحطّ عنهم الخطايا، ويستجيب فيه لدعائهم، ويباهي ملائكته بعباده المؤمنين الصائمين الذين حرموا أنفسهم لذة الطعام والشراب ابتغاء مرضاة الله تعالى، وامتثالا لأمره.

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت أمتي خمس خصال في رمضان لم تعطهنّ أمة قبلهم:

خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الحيتان حتى يفطروا، ويزين الله عزّ وجلّ كل يوم جنته ثم يقول: يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤونة، ويصيروا إليك، وتصفّد فيه مردة الشياطين، فلا يخلصوا فيه إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره، ويغفر لهم في آخر ليلة، قيل: يا رسول الله أهي ليلة القدر؟ قال: لا ولكن العامل إنما يوفّى أجره إذا قضى عمله» اهـ[2].

من الأحاديث النبوية التي جاءت في فضل صيام شهر رمضان وقيام ليله ما يأتي:

عن «أبي سعيد الخدريّ» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان، وعرف حدوده، وتحفّظ مما ينبغي له أن يتحفّظ كفّر ما قبله» اهـ.

رواه ابن حبّان والبيهقي.

المعنى: الصوم له حدود، وعلى كل صائم أن يعرفها، وأن يحافظ عليها كي لا يفسد صومه:

---

(١) رواه الطبراني، ورواته ثقات، انظر الترغيب جـ٢ ص١٤٩.

(٢) رواه أحمد والبزار، والبيهقي، انظر الترغيب جـ٢ ص١٣٦.

وذلك بأن يبتعد عن كل ما نهى عنه الشرع الشريف.

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا تردّ دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الربّ: وعزّتي لانصرنك ولو بعد حين» اهـ. رواه أحمد، والترمذي، وابن حبان.

المعنى: مما هو ثابت في الحديث الصحيح أن الدعاء مخ العبادة وإذا كان الله تعالى قد أمرنا بالدعاء ووعدنا بالاستجابة، إلاّ أن الدعاء المقبول له آداب، وشروط، فلا يستجيب الله دعاء العبد إلا إذا تحققت هذه الآداب، وتوفّرت هذه الشروط وهذا الحديث الشريف بيّن أنه هناك ثلاثة أشخاص لا تردّ دعوتهم وهم:

الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، والمظلوم.

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى: «كل عمل ابن آدم له إلّا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم، والذي نفس «محمد» بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما:

إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه» اهـ[1].

المعنى: هذا حديث قدسيّ يخبر الله عزّ وجل فيه بأن كل عمل ابن آدم له، بمعنى أن لنفسه حظ منه يتعجله في دنياه، مثل: الجاه، والثناء الخ.

إلّا الصيام فإنه عمل خالص من الرياء، وهو سرّ بين العبد وربّه ولذلك فقد تفرّد الله بالجزاء عليه، وما ظنّك بأمر تكفّل الله تعالى بالجزاء عليه، إنه لجزاء عظيم.

---

(١) رواه الخمسة، أنظر التاج جـ٢ ص٤٦.

ثم بين الحديث بعض فضائل الصوم: فبيّن أنه وقاية وحفظ من النار يوم القيامة، ثم بين بعد ذلك الآداب التي يجب أن يتحلى بها الصائم، وتتمثل فيما يلي:

يجب عليه ترك الجماع طوال النهار حتى يفطر، وأن لا يرفع صوته بالفحش من الكلام، وليكبح جماح نفسه الأمّارة بالسوء بحيث إذا سابّه أحد، أو أراد قتاله، فلا يردّ عليه السيئة بمثلها، بل يكف عن ذلك وليقل: إني صائم. الا يعتبر الصوم من أعظم المدارس التربويّة التي تربي النفس على الأخلاق الفاضلة؟

ثم ينتقل الحديث بعد ذلك لبيان بعض ما أعدّه الله تعالى من الثواب للصائمين:

فبيّن أن خلوف فم الصائم: وهو ما يبدو انه رائحة غير طيبة على فم الإنسان بسبب الإمساك عن الطعام، والشراب، هذه الرائحة التي قد تعافها النفس البشرية في العادة، ستكون يوم القيامة أطيب من ريح المسك.

ثم بين الحديث أن للصائم فرحتين يفرحها، والفرح هو السرور بالأمر المحبوب:

الفرحة الأولى: إذا أفطر آخر النهار يفرح بتوفيق الله تعالى له على الصوم.

الفرحة الثانية: إذا كان يوم القيامة فإنه يفرح بالأجر العظيم الذي أعدّه الله جزاء صومه، وامتثاله لأمر الله تعالى.

هذا وبالله التوفيق، والله أعلم.

الفكر الإسلامي أسسه وأهدافه

الحمد لله الذي أرسل لنا نبينا «محمدًا» ﷺ هاديًا، ومبشرًا، ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجا منيرًا، والصلاة والسلام على رسول الله الذي صحّ عنه قوله:

«لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلاّ هالك» اهـ.

والفكر الاسلامي لا ينفك عن الثقافة الإسلاميّة التي تسعى كل أمة مسلمة سعيًا حقيقيًّا إلى أن تكون مناهجها واضحة الدلالة في ذاتها، مرعية الجانب لدى أبنائها، وتتخذ لتحقيق ذلك وسائل شتّى:

فتضع المناهج التعليمية، وتعقد المؤتمرات العامة، وتستخدم بوجه عام كل وسائل الإعلام لتوضيح هذه المفاهيم، وشرحها، وبيان أسسها، وخصائصها.

والفكر الإسلامي عبارة عن مجموع المفاهيم الأساسيّة، والقيم الاجتماعية التي تحرص الأمة الإسلامية على ترسيخها، في عقول أبنائها.

وبعد: فهذه مجموعة من الأسئلة، والإجابة عليها حول موضوع «الفكر الإسلامي أسسه وأهدافه».

س ١: من أهمّ الأسس التي يقوم عليها الفكر الإسلامي «العلم» إذ به يعرف الإنسان ما يجب عليه نحو خالقه، ثمّ بني جنسه، ووطنه، إلى غير ذلك

من أصحاب الحقوق والواجبات. وبالعلم يعرف الإنسان الحلال من الحرام، والطيب من الخبيث. لذلك نحبّ أن تحدثنا عن مكانة العلم في الدين الإسلامي، مع بيان فضل طلبه.

جـ ١: هذا السؤال لعلّه من أهمّ الاسئلة المتصلة بالفكر الإسلاميّ ومما لا جدال فيه أن من أهمّ مكونات الفكر الإسلامي «الثقافة» التي تقوم على دعائم ثلاث:

الدعامة الأولى والثانية: الفهم الصحيح لآيات القرآن، وسنة النبي عليه الصلاة والسلام.

الدعامة الثالثة: ما يستفاد من معرفة سيرة النبي ﷺ وسيرة صحابته رضوان الله عليهم أجمعين. وهذه الدعائم الثلاث لا يتوصل إلى معرفتها إلا بطلبها من مظانها ومصادرها عن طريق العلماء، ودور التعليم، ووسائل المعرفة الصحيحة. وطلب العلم في نظر الشريعة الإسلامية من أنبل المقاصد، وأسمى الغايات. وبما أن طلب العلم فيه الكثير من المشقة على كل نفس لم تتذوق لذّة العلم، ولم تشعر بحلاوته.

كان من الأجدر بنا أن نتحدث عن ثلاثة أمور هامة رجاء أن تشوّق كل مسلم إلى طلب العلم، والتفاني فيه:

الأمر الأول: فضل الرحلة إلى طلب العلم.

وذلك لأن العلم قد لا يتيسر للإنسان طلبه في قريته، أو مدينته، وكان لا بدّ من السعي إليه بحيث يكلف الإنسان الكثير من آلام السفر، وذلّ الاغتراب.

ولقد أدرك معلّم البشرية الأول نبينا «محمد» ﷺ بثاقب نظره هذه الحقيقة، وعالجها عن طريق الوحي الإلهي أفضل علاج.

وبيان ذلك أننا نجد الأحاديث الواردة في فضل «الرحلة إلى طلب العلم»،

تشوّق الإنسان، وتحبّبه، وترغبه في طلبه، وتنسيه الكثير من الآلام، والمشاقّ التي يتكبدها الإنسان أثناء هذه الرحلة المباركة ويسعدني أن أقتبس شيئًا من الأحاديث الواردة في هذا الشأن فأقول وبالله التوفيق:

عن «أبي الدرداء» رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من غدا يريد العلم يتعلمه لله، فتح الله له بابًا إلى الجنة، وفرشت له الملائكة أكنافها، وصلّت عليه ملائكة السموات، وحيتان البحر، وللعالم من الفضل على العابد كالقمر ليلة البدر على أصغر كوكب في السماء، والعلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورّثوا دينارًا ولا درهمًا، ولكنهم ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظه، وموت العالم مصيبة لا تُجبر، وثلمة لا تسدّ، وهو نجم طمس، وموت قبيلة أيسر من موت عالم» اهـ. رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

الأمر الثاني: ما جاء في فضل العلم. والاحاديث الواردة في ذلك كثيرة ومتعددة، وحسبي أن أقتبس بعضها فأقول:

عن «عبد الله بن مسعود» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبد خيرًا فقهه في الدين وألهمه رشده» اهـ. رواه البزار، والطبراني.

وعن «ابن عمر» رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل العبادة الفقه، وأفضل الدين الورع» اهـ. رواه الطبراني.

وعن «أبي موسى الأشعري» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يبعث الله العباد يوم القيامة، ثم يميّز العلماء فيقول: يا معشر العلماء إني لم أضع علمي فيكم لأعذبكم، أذهبوا فقد غفرت لكم» اهـ. رواه الطبراني في الكبير.

الأمر الثالث: مجالسة العلماء للاستفادة منهم:

فعن «أبي أمامة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن لقمان قال لابنه: يا بنيّ عليك بمجالسة العلماء، واسمع كلام الحكماء، فإن الله ليحيي القلب

الميّت بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر » اهـ. رواه الطبراني في الكبير. والله أعلم.

س ٢ : من يقرأ القرآن الكريم يجد الكثير من الآيات الواردة بأسلوب فيه توجيه النظر والفكر إلى الكثير من الآيات الكونية ليستدّل بها الإنسان على أمرين :

الأمر الأول: الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى وحده هو الموجد لهذه المخلوقات.

الأمر الثاني: الإيمان الراسخ بصدق نبوّة سيدنا « محمد » ﷺ.

نريد من فضيلتكم أن تطوّف بنا حول هذه الآيات لننعم الفكر فيها.

جـ ٢ : من يقرأ القرآن الكريم بإنعام الفكر، والتدبر في آياته فإنه سيجد أسلوب القرآن يأخذ بألبابه، ويستحوذ على تفكيره وعقله، ويجذبه إلى الوقوف على معرفة أسرار القرآن، وأهدافه، وغاياته.

والكلام عن هذا الموضوع يحتاج إلى مصنفات، لأنه موضوع هامّ وشيّق، ومفيد.

وحسبي أن أقتطف بعض الآيات القرآنية الواردة في هذا المضمار، ثم نقف عندها وقفات قصيرة ننعم النظر، ونقلب الفكر، ونتأمل، ونتدبر الأسرار العجيبة التي تستفاد من هذه الآيات، والواقع أنها تدلّ على أكثر من معنى، وفي مقدمة هذه المعاني الأمران اللذان أشرت إليهما وهما:

١ - الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى وحده هو الموجد لجميع هذه المخلوقات.

٢ - والإيمان الراسخ بصدق نبوة سيدنا « محمد » ﷺ.

أولا : نجد بعض الآيات القرآنية توجّه الأذهان إلى النظر في الأرض، وما فيها من عجائب، يشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿قل سيروا في الأرض

فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبّا فمنه يأكلون * وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجّرنا فيها من العيون * ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون * سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾[2].

ثانيًا: نجد بعض الآيات القرآنية وجهت الأنظار إلى التدبر في الرياح، والأمطار وما يترتب على إرسال الرياح من التلقيح لأنواع النبات، وما في الماء الناتج من نزول المطر من الحياة لجميع المخلوقات، يشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿وأرسلنا الرياح لواقحَ فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموهُ وما أنتم له بخازنين﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابًا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون * وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين * فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾[4].

ثالثًا: نجد بعض آيات القرآن وجهت العقول إلى النظر إلى مخلوقات الله: من حيوان، وطيور، ونبات، وما إلى ذلك من سائر المخلوقات، ليستدل بها على عظمة الله تعالى، يوضح ذلك الآيات الآتية: قال الله تعالى: ﴿أوَلم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى

---

(١) سورة العنكبوت، آية ٢٠.
(٢) سورة يّس، الآيات ٣٣ - ٣٦.
(٣) سورة الحجر، آية ٢٢.
(٤) سورة الروم، الآيات ٤٨ - ٥٠.

أن يكون قد اقترب أجلهم فبأيّ حديث بعده يؤمنون﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين * ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا إن في ذلك لآيةً لقوم يعقلون * وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتًا ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربّك ذُلُلا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾[2].

رابعًا: نجد بعض آيات القرآن وجهت الأذهان إلى خلق الإنسان وطلبت منه أن ينظر في نفسه، وفي مراحل خلقه، ونموّه فقال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقًا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[3].

والله أعلم.

س ٣: لقد كان من أسمى أهداف الفكر الإسلامي «الحرية».

حول هذا الهدف النبيل نحبّ أن يكون حديثنا.

جـ ٣: هذا السؤال في غاية الأهمية:

إذ الشخصية الإنسانية لا تكون إلاّ مع «الحرية»: حرية الإقامة، وحرية الانتقال، ولذلك كان الإسلام والتحكم نقيضين لا يجتمعان، إذ ليس لإنسان أن يتحكم في غيره وإذا كانت هذه بعض معاني الحرية، فإن الحرية لا تتصوّر انطلاقًا من القيود، ولا اعتداء على العباد.

بل لا تتصوّر إلا مقيّدة غير مطلقة، وبمعنى أوضح لا تتصوّر الحريّة إلاّ

(١) سورة الأعراف، آية ١٨٥.

(٢) سورة النحل، الآيات ٦٦ ـ ٦٩.

(٣) سورة المؤمنون، الآيات ١٢ ـ ١٤.

وهي وفقًا لتعاليم الإسلام.

نعم: لقد نظر الإسلام إلى الإنسان نظرة تكريم، وتسويد، وتأمين.

أمّا نظرة التكريم فتتضح في قوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾[1].

وأمّا نظرة التسويد فتتضح في تنصيبه خليفة في الأرض، قال تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾[2].

وأمّا نظرة التأمين فتتضح في قول النبي ﷺ: «كلّ المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه» اهـ. رواه أبو داود، وابن ماجه.

ونحن إذا ما أنعمنا الفكر في واقع الحياة وجدنا «الحرية» تشمل الكثير من أنواع الحياة، أشير إلى بعضها فيما يأتي:

أولا: الحريّة الشخصية: مما لا جدال فيه أن الله تعالى خلق جميع الناس أحرارًا وهذه الحرية الشخصية مكفولة للفرد إلى جانب الاضطلاع بمسئولياته، وذلك ليتحقّق الأمن، ويسود السلام.

ثانيًا: حرية التصرّف: إن الإسلام شرع الملكية الفردية إذا جاءت من طريق مشروع، وكفل لصاحبها حريّة التصرّف في ملكه ما لم يقع منه عدوان على المجتمع، ولذلك وضعت الشريعة الإسلامية رقابة على «الصغير، والسفيه، والمجنون» لأنهم ليسوا أهلا للتصرّف، يشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيامًا﴾[3].

(١) سورة الإسراء، آية ٧٠.

(٢) سورة البقرة، آية ٣٠.

(٣) سورة النساء، آية ٥.

ثم قال: ﴿فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم﴾[1]. وذلك ليتصرفوا فيها بمحض إرادتهم.

ثالثًا: حريّة الرأي:

الإنسان بطبعه مفطور على التعبير عن ذات نفسه بحرية وأصالة، ولكن إذا استشرى خطر هذا التعبير، وانحرف عن جادة الصواب إلى الأكاذيب والمفتريات، سادت الفوضى، ووقعت الشحناء، والبغضاء.

لذلك طالب الإسلام بالتزام الحكمة، وتحكيم العقل، والمنطق، وحسن الكلمة، قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[2].

والحكمة تقضي أن يتأدب الشخص في أثناء عرض رأيه بآداب الكلمة الطيبة، والأسلوب المهذب، والحجة الناصعة، والنزاهة في النقد.

إن حريّة الرأي في الإسلام لا تكون مستقيمة إلاّ إذا قامت على النظر العلميّ القويم، ويجب أن لا يعلن منها إلاّ ما يقوم الدليل على صحته، لا ما يكون خيالا، أو ظنا، وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا.

بهذا الأسلوب، وبهذا المنطلق يتجلّى وجه الحق، وتتوثق أواصر المودّة، وتسود روح التعاون. وحصافة الرأي تقضي بعدم مجادلة الجهلاء، قال تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[3]. والله أعلم.

س ٤: من أهمّ مقومات الفكر الإسلاميّ أن يكون المسلم بعيدًا عن الانتماء لأيّة مبادئ تختلف وتعاليم الإسلام، لأن هذه الأفكار السامة ترتّب عليها الغزو الفكري للكثيرين ممن لم يتحصنوا بالثقافة الإسلامية.

---

(١) سورة النساء، آية ٦.

(٢) سورة النحل، آية ١٢٥.

(٣) سورة الأعراف، آية ١٩٩.

عن هذا السؤال نحبّ أن يكون حديثنا.

جـ ٤: مما تجدر الإشارة إليه هو أن التصوّر الإسلاميّ الصحيح للفكر الإسلامي يبدأ وينطلق من العقيدة السليمة المسترشدة بكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ.

فإذا صلحت العقيدة انطلق المسلم إلى بقية حاجاته، ومتطلباته انطلاقًا سليما.

وإذا ما تيسّر للشخص نوع من الثقافة الدينية الراشدة، والفكر الإسلامي المستنير ازداد إيمانه، وقوي يقينه وحسنت عبادته، واستقامت حياته، يوضح ذلك قول الله تعالى: ﴿والذين اهتدوا زادهم هُدًى وآتاهم تقواهم﴾[1].

لهذا كان من أهمّ مقومات الفكر الإسلامي المستقيم ابتعاد المسلم عن أية مبادئ، أو مذاهب، أو نظريات تنافي تعاليم الإسلام، وتخالف ما أقرته الشريعة الإسلامية.

ذلك أن العقيدة تختلف قوة وضعفًا من شخص إلى آخر بحسب مدى قربه من الله تعالى، أو بعده عنه، وبحسب تعلقه بالعلم والمعرفة التي تمكنه من ذلك.

فإذا تلقى المسلم علمه الشرعي من الثقات، ورد فروعه على العلماء المتبصرين به، حال ذلك بينه وبين كل فكر دخيل، أو مذهب ضالّ، أو نظرية ملحدة زائفة.

وذلك من أهمّ ما يحرص عليه الفكر الإسلامي أشدّ الحرص كي يصان المسلم من الزيغ والضلال، ويتحصن من آفات الغزو الفكري وأساليبه المعسولة التي تودي بكثير من مرضى القلوب، وضعاف العقول الذين بهرتهم زخرفة الأفكار الوافدة بما تحمله من سموم وأمراض، وما تنطوي عليه من مفاسد وأخطار.

---

(١) سورة محمد، آية ١٧.

إن هذه المبادئ الخادعة قد استهوت وخدعت كثيرًا ممن لم يتحصنوا بالثقافة الإسلامية الصحيحة، ولم يتسلحوا باليقين والثقة المطلقة في الله تعالى الذي اعدّ الإنسان ليكون خليفته في الأرض.

إن الذين خدعوا بهذه المبادئ والنظريات التي تخالف تعاليم الدين الحنيف، جاء إيمانهم زائفا وغير صحيح، فلم تتمكن العقيدة من نفوسهم، ولم تخالط بشاشة الإيمان قلوبهم، ولم تستجب للفكر الإسلامي الصافي أفئدتهم، وأرواحهم، فإذا جاءهم خير فرحوا به، واطمأنوا به، وإذا أصابهم شرّ جزعوا وفزعوا، وتزلزلت أركان الإيمان في نفوسهم.

وصدق فيهم قول الله تعالى:

﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأنّ به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾[1]

فالتصور الإسلامي الصحيح قائم على الفكر الإسلامي المستنير، لذلك يجدر بالشباب المسلم أن يحرص على أن يربط نفسه بكتاب ربّه، وسنة نبيّه عليه الصلاة والسلام، حتى يقوى إيمانه وترسخ عقيدته، ويطمئن إلى رشد دينه ويقينه وبذلك يكون بمنأى عن تأثير المبادىء الزائفة، وفي حصن عن تيّار الملاحدة الذين يجعلون المادة المجردة أساس الحياة.

إننا في هذه الفترة من الزمان نرى بعضا من الناس، ومن أنصاف المتعلمين الذين تركوا مبادئ الدين الحنيف، وتعاليمه الراشدة أثرت فيهم بعض ألوان الزحف الفكري، والغزو المادّي تأثيرًا بليغًا، فبعدوا عن تعاليم الإسلام، وعطلوا عقولهم عن الهدى وعن سبيل الرشاد، وحادوا عن الطريق المستقيم.

---

(١) سورة الحج، آية ١١.

إن الإسلام قد حثّ المسلمين على استخدام عقولهم، وإعمال فكرهم، والنظر إلى كل ما يثبت الإيمان ويعمقه في نفوس أتباعه المؤمنين.

فالإسلام بفكره الصحيح لم يمنع أتباعه من الإفادة من أيّ جنس أو لون، فالحكمة ضالّة المؤمن أنّى وجدها فهو أولى بها. كما أنه جعل العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، ورفع من شأن العلماء، فقال عزّ من قائل: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾[1].

لهذا كله نؤكد أن من أهم مقومات الفكر الإسلامي الابتعاد عن كل ما يعكر صفو العقيدة الإسلامية من نظريات فاسدة، ومذاهب هدامة، ومبادئ زائفة.

نسأل الله تعالى أن يحفظ علينا ديننا، وأن يثبتنا بالقول الثابت إنه سميع مجيب. والله أعلم.

س ٥: للفكر الإسلاميّ أهداف كثيرة ومتعدّدة، في مقدمة هذه الأهداف وجوب التمسك بالكتاب والسنة.

نريد أن تحدّثنا عن ذلك.

جـ ٥: سبق أن بينت أن الفكر الإسلاميّ ينطلق من العقيدة الصحيحة، والإيمان الراسخ بالله ربّ العالمين.

والتصوّر الإسلاميّ الصحيح يهدف إلى ابراز الفكر الإسلامي في صورته الكريمة، وسلوكه السويّ الحميد، وذلك لا يتجلّى ولا يظهر أثره إلاّ بالتمسك بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ قولًا وعملًا وسلوكًا ومنهجًا، يوضح ذلك قول الله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرّقوا﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي

---

(١) سورة المجادلة، آية ١١.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٠٣.

الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾[1].

وقال تعالى يخاطب المؤمنين: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾[2].

وقال جلّ شأنه: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾[3].

وقال: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظًا﴾[4].

والرسول الكريم عليه الصلاة والتسليم يحثّ أمته على اتّباع سنّته، والاعتصام بحبل الله المتين في كثير من الأحاديث التي تدلّ على ذلك:

فعن «العرباض بن سارية» رضي الله عنه قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا يا رسول الله: كأنها موعظة مودع فأوصنا.

قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمّر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديّين عضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة» اهـ. رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبّان.

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ» اهـ. رواه الإمام مالك.

وعن «أبي شريح الخزاعي» رضي الله عنه قال: «خرج علينا رسول الله

---

(١) سورة النساء، آية ٥٩.

(٢) سورة الحشر، آية ٧.

(٣) سورة النساء، آية ٦٤.

(٤) سورة النساء، آية ٨٠.

ﷺ فقال: «أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟

قالوا: بلى، قال: «إن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلّوا، ولن تهلكوا بعده أبدًا» اهـ. رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد.

فهذه قطوف من رياض السنة المطهرة تبين لنا وجوب الاعتصام بكتاب الله، والتمسك بسنة رسول الله، وأن الخير كله في التمسك بهما، والعمل بما تضمناه من تشريع، وتوجيه، وإرشاد، وأن الشرّ والهلاك في عدم التمسك بهما، وعدم العمل بما ورد فيهما.

فما على المسلمين بعد أن تبيّن الرشد من الغيّ، وبعد أن اتضحت أحكام الدين إلّا أن يتبعوا الكتاب والسنة قولًا وعملًا ليسلكوا سبيل الجنة فيرضى الله عنهم.

وعلى المسلمين أيضًا أن يتعاهدوا على تقوى الله وطاعته، وبذلك يسود الأمن، ويعلو صوت الحق، وينتشر الخير والرخاء، ويقوى شمل المسلمين. والله أعلم.

س ٦: مبدأ المساواة من أهمّ المبادىء التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف، ولو تحقق هذا المبدأ لسعدت البشرية كلها، نريد إلقاء الضوء على بعض نماذج من مبدإ المساواة.

جـ ٦: لقد عني الإسلام عناية بالغة بالقيم الروحيّة، ودعا إلى التحلّي بها، بل جعلها مبدأ من مبادئ الإسلام.

ومبدأ المساواة الذي قرره الإسلام قد امتدت أبعاده إلى مواطن متعدّدة حاطها الإسلام بسياج من التشريعات، فطبقها الهادي البشير ﷺ، وصحابته من بعده، ثم المؤمنون والمخلصون من المسلمين في شتّى أقطار الأرض. ويجمل بنا الآن أن نذكر بعض النماذج العملية للمساواة في الدولة الإسلامية:

١ - في موطن الحدود والقصاص، كان القصاص مرعيًا بين الناس جميعًا وإن اختلفت درجات المعتدي، والمعتدى عليه، من ذلك ما رواه «عبادة بن الصامت» رضي الله عنه حيث قال: قال رسول الله ﷺ: «أقيموا حدود الله في القرب والبعد، ولا تأخذكم في الله لومة لائم» اهـ. رواه ابن ماجه، ورواته ثقات.

فالحدود كانت تنفذ على جميع المسلمين بلا استثناء، وحين سرقت المرأة المخزومية استشفع أهلها «بأسامة بن زيد» لحبّ رسول الله ﷺ إيّاه:

فلما كلّم «أسامة» الهادي البشير ﷺ في شأن هذه المرأة غضب رسول الله عليه الصلاة والسلام، ثم قام خطيبًا فقال: «إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ، وأيم الله لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» اهـ. رواه البخاري ومسلم.

٢ - في موطن الصفات، والألقاب الاجتماعية:

نجد تعاليم الإسلام تسوي بين جميع المسلمين، وتجعلهم على درجة واحدة لا فرق بين كبيرهم وصغيرهم، وعظيمهم، وحقيرهم: فهذا أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه لا يسمح بتفضيل أحد على أحد مهما اتسع الفارق الاجتماعي، ومن الأدلة على ذلك موقفه المشهور من ولد «عمرو بن العاص» أمير مصر، حينما ضرب أحد أبناء المصريين معتمدًا على سلطان أبيه قائلا له:

أنا ابن الأكرمين.

فأمر «عمر بن الخطاب» الولد المصري أن يضرب «ابن عمرو بن العاص» ثم قال كلمته المشهورة: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا» اهـ.

٣ - في موطن اللون والجنس، نجد الإسلام يحارب هذه النزعة.

فعن «جابر بن عبد الله» رضي الله عنهما قال: «خطبنا رسول الله ﷺ خطبة الوداع فقال: «يا أيا الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربيّ على عجميّ، ولا لعجميّ على عربيّ، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إن اكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت؟

قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فليبلغ الشاهد الغائب» اهـ. رواه البيهقي.

٤ - وفي موطن الأصول والتفاخر بالحسب والنسب، يقف الإسلام في هذا المجال مشرّعًا وواضعًا لتعاليم جديدة، فقد كان العرب في جاهليتهم يتفاخرون بالآباء، والأجداد، فجاء الإسلام بمبدإ المساواة بين الناس، فلا أنساب فيه، ولا أحساب، فالنسب عند الله تعالى التقوى والعمل الصالح، يوضح هذا المبدأ ما رواه «أبو هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا كان يوم القيامة أمر الله مناديًا ينادي:

ألا إنّي جعلت نسبًا وجعلتم نسبًا، فجعلت أكرمكم أتقاكم فأبيتم إلّا أن تقولوا: فلان بن فلان خير من فلان بن فلان، فاليوم أرفع نسبي، وأضع نسبكم، أين المتقون» اهـ. رواه الطبراني، والبيهقي.

٥ - في موطن العبادة: فنحن نرى المسلمين يقفون صباح مساء في صفوف الصلاة متجاورين لا فرق بين الصغير والكبير، والغنيّ والفقير، في مظهر من أروع مظاهر المساواة.

وكذلك يفعلون أثناء حجهم بيت الله الحرام يرتدون ثيابًا موحدة في اللون والهيئة، ويؤدون مناسك الحج في وقت واحد معيّن، وزمن محدّد، يطوفون ببيت واحد، ملبين بنداء واحد، فالجميع سواسية كأسنان المشط.

هذا هو الإسلام يدعو إلى المساواة الشاملة بين أفراده، دون أن يستثني منهم أحدًا. أسأل الله تعالى أن يعزّ المسلمين بالإسلام، وأن يجمع شمل المسلمين وأن يبصرهم بأمور دينهم ودنياهم إنه سميع مجيب. والله أعلم.

القرآن يحث على التفكير في خَلْق الإنسان

الحمد لله القائل: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾[1] والصلاة والسلام على رسول الله الذي صحّ عنه في الحديث الذي رواه «عبدالله بن مسعود» رضي الله عنه حيث قال:

«حدّثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه مَلَكًا بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقيّ أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلّا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» اهـ. أخرجه الشيخان، والترمذي، وأبو داود.

وبعد: فهذه مجموعة من الأسئلة عن موضوع هامّ تحت عنوان: «القرآن يحث على التفكر في خَلْق الإنسان»

والإجابة عليها:

س ١: قال الله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم

(١) سورة الذاريات، الآيتان ٢٠ - ٢١.

جعلناه نطفة في قرار مكين ★ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾(١).

هذه الآيات الكريمة تتحدث عن أطوار خلق الإنسان، نحب ونحن في بداية حديثنا عن الآيات القرآنية التي تحث على التفكر في خلق الإنسان، أن تحدثنا عن الأطوار التي يمرّ بها خلق الإنسان ليكون في ذلك العبرة والعظة.

ج ١ : هذه الآيات الكريمة تلفت نظر بني الإنسان ليتفكروا في أنفسهم أي في هذه الخلقة البديعة التي ليست على مثال سبق، ليستدلوا بذلك على أن هذا النظام الدقيق المنقطع النظير لا بدّ أن يكون له موجد، ذلك الموجد هو الله تعالى الذي خلق فسوّى وصدق الله حيث قال: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾(٢).

ونحن إذا ما نظرنا إلى «القرآن الكريم» نجده حافلا بالآيات القرآنية التي تنص على الأطوار التي يمر بها خلق الإنسان من أول لحظة «الحمل» حتى يخرج إلى الدنيا بشرًا سويا.

فمن هذه الآيات قول الله تعالى:

﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمّى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدّكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا﴾(٣).

إلى غير ذلك من الآيات التي تبين أطوار خلق الإنسان.

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات ١٢ - ١٤.

(٢) سورة التين، آية ٤.

(٣) سورة الحج، آية ٥.

وبالتتبع والاستقراء تبين أنها خمسةُ أطوار:

الطور الأول: يحدثنا عنه القرآن فيقول: ﴿هو الذي خلقكم من تراب﴾[1].

أي خلق أصلكم وهو «آدم» عليه السلام أبو البشرية كلها من «تراب» بدليل قوله تعالى: ﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرًا من طين﴾[2].

وهذا البشر هو «آدم» عليه السلام.

الطور الثاني: النطفة التي هي: الماء الدافق الذي يخرج من بين صلب الرجل، وترائب المرأة، يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿فلينظر الإنسان ممّ خلق ★ خلق من ماء دافق ★ يخرج من بين الصلب والترائب﴾[3]

وقوله: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه﴾[4]. ومعنى «أمشاج»: أخلاط، أي الإنسانُ خلقه الله تعالى من ماء الرجل، أي من الحيوانات المنوية الموجودة في ماء الرجل، ومن بويضة المرأة الموجودة في مائها.

الطور الثالث: العلقة، والعلقة في الأصل هي دودة تسبح في الماء من خواصّها امتصاصُ دم الإنسان، وسميت علقة لأنها إذا ما التقت ببويضة المرأة التي هي صغيرة جدًا لا ترى إلا بالمجهر عَلِقَتْ بها، أي دخلت فيها وتعلقت بها، ثم تتعلق بعد ذلك بجدار «الرحم» وتبدأ في امتصاص غذائها لتنمو وتتشكل.

الطور الرابع: المضغة، وهي شيء يشبه قطعة صغيرة من اللحم الممضوغ، ولكنها ليست لحمًا، إنما هي مجموعة من الخلايا.

يقول الدكتور أحمد فاضل راتب: سرعان ما تتحول هذه الخلايا إلى

(١) سورة غافر، آية ٦٧.
(٢) سورة ص، آية ٧١.
(٣) سورة الطارق، الآيات ٥ - ٧.
(٤) سورة الإنسان، آية ٢.

كرتين ويزداد حجمها بالانقسام، وعند الخلط بين هاتين الكرتين يوجد أول شيء يمكن أن يسمّى جنينا، وهو عبارة عن جسم مفلطح بيضاوي الشكل ويُسَمَّى بالقرص الجنيني.

وبعد عدّة تغييرات في هذا القرص يبدو كأنه دودة ثم تكبر هذه الدودة حتى تصبح في حجم «المضغة» هذا هو الجزء المخلّق المشار إليه في قوله تعالى: ﴿من مضغة مخلقة﴾[1].

أمّا المضغة غيرُ المخلقة فهي الأجزاء الباقية من الكرتين خارج منطقة القرص الجنيني، وهي التي ستكون «المشيمة» فلا جنين بدون مشيمة لأنها هي التي تمدّه بالغذاء من دم أمه، وتمده كذلك بالأكسجين، والحرارة، وهي تلازمه في الرحم وتنمو معه حتى تخرج بعده إلى الدنيا» اهـ.

الطور الخامس: العظام، ثم اللحم، ثم نفخ الروح فيه، قال تعالى: ﴿فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[2].

قال «ابن عباس» رضي الله عنهما، والشَّعْبي، وأبو العالية، والضحاك معنى قوله تعالى: ﴿ثم أنشأناه خلقا آخر﴾: نفخ الروح فيه[3] لقد ثبت في علم الأجنة أن العظام تنشأ بعد ظهور المضغة مباشرة فإن أول شيء يظهر في القرص الجنيني «العمود الفقري» ثم تنشأ عظام الجنين، فلا يلبث أن تنشأ حولها العضلات، واللحم، وتظهر أجزاء الجسم شيئا فشيئا، حتى يصير خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين. والله أعلم.

س ٢: قال الله تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾[4]. هذه الآية الكريمة تتحدث عن بعض نعم الله تعالى على الإنسان وهذه النعم هي:

---

(١) سورة الحج، الآية ٥.

(٢) سورة المؤمنون، آية ١٤.

(٣) انظر تفسير القرطبي جـ ١٢/١٠٩.

(٤) سورة النحل، آية ٧٨.

نعمة السمع، ونعمة الإبصار، ونعمة العقل.

حول هذه النعم الثلاث نحب أن تحدثنا.

ج ۲: نعم الله تعالى على الإنسان لا حصر لها، وكل نعمة تستوجب من الإنسان أن يتوقف أمامها طويلا متدبرًا ومفكرًا ليزداد إيمانه، ويقوى يقينه بالله الذي أحسن كل شيء خلقه. ونعْمةُ السمع من أكبر نعم الله تعالى على الإنسان، إذ كل «أذن» تعتبر جهاز استقبال تلتقط كل صوت يصل إليها، ثم تنقله إلى «المخ» ليقوم بدوره في فهم هذه الأصوات، واستيعاب معانيها يقول العلماء: من نعم الله تعالى على الإنسان أن خلق في جانبي الرأس أذنين لتساعد كل منهما الأخرى في دقة السمع، وقد جهّز الخالق كل «أذن» بآلة موسيقية مكونة من مغارتين، وأقواس عظمية وطبلتين مشدودتين.

ونحن إذا نظرنا إلى الأذن الخارجية وجدناها كالبوق الذي يجمع الصوت إلى القناة السمعية، وهي قناة عظميّة تنتهي بطبلة جلديّة مشدودة على إطار عظميّ مستدير، هذه الطبلة تهتز مع ذبذبة الصوت، وخلف هذه الطبلة فجوة مستديرة تنتهي بطبلة ثانية كالأولى إلّا أنها بيضاوية الشكل، ويوجد بين الطبلتين عظيْمات رفيعة ملتصقة بها تنتقل باهتزازها الذبذبة الصوتية من الطبلة الخارجية إلى الطبلة الداخلية. ويوجد خلف الطبلة الداخلية فجوة مشدود بجدرانها أوتار كأوتار الآلة الموسيقية تهتز وتتذبذب مع ذبذبة الطبلة الداخلية. فتبارك الله أحسن الخالقين.

أمّا العينان فهما من أجلّ نعم الله تعالى على الإنسان.

والعين مرآة النفس ينعكس عليها كلُّ ما يشعر به الإنسان من حبّ أو بغض، ومن فرَح أو حُزْن، ومن اطمئنان أو خوف. فكل ما يشير به القلب يبدو واضحا في العينين.

والعينان تعتبران أبلغ تعبير عمّا يدور بفكر الإنسان.

يقول العلماء: خلق الله العينين تدوران معا إلى أعْلى، وإلى أسفل، وإلى

اليمين، وإلى اليسار، لتريا ما حولها.

كما خلق الله تعالى لكل عين «مِحْجراً» وهو فجوة عظمية تحيط بالعين كالإطار من كل الجهات لتقيّها الصدمات.

ووضع تعالى فوق كلّ عين حاجبين من الشعر ليمنعا نزول العَرَق على «العين» من الجبين.

كما خلق لكل عين جَفْنين يتحركان حركة لا إرادية، فينطبقان عليها ليغطياها عند النوم، ويقياها كل ما يؤذيها، أو ما يفاجئها من ضوء شديد وغيره.

ثم أحاط طرْفَ كلّ جَفْن بأهدابٍ لتمنع دخول الغبار فيها، كما تكسر من حدّة ضوء الشمس بما تلقي على العين من ظلال. هذا التصميمُ المتقن العجيب نراه ونبصره.

أمّا ما لا نبصره وهو كيف ترى العين فإنه أعظمُ وأروع: فإن جدار مُقْلة العين يتكون من الشبكية، ومن عدد كبير جدّاً من الأعصاب، والأوعية.

وللعين حدقة وهي الفتحة المستديرة التي يدخل منها الضوء، ويتغير حجم هذه الحدقة حسب كمية الضوء التي تتعرض لها العين، فإذا ما زاد الضوء ضاقت الحدقة، وإذا ما قل الضوء اتسعت.

وللعينين عدسة تضبط الصورة على الشبكية، ويتغير كذلك سمك هذه العدسة حسب تركيز النظر: فإذا ما ركز النظر على شيء بعيد قلّ سمك العدسة، وإذا ما ركز على شيء قريب زاد سمكها.

فسبحان الخلاق العظيم.

أمّا نعمة «العقل» فهي من أجلّ وأعظم نعم الله تعالى على الإنسان: إذ بالعقل فضل الله تعالى الإنسان على كثير من المخلوقات وكرّمه، يشير إلى ذلك قول الله تعالى:

﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾[1].

وبالعقل جعل الله الإنسان خليفته في الأرض ليبلّغ عن الله، ويعلّم الناس شرائِعَه، يوضح ذلك قول الله تعالى:

﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾[2].

وبالعقل يكون التكليف، ويتم التفكير في مخلوقات الله تعالى، يدل على ذلك قول الله تعالى:

﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾[3].

والله أعلم.

س ٣: قال الله تعالى: ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾[4].

هذه الآية الكريمة تدلّ على آيتين من آيات الله تعالى هما: النوم بالليل، وطلب الرزق بالنهار.

حول هاتين النعمتين نحب أن يكون حديثنا.

ج ٣: من أجلّ نعم الله تعالى على بني الإنسان «النوم» الذي جعله الله راحة لبدن الإنسان، وعقله، وأعصابه، وسمعه، وبصره، وجميع أعضائه من

---

(١) سورة الإسراء، آية ٧٠.
(٢) سورة البقرة، آية ٣٠.
(٣) سورة ق، آية ٣٧.
(٤) سورة الروم، آية ٢٣.

المتاعب، والمشاغل التي تعتريه بسبب الكدْح والجهْد طول النهار.

فبالنوم يسترجعُ الإنسانُ قواهُ البدنية فيصفو عقلُه، وتهدأ أعصابه، وتتجدد خلايا بدنه بعد ما كفّ عن الحركة والتفكير.

والنوم آية من آيات الله سبحانه وتعالى، فهو ضرورة للحياة، ونعمة من نعم الله، كما أنه راحة ورحمة.

وبالنوم يسترد الإنسان ما بذله من قوى، وما فقده بدنُه في سبيل العمل والسعي.

فما النوم إلّا تجديد يعيد إلى الجسم نشاطَه وقوته، كما يعيد إلى العقل صفاءه وقدرته.

وكل إنسان لا يحتمل الاستمرار في العمل بلا راحة، بل لا بدّ له أن يكفّ عن العمل فترة من الزمن «بالنوم» ليستطيع أن يعمل ويفكر ثانيا.

ألا يعتبر النوم من أجلّ نعم الله تعالى على الإنسان؟

أمّا السعي على طلب الرزق، فإن تعاليم الإسلام أوجبت على كل فرد طلب الرزق الحلال من مظانه، ومصادره المشروعة. يشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور**﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿**فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله**﴾[2].

ومن يقرأ السنة المطهرة يجدها حافلة بالأحاديث التي تحث على طلب الرزق الحلال، وتبين فضله:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله طيب

---

(١) سورة الملك، آية ١٥.

(٢) سورة الجمعة، آية ١٠.

لا يقبل إلّا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم﴾[1].

وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾[2].

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمدّ يديه إلى السماء يا ربّ يا ربّ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك » اهـ[3].

المعنى: أخبر الهادي البشير ﷺ في هذا الحديث الشريف بأن الله تعالى طيب، بمعنى أنه سبحانه وتعالى منزّه عن جميع النقائص، وعن كل عيب، وأنه موصوف بكل كمال، وأنه لا يقبل من الأقوال، والأعمال إلا ما كان طيبًا وخالصا لوجهه الكريم، خاليًا من كل شائبة من شوائب الرياء والنفاق.

ولا يقبل من الصدقات إلا ما كان مصدرُه حَلالا ولا شبهة فيه. ثم أخبر عليه الصلاة والسلام بأن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فالمنهج واحد، وطريق الوصول إلى الله واحد، يستوي في ذلك جميع الخلق دون تفريق بين شخص وآخر.

وقد أمر الله المرسلين بأن يأكلوا من الطيبات، والمرادُ بها الحلال الذي يُكتسب من طريق مشروع، ولم يدخله شيء حرام. كذلك أمر الله المؤمنين بأن يأكلوا من الطيبات من الرزق.

ونظرًا لأهمية الحلال في تعاليم الإسلام فقد أخبر نبيّ الإسلام عليه الصلاة والسلام بأن طلب الرزق الحلال فريضة، وفي بعض الروايات واجب، يشير إلى ذلك الحديثان التاليان: فعن « أنس بن مالك » رضي الله عنه أن النبي

---

(١) سورة المؤمنون، آية ٥١.

(٢) سورة البقرة، آية ١٧٢.

(٣) رواه مسلم، والترمذي، أنظر الترغيب جـ٢ ص٩٠٣.

ﷺ قال: «طلب الحلال واجب على كل مسلم» اهـ[1].

وعن «عبدالله بن مسعود» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «طلب الحلال فريضة بعد الفريضة» اهـ[2].

وعن «عبدالله بن عباس» رضي الله عنهما قال:

تليت هذه الآية عند رسول الله ﷺ:

﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا﴾[3].

فقام «سعد بن أبي وقاص» رضي الله عنه فقال:

يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة، فقال النبي ﷺ: «يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس «محمد» بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرامَ في جوفه ما يتقبل الله منه عمل أربعين يوما، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به» اهـ[4]. والله أعلم.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن، أنظر الترغيب جـ٢ ص٩٠٥.
(٢) رواه الطبراني، والبيهقي، أنظر الترغيب جـ٢ ص٩٠٥.
(٣) سورة البقرة، آية ١٦٨.
(٤) رواه الطبراني في الصغير، أنظر الترغيب جـ٢ ص٩٠٧.

القرآن يحث على التفكر في مخلوقات الله

الحمد لله القائل: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ★ وإلى السماء كيف رفعت ★ وإلى الجبال كيف نصبت ★ وإلى الأرض كيف سطحت﴾[1].

والصلاة والسلام على رسول الله قد صحّ عنه أنه قال:

«الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجل من أتبع نفسه هواها وتمنّى على الله» اهـ. رواه الترمذي وقال: حسن.

وبعد: فهذه مجموعة من الأسئلة والإجابة عليها حول موضوع هام وهو:

«القرآن يحث على التفكر في مخلوقات الله تعالى».

س ١: قال الله تعالى: ﴿وفي الأرض قطعٌ متجاوراتٌ وجناتٌ من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغيرُ صنوان يُسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾[2].

هذه الآية الكريمة تتحدث عن عدد من أنواع العلوم التي تدلّ دلالة واضحة على عظمة الله تعالى.

---

(١) سورة الغاشية، الآيات ١٧ ـ ٢٠.

(٢) سورة الرعد، آية ٤.

حول المعاني التي تشير لها الآية الكريمة نحبّ أن يكون حديثنا.

ج ١: هذه الآية الكريمة مع قصرها إلّا أنها جمعت بين عدد من آيات الله تعالى التي تدل بما لا يدع مجالًا للشك على أن هذا الكون مسخَّرٌ من لدن حكيم خبير:

فهي تتحدث عن علم طبقات الأرض «الجُيولوجيا».

كما تتحدث عن علوم الزراعة، والفلاحة، والنبات، كما تبين خاصيّة امتصاص الجذور للغذاء، وقدرة الجذور على انتخاب ما تمتصه من موادّ، كما تبين عمليات التحويل الغذائي التي تحدث في النبات:

فكل مساحة من الأرض تتكونُ من قطع صغيرة، أو كبيرة متلاصقةٌ بعضُها مع بعض دون أن يستلزم ذلك التلاصقُ أن تكون تلك المساحةُ متساوية في الخِصْب، أو الخواص.

كذلك قد يوجد في بعض الأمكنة قطعةُ أرض طينيّة متلاصقة تمامًا مع قطعة أرض رملية، أو جيرية.

ولقد شاءت حكمة الله العليّ القدير أن تفلح هذه الأرضُ، وتعمر بواسطة الإنسان حتى يتألّف منها جناتٌ من أعناب، وزرعٌ ونخيل، حتى تصبح حدائق غنّاء من العنب وما على شاكلته، ومن النخيل بأنواعها، ومن الزروع المختلفة كالحبوب والخضروات. ونحن إذا ما أنعمنا النظر في هذه الثمار، والزروع المختلفة، وجدنا منها ما هو متشابهٌ في الحجم، واللون، والطعم، ومنها ما هو مختلفٌ كلَّ الاختلافِ في ذلك.

وهنا تتجلّى عظمةُ الله تعالى، وكمالُ قدرته، حيث نرى بَذْرَة البطيخ، وبَذْرة الحنظل مثلا تُسقيان بماء واحد، وتُعاملان معاملة واحدة ولكن الأولى تُنْتجُ بطيخةً حلوةَ المذاق، والثانيةُ تنتج حنظلةً مرّة المذاق.

كذلك الحال بالنسبة لشجر الليمون البلدي «البنزهير» «والبرتقال» فإن

كليهما من فصيلة واحدة، ومع ذلك فإن شجرة الليمون تخرج ثمارًا مالحة، بينما شجرةُ البرتقال تخرجُ ثمارًا حلوة الطعم طيبة المذاق. فسبحان الخالق العظيم الذي جعل لكل جذرٍ من النبات قدرةً خاصة على انتخاب ما يريد امتصاصه من الغذاء الموجود في الأرض. والجذورُ هي أول جهازِ النبات الغذائي، وبالبحث تبين أنها تختلف عن بعضها البعض اختلافا متباينًا بالنسبة لحاجات النبات: فهناك الجذورُ الوتديّةُ، وأخرى ليفيّة، وجذور تنفسية، وكلّ هذه الأشكالِ تتواءمُ مع إمكانِ حصول النبات على حاجته من الغذاء.

إن الجذورَ تنمو عليها الشّعَيْراتُ الجذريّة التي تمتص الغذاء، وهي شعيرات دقيقة معقّدة لا عقل لها ولا تمييز، ولكن نجد سؤالا يفرض نفسه وهو: كيف أتيح لهذه الشعيرات امتصاصُ ما تحتاجه من الغذاء الذي يصلح لنوع كل شجرة على حدة، ثم يتم تحويلُه بعد ذلك حتى يصبحَ أوراقًا، وأزهارًا، وثمارًا مختلفةَ الشكلِ، واللون، والطعم، والحجم، والرائحة؟

كيف أتيح لهذه الشعيراتِ الدقيقةِ أن تقومَ بكل هذا؟

والجواب على ذلك: إنها قدرة اللهِ الخَالقِ الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

كما أن للجذورِ فائدةً هامّةً غير ذلك، ألا وهي تثبيتُ النبات. إذ يقع على الجذر أمرُ قيام النبات، والاحتفاظُ به فلا يسقط، وعندما ننظر إلى هذه الأشجارِ الضخمةِ الكبيرة واقفةً شامخةً علينا أن نتذكر الجذورَ التي تمسكها بقدرة الله العليّ القدير.

ونحن نرى الأرض هامدة أي يابسة لا حراك لها من شدّة العَطش، وما أن ينزلَ عليها الماء حتى نراها تهتز وتتحرك، وتربُو وترتفعُ إلى أعلى ولقد وصف الله تعالى الأرض بأنها ميتة، وأنه بقدرته يحييها بالماء الذي يجعلُها تهتز وتربُو، والحركةُ والنموّ آيةُ الحياة.

فهي حيّة بما يمتد في باطنها من جذور، وبما يَنْبت فوقها من نبات يتغذّى

منها، وينمو ويُثمر، يشير إلى ذلك قولُ الله تعالى:

﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبّاً فمنه يأكلون ★ وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ★ ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ★ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرضُ ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾[1].

والله أعلم.

س ٢: قال الله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حيّ أفلا يؤمنون﴾[2] الماء آية من آيات الله الكبرى، إذ لا يستغني عنه كل كائن حيّ.

حول نعمة الماء التي أنعم الله بها على جميع مخلوقاته نحب أن يكون حديثنا.

ج ٢: من ينعم النظر في نعمة الماء التي أنعم الله بها على سائر مخلوقاته لا يسعه إلا أن يسجد شكرا لله رب العالمين.

فالله سبحانه وتعالى خلق كل كائن حيّ من الماء.

كما جعل سبحانه وتعالى «الماء» سببا لاستمرار الحياة، وضرورة لها.

إن الحياة لا توجد في شيء ما إلا إذا كان فيه نسبةٌ معينة من الماء تختلف بحسب أجزاء الأجسام.

ولا يمكن أن توجد الحياة في شيء جاف مطلقا.

إن هذا الدم وهو سائل مائي يحمل الغذاء إلى جميع أنسجة الجسم، فهو يحمل موادّ كيمائية منشّطة، وعُصارات، وهورمونات، كل هذه المواد ذائبة في الماء.

---

(١) سورة يٓس، الآيات ٣٣ - ٣٦.
(٢) سورة الأنبياء، آية ٣٠.

ثم إنه هناك تبادل مستمرّ بين الأنسجةِ الحية والدم في المواد المكوّنة لها، كل هذا يحدث في الماء.

وكلُّ العملياتِ الحيويةِ التي في جسم الإنسان من إحساس، وتفكير وبصر، وسمع، وغير ذلك لا تتم تفاصيلها إلّا في الماء.

لذلك فإن جسم الإنسان أغلبه من الماء.

فالماء إذن سببُ الحياة في كل كائن حيّ: من إنسان، وحيوان، ونبات وغير ذلك.

ومن منافع الماء ما أشار إليه قولُ الله تعالى:

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها﴾[1]، ومن ينعم النظر في المعاني التي ترشد إليها الآية الكريمة يجدُ أن كلَّ شيء في الأرض يثمرُ ويعملُ عملا خاضعا لنظام بديع دقيق، ومع ذلك فهو مجردٌ من الإرادة والعقل، فالنباتُ يعمل كالحيوان أعمالا لا إراديّةً في نِظام رتيبٍ دقيق، وذلك إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن عناية الله سبحانه وتعالى وراء كلِّ هذه الظواهرِ البديعة فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

والإنسانُ إذا ما تأمل المزروعاتِ التي تنْبُتُ بسبب الماء يجد العجبَ العجاب:

فهناك ما يأكله من خضروات، وفواكة، وثمار.

ومنه ما يُشمّ شذاه، ويُمَتّعُ الإنسانُ به بصره، ويُزَيّنُ به بيته من الأزهار.

كل ذلك يخرج من الأرض بواسطة الماء والهواء، والضياء. فإذا ما تساءلنا كيف تستطيع حبّة صغيرةٌ، أو نواة أن تكوّن نفسها حتى تنتج ثمرةً حُلْوَةً شهيّة، وأن تتشكّل زهرةً بديعة ملونة ذكيّة، وكيف تزينت وتنوعت في عدّة

(١) سورة فاطر، آية ٢٧.

أشكال، وألوان بهيّة، ومن أين أتت بهذه الروائح العطرية، وقد خرجت من طين لا لون فيه، ولا طعم، ولا رائحة، وكيف ارتفعت شجرةٌ باسقةٌ من نواة؟

وكيف اختلف كلٌّ منها في شكله ولونه وورقه وثماره؟

ثم كيف تزينت الثمارُ بألوان بديعة، وتعطرت بروائح جميلةٍ، مما لا شك فيه أن الجواب على كلّ هذه التساؤلات:

كل ذلك يتم بتدبير الحكيم الخبير وهو الله رب العالمين. وصدق الله حيث قال:

﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرًا نُخرج منه حبًا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوانٌ دانيةٌ وجناتٍ من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذالكم لآيات لقوم يؤمنون﴾[1].

ومن منافع الماء أننا نرى البحار والمحيطات تشغل حيزاً كبيراً من سطح الأرض: فالبحار تباري الزمان، تمر آلاف الأعوام، والبحر في يومه هو في أمسه وغده، تنقلب الجبال أوديةً، والأودية جبالًا، والبحر بحرٌ لا يتحول ولا يتغير.

يقول أحد الباحثين: انظر إلى العالم العجيب السابح في الماء، وتأمّل تلك الأحياء منكبّةً على عملها غادية رائحة، وارقبْها وهي تطلب قوتها، وتنقضّ على فريستها، وتهربُ من عدوها. ثم يقول: إن عدد أصناف الكائنات الحيّة الموجودة في البحار أكثرُ من عدد الموجودة على الأرض على وجه الإطلاق.

وتختلف الكائناتُ الحيةُ الموجودةُ في البحار اختلافًا واسعًا، حتى إنها ما زالت تتزايد في عدد تصنيفها.

---

(١) سورة الأنعام، آية ٩٩.

ويكفي أن يتفكر الإنسان في ملايين الصيادينَ الذين ينشرون شباكهم في البحر، ويُخرجون كلَّ ساعة ملايين الأطنان من الأسماك، وكأن ما في البحر لا يتأثر بكل ما يُصْطاد.

ولعلّ اللؤلؤ من أعجب ما في البحار، فهو يهبط إلى الأعماق، وهو داخلُ صدَفةٍ من المواد الجيرية لتقيه من الأخطار. ويختلف هذا الحيوان عن الكائنات الحيّة في تركيبه، وطريقةِ معيشته.

يقول بعض الباحثين: يعيش حيوان اللؤلؤ داخل صدفة مغطاةٍ بشبكةٍ دقيقة كشبكة الصياد، عجيبة النسج تكون كمصفاة تسمح بدخول الماء، والهواء، والغذاء إلى جوفه، وتحولُ بين الرمال، والحصى، وغير ذلك، وتحت الشبكة أفواهُ حيوان اللؤلؤ، فإذا دخلت ذرّةُ رَمْل، أو حيوانٌ ضارٌ إلى الصدفة سارع حيوان اللؤلؤ إلى إفراز مادةٍ لزجة تغطي ذلك الجسم الأجنبي، ثم بعد ذلك تجمد هذه المادة مكونةً لؤلؤة، وصدق الله حيث قال:

﴿وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾(١).

والله أعلم.

س ٣: قال الله تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ★ ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾(٢).

بيوت النحل تعتبر أروعَ مثل للهندسة المعمارية.

كما أثبت الطبُّ الحديث أن عسل النحل فيه شفاء لكثير من الأمراض، حول هذه المعاني نحب أن يكون حديثنا.

---

(١) سورة النحل، آية ١٤.

(٢) سورة النحل، الآيتان ٦٨ - ٦٩.

ج ٣ : قول الله تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون﴾

هذه الآية الكريمة تلفت نظر العباد إلى التفكر في بيوت النحل التي تعتبر بلا شك أروع مثل للهندسة المعمارية:

إذ ينشىء النحلُ عدّةَ أنواعٍ من الغرف داخل بيته:

يقول بعض الباحثين: نحن إذا تأملنا أسرار الخليّة لا يسعنا إلا أن نسلّم بأن الحُجْرة المسدّسة لا تستطيع عبقريةُ الإنسان أن تزيد عليها أية تحسينات.

ولو سئلنا عن أكمل ما أبدعه منطق الحياة لما وسعنا إلّا أن نقول مُشْط الشمع المتواضع.

ولكي تجمع النحلة رطلا من العسل لا بدّ لها من زيارة عدد ضخم من الزهور، فتظل تنتقل من زهرة إلى زهرة، وتمد خرطومها حتى تصل إلى الرحيق فتمتصه داخل معدتها حيثُ يُهضم فيها ثم تصبه في عيون قُرْصِ الشمع بعد أن صار سائلا سكّريا، وهناك يقوم فريق آخر من النحل بالتهوية بأجنحته، فتتطاير الرطوبة، ويتركز السائل فيصير عسلا. ثم بعد ذلك تغلقُ العيون بطبقةٍ رقيقة من الشمع ليُحْفَظ العسلُ نظيفا.

والعسل هو غذاء معقّم طبيعيا، وهو قاتل للجراثيم وقاهرٌ لها، ولم يتنبه الكثيرون إلى أن العسلَ فيه شفاء لكثير من الأمراض إلّا خلالَ القرن الحالي.

فقد بدأت الأخبارُ ترد من أنحاء العالم تفيدُ بأن عسل النحل فيه الكثيرُ من أعاجيب الطبّ الوقائي، والعلاجي.

يقول الدكتور عبد العزيز إسماعيل: إن عسل النحل يعتبر سلاح الطبيب في كثير من الأمراض، فهو يُعْطَى بالفم، وتحت الجلد، وفي الوريد، وهو ضدُّ التسمم الناشيء من موادّ خارجيّة مثل الزرنيخ والزئبق. وهو كذلك ضدّ التسمم الناشيء من أمراض أعضاء الجسم مثل: التسمّم البولي الناتج من أمراض

الكبد، والمعدة، والأمعاء. وهو مفيدٌ في الالتهاب الرئوي والسّحائي، وفي حالات الذبحة الصدرية وبصفة خاصة في الارتشاحات الناشئة من التهاب الكلى الحاد. وفي نهاية عام ١٩٥٤ م ألف وتسعمائة وأربعة وخمسين ميلادية حملت إلينا الأخبارُ الطبيةُ أنه توصلت باحثة أمريكية بعد تجاربَ متعددةٍ إلى إثبات وجود مادة مجهولة في عسل النحل وشمعه لَهَا القدرةُ على شفاء تصلّب المفاصل، وتوصلت أيضا إلى أن العسلَ المستخرجَ من القرص مباشرةً دون أن يتعرض لأيّ معاملة صناعية يقضي على تصلّب الرسغين الذي يصيب بني الإنسان.

واستطاعت الباحثةُ أن تقدم علاجا تسبب في شفاء الحالات المتوسطة من تصلب المفاصل خلال أسبوع بواسطة جُرْعاتٍ يوميّة لا تتجاوز نصف الجرام من العسل وشمعه.

ومن الأخبار العلمية أيضا أن أحد كبارِ الجرّاحين في انجلترا استخدم عسل النحل لتغطية آثار الجروح الناتجة عن سرعة التئام هذه الجروح، وإزالةِ آثارها، بحيث لا تترك تشويهاتٍ بعد العملية.

كما تبين له من التجارب التي أجراها أن طبيعةَ عسل النحل وما يحويه من موادَّ تساعدُ على نموّ الأنسجة البَشرية من جديد، فتلتئم الجروحُ بطريقةٍ مستوية.

وقد أثبت بعض الأطباء أن عسل النحل يعتبر علاجا مفيدًا للجروح، والحروق، وهو مطهّرٌ، ومضادّ للفسادِ والعفونة.

ألا يجب على كل عاقل أن ينعم النظر في قوله تعالى:

﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾ فيزداد إيمانه بالله رب العالمين؟ والله أعلم.

اللهجات العربية في القراءات القرآنية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا «محمد» وعلى آله وصحبه أجمعين.

عن «ابن عباس» رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أقرأني جبريل على حرف واحد فراجعته، فلم أزل أستزيده، ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف» اهـ. رواه البخاري.

ومن ينعم النظر في الأحاديث الواردة في سبب تعدّد القراءات ويعرف طبيعة الأمّة العربية ذات القبائل المتعدّدة، واللهجات المتغايرة، يستطيع أن يحكم وهو مطمئن بأن سبب تعدّد القراءات كان لِحِكَمٍ جليلة لعل في مقدمتها تيسير قراءة القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿ولقد يسّرْنا القرآن للذكر فهل من مدّكر﴾[1]. وبعد: فهذه مجموعة من الأسئلة والإجابة عليها حول معرفة «اللهجات العربية في القراءات القرآنية»:

س ١: نودّ ونحن في بداية حديثنا عن «اللهجات العربية في القراءات القرآنية» أن تحدثنا عن الموضوعات الآتية:

تعريف كل من: اللهجة، واللغة، ثم كيف تتكوّن اللهجة، ثم بيان الحكمة من اشتمال قراءات القرآن على لهجات معظم القبائل العربية، ثم عن أثر

---

(١) سورة القمر، آية ٤٠.

القراءات في اللهجات العربية.

جـ ١: هذه الأسئلة في غاية الأهمية، ولكن قبل الشروع في الإجابة عليها أقرّر بأن موضوع «اللهجات العربية في القراءات القرآنية» من الموضوعات اللغوية الهامة، وإثارة الحديث عن مثل هذه الموضوعات المتصلة ببلاغة القرآن، وإعجازه، لهو أمر جيّد وعظيم، ويعتبر لفتة بارعة لتحويل آذان المستمعين الكرام إلى مثل هذه القضايا العلمية.

بعد ذلك أنتقل إلى الإجابة على الأسئلة المطروحة. وأقول وبالله التوفيق: اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث:

هي مجموعة من الصفات اللغوية مثل: التفخيم، والترقيق، والفتح، والإمالة الخ تنتمي هذه الصفات إلى بيئة خاصة، أو قبيلة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، مثل تفخيم اللام من لفظ «الصلاة». أما «اللغة» فهي مجموعة من اللهجات تنتمي إلى بيئة معيّنة مثل لغة اليمن وقطر، والبحرين.

من هذا يتبيّن أن اللغة أعمّ من اللهجة لأنها تشتمل على عدد من اللهجات.

أمّا كيف تتكون اللهجة؟

فأقول: هناك عاملان رئيسيان يعزى إليها تكوّن اللهجات، وهما:

١ ـ الانعزال بين بيئات الشعب الواحد. وقد شهد التاريخ نشوء عدة لهجات مستقلة للغة الواحدة، نتيجة لذلك. وخير مثل يمكن أن يضرب لهذا الانعزال الذي يشعّب اللغة الواحدة إلى عدة لهجات، تلك اللهجات العربية القديمة في الجزيرة العربية.

٢ ـ أما العامل الثاني لتكوين اللهجات، فهو الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات. مثال ذلك: أن يغزو شعب من الشعوب أرضًا يتكلم أهلها بلهجة

خاصة بهم، عندئذ يقوم صراع عنيف بين اللهجتين: الغازية والمغزوة وتكون النتيجة أن ينشأ من هذا الصراع لهجة مشتقة من كلتا اللهجتين وقد حدثنا التاريخ عن أمثلة كثيرة للصراع اللغوي، مثال ذلك: حينا فتح العرب جهات متعددة، استطاعت اللغة العربية آخر الأمر أن تصرع تلك اللغات في مهدها حيث انتصرت على «الآرامية» في «العراق، والشام» وعلى «القبطية» في «مصر» وعلى «البربرية» في بلاد «المغرب العربي» وعلى «الفارسية» في بعض بقاع مملكة فارس القديمة.

أما عن بيان الحكمة من اشتمال قراءات القرآن على لهجات معظم القبائل العربية، فأقول:

هذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على غاية عظيمة، وهي توحيد قبائل العرب، التي كانت متفرقة قبل نزول «القرآن» وبيان ذلك أن كل قبيلة أصبحت تجد في «القرآن» ألفاظه من اللهجة التي تتكلم بها، وفي ذلك شرف عظيم لجميع القبائل العربية.

ثم لعلّ هناك هدفًا أسمى من هذا، وهو أن «القرآن» لعله يوحي بإيجاد لغة واحدة تكون اللغة النموذجية للعرب جميعًا، والتي تعتبر من أرقى اللغات وأعذبها، وأبلغها، ألا وهي لغة «القرآن» التي جاءت ممثلة لمعظم القبائل العربية.

أما عن بيان أثر القراءات في اللهجات العربية، فأقول: هذا الأثر واضح وجليّ، ولكن لا يستطيع أن يعرف ذلك، إلا من رزقه الله بسطة في علوم العربية، مع قراءات القرآن الكريم. وهذا الأثر يتجلّى في كثير من الأمور أذكر منها ما يلي:

لقد كان لاختلاط العرب بغيرهم من سائر الأجناس المختلفة أصحاب اللهجات المتعددة، الأثر الواضح في ضياع الكثير من اللهجات العربية القديمة، ولولا «القرآن وقراءاته» لضاعت تلك اللهجات التي لا زالت موجودة منذ

نزول «القرآن» إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

من هذا يتضح جليًا أن «القرآن، وقراءاته» كان لها الأثر الواضح والفصل الذي لا يختلف فيه اثنان في الحفاظ على الكثير من اللهجات العربية القديمة، التي أصبحت في ذمّة التاريخ. والله أعلم.

س ٢: اللهجات العربية لها علامات مميّزة:

واختلاف القراءات جاء ممثلًا لكل هذه العلامات، فمنها ما يرجع إلى الجانب الصوتي، ومنها ما يرجع إلى الجانب الصرفي الخ. لذلك نحب أن تذكر لنا نماذج من اللهجات التي يرجع الاختلاف فيها بين القبائل العربية إلى الجانب الصوتي.

جـ ٢: هذا السؤال في غاية الأهمية. وقبل الشروع في الإجابة عليه أقرر ما يلي:

الجانب الصوتي: هو ما لا يخضع إلى قوانين الإعراب والبناء، وهو كثير ومتعدد كما لا يخضع إلى قوانين الاشتقاق الذي مباحثه متشعبة. ولا يندرج تحت القوانين الصرفية من حيث ميزان الكلمة، وأصالة حروفها وصحتها واعتلالها الخ.

وإنما الجانب الصوتي يخضع إلى قانون النطق باللسان، ويدرك بسمع الآذان. ولعل معظم اختلاف اللهجات العربية يخضع إلى القانون الصوتي، وإليك الأمثلة الموضحة لذلك:

أولًا: ظاهرة تخفيف الهمزة وتحقيقها:

الهمزة أصعب الحروف في النطق، وذلك لبعد مخرجها، إذ تخرج من أقصى الحلق، كما اجتمع فيها صفتان من صفات القوّة، وهما: الجهر والشدّة. لذلك فقد عمدت بعض القبائل العربية إلى تخفيف النطق بالهمزة.

فمن الحقائق العلمية أن الهمز كان خاصة من الخصائص البدوية التي

اشتهرت بها قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيّها مثل «تميم» وما جاورها. وأن تخفيف الهمز كان خاصة حضريّة امتازت بها لهجة القبائل في شمال الجزيرة وغربيّها.

وقد ورد النص عن «أبي زيد الأنصاري» ت٢١٥ هـ أن أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة، والمدينة المنورة لا ينبرون.

ولكن ينبغي أن لا نأخذ هذا الحكم مأخذ الصحة المطلقة لاعتبارين:

الأول: أن الأخبار تدل على أن بعض «الحجازيين» كانوا يحققون الهمز.

الثاني: أن تخفيف الهمز لم يكن مقصورًا على منطقة دون أخرى، وإنما كان فاشيًا في كثير من المناطق العربية، وإن تفاوتت صورُه، ودرجاته.

وإذا كانت القبائل البدوية التي تميل إلى السرعة في النطق، وتسلك أيسر السُّبُل إلى هذه السرعة، فإن تحقيق الهمزة كان في لسان الخاصة التي تخفف من عيب هذه السرعة، أي أن الناطق البدويّ تعود النبر في موضع الهمزة، وهي عادة أمْلتها ضرورة انتظام الإيقاع النطقي، فموقع النبر في نطقه كان دائمًا أبرز المقاطع الصوتية.

أما القبائل الحضرية فعلى العكس من ذلك، إذ كانت متأنيّة في النطق، ولذا لم تكن بها حاجة إلى التماس المزيد من مظاهر الأناة، فأهملت همز كلماتها، أعني المبالغة في النبر واستعاضت عن ذلك بوسيلة أخرى كالتسهيل والإبدال، والإسقاط.

وبالتتبع وجدت الوسائل التي سلكها العرب لتخفيف الهمزة ما يلي: النقل - والإبدال - والتسهيل - والحذف. وقد وردت القراءات القرآنية الصحيحة بذلك:

فالنقل يجوز عند القرّاء إذا كانت الهمزة متحركة بعد ساكن صحيح. فإذا أريد تخفيفها فإنها تحذف بعد نقل حركتها إلى الساكن الذي قبلها.

سواء كانت حركتها فتحة نحو «قرآن» أو كسرة نحو «من إستبرق» أو ضمة نحو: «قل أُوحي» وذلك لقصد التخفيف.

أما الإبدال: فإن الهمزة الساكنة تقع بعد فتح نحو «الهدى ائتنا» أو كسر نحو «الذي ائتمن» أو ضم نحو: «يقولُ ائذن لي» ففي هذه الأحوال الثلاثة يجوز عند القراء إبدال الهمزة حرف مدّ من جنس حركة الحرف الذي قبلها: فإذا كان فتحًا تبدل ألفًا، وإذا كان كسرًا تبدل ياءً وإذا كان ضمًا تبدلُ واوًا.

أما التسهيل والحذف: فإن الهمزتين من كلمتين تكونان متفقتين في الحركة سواء كانتا مفتوحتين نحو: «جاء أحدكم» أو مكسورتين نحو «هؤلاء إن كنتم» أو مضمومتين نحو: «أولياء أولئك»، فقد اختلف القراء في تخفيف إحدى الهمزتين على النحو التالي:

١ - فبعضهم قرأ بحذف إحدى الهمزتين في الأقسام الثلاثة.

٢ - وبعضهم قرأ بتسهيل إحدى الهمزتين بين بين في الأقسام الثلاثة.

٣ - وبعضهم يبدل الهمزة الثانية حرف مدّ في الأقسام الثلاثة. والله أعلم.

س ٣: لا زال الحديث عن اللهجات العربية لذلك نحب أن تحدثنا عن نماذج من اللهجات التي يرجع الاختلاف فيها إلى أصل اشتقاق الكلمة.

جـ ٣: الاشتقاق: هو أخذ كلمة من أخرى مثل «أكل» من «الأكل» وهكذا.

وهذه نماذج من القراءات القرآنية التي يرجع الاختلاف فيها إلى أصل الاشتقاق:

١ - «يبشرك» من قوله تعالى: ﴿أن الله يبشرك بيحيي﴾[1] قرأ «حمزة - والكسائي»: «يَبْشُرُك» بفتح الياء، وسكون الباء، وضم الشين

(١) سورة آل عمران، آية ٣٩.

مخففة، وهو فعل مضارع مشتق من «بَشَرَ» بتخفيف الشين، يقال: بَشَره يَبْشُرُه بِشْرًا، والتخفيف لغة «تهامة» وقرأ باقي القراء العشرة: «يُبَشِّرُكَ» بضم الياء، وفتح الباء، وتشديد الشين المكسورة، وهو فعل مشتق من «بَشّره يُبَشِّرُه تبشيرًا»، والتشديد لغة «أهل الحجاز». والقراءتان ترجعان إلى أصل اشتقاق الكلمة لأن الأولى من بَشَر، والثانية من بَشَّرَ.

٢ - «يحسبهم» كيف وقع في القرآن الكريم، وكان فعلًا مضارعًا نحو قوله تعالى: ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾[1]. قرأ «ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر»: «يَحْسَبهم» بفتح السين، وهي لغة «تميم».

وقرأ باقي القراء العشرة بكسر السين، وهي لغة «أهل الحجاز» والقراءتان ترجعان إلى أصل الاشتقاق:

فالأولى من «حسب يحسَب» نحو: «عَلِم يَعْلَم»

والثانية من «حسب يحسِب» نحو: «ورث يرِث».

٣ - «يعكفُون» من قوله تعالى: ﴿فأتوا على قوم يعكُفُون على أصنام لهم﴾[2] قرأ «حمزة، والكسائي، وخلف العاشر بخلف عن إدريس»: «يعكِفون» بكسر الكاف، وهي لغة «أسد». وقرأ باقي القراء العشرة «يعكُفُون» بضم الكاف، وهي لغة بقية العرب. ونحن إذا ما أنعمنا النظر في هاتين القراءتين، وجدناهما ترجعان إلى أصل الاشتقاق: حيث إن القراءة الأولى من «عكف يعكِف» بفتح عين الكلمة من الماضي، وكسرها في المضارع مثل: «ضرب يضرب» والقراءة الثانية من «عكف يعكُف» بفتح عين الكلمة في الماضي، وضمها في المضارع مثل: «نصر ينصر».

يقال: عكف على الشيء بمعنى أقام عليه. والاعتكاف في الشرع: هو الاحتباس في المسجد على سبيل القربة.

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٧٣.

(٢) سورة الأعراف، آية ١٣٨.

٤ ـ «ضَعْفا» من قوله تعالى: ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا﴾[1]. قرأ «أبو جعفر»: «ضُعَفَاء» بضم الضاد، وفتح العين، والفاء، وبعدها ألف، وبعد الألف همزة مفتوحة بلا تنوين، جمع «ضعيف» مثل «ظريف، وظرفاء». وقرأ «عاصم، وحمزة، وخلف العاشر»: «ضَعْفًا» بفتح الضاد. وقرأ باقي القراء العشرة «ضُعْفًا» بضم الضاد. والضعف بفتح الضاد لغة «تميم» وبضمها لغة «قريش» والقراءتان ترجعان إلى أصل الاشتقاق: فالمضموم مصدر «ضَعُف» بضم العين، مثل «قَرُب قُرْبا» والمفتوح مصدر «ضَعَف» بفتح العين. مثل «قَتَل قتلا».

٥ ـ «يقنط» من قوله تعالى: ﴿قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾[2] قرأ «أبو عمرو، والكسائي، ويعقوب، وخلف العاشر»: «يَقْنِط» بكسر النون، وهي لغة «أهل الحجاز، وأسد» وقرأ الباقون «يقنَط» بفتح النون، وهي لغة باقي العرب، وإذا ما أنعمنا النظر في هاتين القراءتين وجدناهما ترجعان إلى أصل اشتقاق الكلمة. فقراءة كسر النون مضارع «قنَط يقنِط» مثل: «ضَرَب يَضْرِب» وقراءة فتح النون مضارع «قَنِط يَقْنَط» مثل: «تَعِبَ يَتْعَب» والقنوط اليأس من الخير.

٦ ـ «ولا تُصَعِّر» من قوله تعالى: ﴿ولا تُصَعِّرْ خدّك للناس﴾[3] قرأ «نافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف العاشر»: «ولا تُصَاعِرْ» فعل أمر من «صَاعَرَ» وهي لغة «أهل الحجاز» وقرأ الباقون «ولا تُصَعِّر» وهي لغة «تميم».

والمعنى: ولا تمل خدّك للناس أي لا تعرض عنهم بوجهك تكبُّرًا. والله أعلم.

س ٤: نحب أن تحدثنا عن أهم القبائل العربية التي نزلت القراءات القرآنية

---

(١) سورة الأنفال، آية ٦٦.

(٢) سورة الحجر، آية ٥٦.

(٣) سورة لقمان، آية ١٨.

بلهجاتها مع إعطاء صورة واضحة عن المكان الجغرافي الذي كانت تقيم فيه كل قبيلة.

ج ٤: مما هو ثابت وتقرّر أن القرآن دستور هذه الأمة وكتابها المبين الذي نزل به جبريل على قلب محمد ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين، وبلغة متكاملة ممثلة لمعظم القبائل العربية، تلك القبائل التي نزل القرآن الكريم ممثلًا للهجاتها حظيت بهذا الفضل العظيم والشرف الكبير، ولا شك أن هذا يدلّ على غاية سامية وهدف نبيل هو توحيد العرب الذين كانوا متفرقين قبل نزول القرآن بحيث تجد كل قبيلة في القرآن الكريم ألفاظًا من لهجتها التي تتكلم بها وفي ذلك شرف عظيم للجميع.

ونظرًا لأن السؤال يطلب الإجابة عن أهم القبائل العربية التي نزلت القراءات بلهجاتها مع بيان مكانها الذي كانت تقيم فيه، فإني أدلف إلى ذكر ما يلي منها على النحو التالي:

«قبيلة الأزد»:

هذه القبيلة من أعظم القبائل العربية وأشهرها، وهي تنسب إلى: الأزد بن الغوث بن كهلان من القحطانية وتنقسم أربعة أقسام:

١ ـ أزد شنوءة: ونسبتهم إلى كعب بن الحارث وكانت منازلهم السراة

٢ ـ أزد غسّان: وكانت منازلهم شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام.

٣ ـ أزد السراة: وكانت منازلهم في الجبال المعروفة بهذا الاسم.

٤ ـ أزد عمان: وكانت منازلهم بعمان.

أسد:

هي قبيلة عظيمة من القبائل العدنانية، وتنسب إلى أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وهي ذات بطون كثيرة، وكانت منازلهم في نجد في مجاورة طيء، ثم تفرقوا بعد الإسلام على الأقطار فنزلوا العراق وسكنوا

الكوفة منذ سنة ١٩ هجرية.

قبيلة بكر بن وائل:

وهي قبيلة عظيمة أيضاً من العدنانية، تنسب إلى بكر بن وائل بن نزار بن معد بن عدنان، وكانت ديار هذه القبيلة من اليمامة إلى البحرين فأطراف سواد العراق ثم قطنت على دجلة من المنطقة المدعوة باسم: ديار بكر.

قبيلة تميم:

قبيلة عظيمة من العدنانية، تنسب إلى تميم بن مُرّة بن مضر بن نزار وكانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة حتى يتصلوا بالبحرين ثم تفرقوا في الحواضر، ولهذه القبيلة بطون كثيرة.

قبيلة بني الحارث:

وهي من أهم قبائل اليمن، تقع ديارهم بين صنعاء ومأرب، كانت منازلهم تمتدّ في الشعوب مما يلي صنعاء إلى أطراف بلاد بني حشيش.

قبيلة ربيعة:

شعب عظيم فيه قبائل عظام، وبطون وأفخاذ، ينتسب إلى ربيعة بن نزار بن سعد بن عدنان، كانت ديارهم من بلاد نجد وتهامة في قرن المنازل، وعكاظ وحنين، فالبحرين وهجر والحجاز.

قبيلة طيء:

وهي قبيلة عظيمة من كهلان من القحطانية، يتفرع من طيء بطون وأفخاذ عديدة، كانت منازلهم باليمن فخرجوا منها على أثر خروج الأزد ثم ملأوا السّهل والجبل حجازاً وشاماً وعراقاً ومصر.

قبيلة فزارة:

هي بطن عظيم من غطفان من العدنانية، وهم بنو فزارة بن ذبيان بن

مضر بن نزار بن معد بن عدنان، كانت منازلهم بنجد ووادي القرى، ثم تفرقوا فنزلوا بصعيد مصر وضواحي القاهرة في قليوب مصر وما حولها وفي المنطقة الواقعة بين برقة وطرابلس والمغرب الأقصى.

قبيلة قريش:

قبيلة عظيمة مشهورة، وقريش ولد مالك بن النضر بن كنانة، وقالوا هم من ولد فهر بن مالك.

قبيلة مضر:

هو مضر بن نزار، قبيلة عظيمة من العدنانية كانت ديارهم حيز الحرم إلى السروات وما دونها من الغور، وكانوا من أهل الكثرة والغلب بالحجاز وكانت لهم رياسة مكة.

قبيلة كنانة:

قبيلة عظيمة من العدنانية أيضًا وهم بنو كنانة بن خزيمة بن معد بن عدنان، كانت ديارهم بجهات مكة. وقدمت طائفة منهم الديار المصرية.

قبيلة هذيل بن مدركة:

بطن من مدركة بن إلياس من العدنانية، وهم بنو هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد، كانت منازلهم بالسروات إلى الطائف تفرقوا بعد الإسلام إلى جهات متعددة.

قيس:

بطن من الخزرج من القحطانية، وهم بنو قيس بن معد بن الخزرج وغلب اسم قيس على سائر القبائل العدنانية.

هوازن:

وهم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن قيس بن مضر بن نزار بن

معد بن عدنان بطن من قيس عيلان. كانوا يقطنون في نجد مما يلي اليمن ومن أوديتهم حنين.

قضاعة:

وهم بنو قضاعة بن مالك بن مرّة بن حمير وهم شعب عظيم من القحطانية، وقيل إنهم من العدنانية، كانت منازلهم في نجران ثم في الحجاز، ثم في الشام، فكان لهم ملك ما بين الشام والحجاز إلى العراق إلى جعل الكرك ومشارف الشام.

لخم:

بطن عظيم ينسب إلى (لخم) واسمه مالك بن عدي بن الحارث بن مرّة من القحطانية، كانت مساكنهم متفرقة وأكثرها بين الرملة ومضر في الجفار وقد نزل قوم منهم بمنطقة بيت المقدس، ولذلك يسميها العامة اليوم (بيت لحم).

بنو سعد:

بطن من هوازن من قيس عيلان، من العدنانية، وهم بنو سعد بن بكر بن هوازن بن قيس عيلان، من أوديتهم قرن الجبال وهو واد يجيء من السراة.

زبيد:

زبيد بن ربيعة بطن من زبيد الأكبر من القحطانية، ويعرف هذا بزبيد الأصغر، وبلادهم اليمن، ومن حصونهم فيها (العصم).

سعد العشيرة:

تعرف بذوي سعد من بني إبراهيم من بني مالك، من جهينة إحدى قبائل الحجاز.

هذا: ونحن إذ نذكر هذه القبائل التي كان لها لهجات خاصة، إنما

نذكرها من حيث إنها انضوت تحت لواء القرآن الكريم وصارت لغة نموذجية متكاملة ثرة غنية باقية بفصاحتها وبلاغتها وعظمتها ما بقي القرآن الكريم منهج حياة، ودستور أمة، ونسك عبادة ومنار هدى وإصلاح ﴿إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[1].

والله أعلم.

س ٥: بعد أن استمعنا إلى جانب من اللهجات التي ترجع إلى الجانب الصوتي أرى أنه لا زال هناك الكثير من هذا النوع، لذلك نحب المزيد من الحديث عن هذا الجانب.

جـ ٥: أحمد الله سبحانه وتعالى وأستعينه وأستهديه وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فإن الجانب الصوتي للهجات العربية يمثل جانبًا هامًّا له أثره البالغ، وقيمته العلمية لدى القراء. ولئن كان الأخ الدكتور محيسن تكلم عن شيء من هذا النوع فلا غبار علينا إذا أضفنا شيئًا يمكن من هذا الجانب ويبرزه في صورة واضحة جلية من خلال بعض الكلمات القرآنية.

ويجمل بنا أن نذكر ذلك على النحو التالي:

أولًا: ظاهرة الفتح والإسكان في ياءات الإضافة. وهي ياء زائدة دالة على المتكلم، وتتصل بكل من الاسم والفعل والحرف. فتكون مع الاسم مجرورة المحل نحو: «نفسي» في قوله تعالى: ﴿وما أبرىء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء﴾[2]. ومع الفعل منصوبة المحل نحو: «أوزعني» في قوله تعالى: ﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ﴾[3]. ومع

(١) سورة الحجر، آية ٩.
(٢) سورة يوسف، آية ٥٣.
(٣) سورة الأحقاف، آية ١٥.

الحروف مجرورة نحو: «لي وإنّي» في قوله تعالى: ﴿فهب لي من لدنك وليًّا ★ يرثني... الخ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وإني خفت الموالي من ورائي﴾[2].

والخلاف في ياءات الإضافة عند القرّاء دائر بين الفتح والإسكان، وهما لغتان فاشيتان عند العرب. والإسكان هو الأصل لأنها حرف مبني، والسكون هو الأصل في البناء، وإنما حركت بالفتح لأنها اسم على حرف واحد فقوي بالحركة وكانت فتحة لخفتها عن سائر الحركات. وبالتتبع تبيّن أن ياءات الإضافة في القرآن الكريم على ثلاثة أنواع:

الأول: ما أجمع القراء على إسكانه وهو الأكثر لمجيئه على الأصل وجملته ٥٦٦ خمسمائة وست وستون ياءً نحو قوله تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾[3].

الثاني: ما أجمع القراء على فتحه وجملته: إحدى وعشرون ياءً نحو: ﴿وإياي فارهبون﴾[4].

الثالث: ما اختلف القراء في إسكانه وفتحه وجملته ٢١٢ مائتان واثنتا عشرة ياء، وهذه الياء المختلف في فتحها وإسكانها تنحصر فيما يلي:

١ ـ الياءات التي بعدها همزة قطع مفتوحة وجملة الواقع من ذلك في القرآن الكريم ٩٩ تسع وتسعون ياء نحو قوله تعالى: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾[5].

٢ ـ الياءات التي بعدها همزة قطع مكسورة، وجملة المختلف فيه من ذلك

---

(١) سورة مريم، الآيتان ٥ و٦.
(٢) سورة مريم، آية ٥.
(٣) سورة البقرة، آية ٣٠.
(٤) سورة البقرة، آية ٤٠.
(٥) سورة البقرة، آية ٣٠.

٥٢ اثنتان وخمسون آية نحو قوله تعالى: ﴿من أنصاري إلى الله﴾[1].

٣ ـ الياءات التي بعدها همزة قطع مضمومة، وجملة المختلف فيه من ذلك ١٠ عشر ياءات نحو: ﴿إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾[2].

٤ ـ الياءات التي بعدها همزة وصل مع لام التعريف، والمختلف فيه من ذلك ١٤ أربع عشرة ياءً نحو: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾[3].

٥ ـ الياءات التي بعدها همزة وصل مجردة عن لام التعريف والمختلف فيه من ذلك سبع ياءات نحو قوله تعالى: ﴿إني اصطفيتك على الناس﴾[4].

٦ ـ الياءات التي لم يقع بعدها همزة قطع ولا وصل بل حرف من حروف الهجاء، وجملة المختلف فيه من ذلك ٣٠ ثلاثون ياء نحو قوله تعالى: ﴿وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض﴾[5].

وكما رأينا الفتح والإسكان في ياءات الإضافة من التغييرات الصوتية وذلك أن المقاطع الصوتية نوعان: متحرك وساكن، فالمقطع المتحرك هو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل، أما المقطع الساكن فهو الذي ينتهي بصوت مغلق.

ولا شك في أن هذا الاختلاف يمثل اختلاف القراء القائم على اللهجات العربية التي ترجع إلى الجانب الصوتي.

ثانيًا: توجيه الإشمام وعدمه في لفظي «الصراط ـ وصراط» قرأ بعض القراء لفظي «الصراط ـ وصراط» معرفًا أو منكرًا حيث وقع في القرآن الكريم بالسين وهي لغة عامة العرب. وقرأ البعض الآخر بالصاد المشمة صوت

---

(١) سورة آل عمران، آية ٥٢.
(٢) سورة آل عمران، آية ٣٦.
(٣) سورة البقرة، آية ١٢٤.
(٤) سورة الأعراف، آية ١٤٤.
(٥) سورة الأنعام، آية ٧٩.

الزاي حيث وقعا كذلك، وهي «لغة قيس». وقرأ معظم القراء بالصاد الخالصة، وهي «لغة قريش» فمن قرأ بالسين وجه ذلك بأنه جاء على الأصل لأنه مشتق من السرط وهو البلع، ولأن الصاد ترد إلى السين، ومن أصولهم في الحروف عند الإبدال أن يردّ الأضعف إلى الأقوى.

وحجة من قرأ بالصاد أنه اتبع خط المصحف، وحجة من قرأ بالاشمام أنه أي إشمام الصاد صوت الزاي هو أن الزاي تخرج من مخرج السين، والصاد مؤاخية لها في صفتي الصفير والرخاوة.

ثالثًا: من ذلك الإسكان والتخفيف:

من مظاهر اللهجات الصوتية، الإسكان والتخفيف، وقد ورد ذلك في كلمات كثيرة من القرآن الكريم: من ذلك كلمة (هزوا) حيثما وقع، نحو قوله تعالى: ﴿قالوا أتتخذنا هزوا﴾[1] فقد اختلف القراء في النطق بهذه الكلمة:

فقرأ حفص: «هُزُوًا» حيث وقع في القرآن الكريم بإبدال الهمزة واوًا للتخفيف مع ضم الزاي وصلا ووقفا.

وقرأ حمزة: «هُزْءًا» بالهمزة على الأصل مع إسكان الزاي وصلا فقط. ويقف عليها بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وبإبدال الهمزة واوًا على الرسم. وقرأ خلف العاشر: هُزْءًا مع إسكان الزاي وصلا ووقفا. وقرأ الباقون: «هُزُؤًا» بالهمزة مع ضم الزاي وصلا ووقفا.

ووجه الضم في الزاي أنه جاء على الأصل، ووجه الإسكان (التخفيف) حكى الأخفش الأوسط عن عيسى بن عمر الثقفي أن كل اسم على ثلاثة أوله مضموم فيه لغتان: الضم والإسكان نحو: العُسْر والهزؤ.

رابعًا: من ذلك التخلص من التقاء الساكنين.

كذلك من اللهجات التي ترجع إلى الجانب الصوتي كسر أول الساكنين أو

(١) سورة البقرة، آية ٦٧.

ضمّها للتخلص من التقاء الساكنين من كلمتين من ذلك قوله تعالى: ﴿فمن اضطرّ غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه﴾[1]. واللام نحو قوله تعالى: ﴿قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون﴾[2]. والتاء نحو قوله تعالى: ﴿وقالت اخرج عليهن﴾[3]. والنون مثل قوله تعالى: ﴿أن اغدوا على حرثكم﴾[4]. والواو نحو قوله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾[5]. والدال نحو قوله تعالى: ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك﴾[6]. والتنوين نحو قوله تعالى: ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض﴾[7] إلى غير ذلك.

وقد اختلف القراء العشرة في كيفية التخلص من التقاء الساكنين:

فقرأ عاصم وحمزة بالكسر أي كسر أول الساكنين على الأصل في التخلص من التقاء الساكنين.

وقرأ أبو عمرو بالكسر في التاء والنون والدال والتنوين.

قالت اخرج، أن اغدوا، ولقد استهزئ وكشجرة خبيثة اجتثت. والضم في حرفين وهما الواو ولام «قل».

وقرأ يعقوب: بالكسر في خمسة أحرف والضم في حرف واحد وهو الواو.

وقرأ قنبل بالكسر في الحروف الستة والكسر والضم في التنوين المجرور.

وقرأ الباقون بالضم في الحروف الستة، وذلك اتباعًا لضم ثالث الفعل،

---

(١) سورة البقرة، آية ١٧٣.
(٢) سورة الأعراف، آية ١٩٥.
(٣) سورة يوسف، آية ٣١.
(٤) سورة القلم، آية ٢٢.
(٥) سورة الإسراء، آية ١١٠.
(٦) سورة الأنعام، آية ١٠.
(٧) سورة إبراهيم، آية ٢٦.

وهكذا يتضح لنا أن التخلص من التقاء الساكنين حدث تخفيفًا وهو يمثل جانبًا صوتيًّا، قائمًا، على اختلاف بين القراء، وتلك لعمري، لهجات عربية جاءت بعض القراءات موافقة لها.

ومن أمثلة ما جاء موافقًا للغات العرب قوله تعالى: ﴿فنظرة إلى ميسرة﴾[1]. فقد قرأ نافع «مَيسُرة» بضم السين وهي لغة «أهل الحجاز» وقرأ الباقون «مَيسرَة» بفتح السين وهي لغة باقي العرب.

والأمثلة الدالة على وقوع هذه اللهجات في القرآن الكريم وقراءة القراء بها أكثر من أن تحصى، وأجلّ من أن تعدّ وتحدّ، وحسبنا من ذلك من ذكرناه، سائلين الله تعالى أن يوفقنا لفهم كلمات القرآن ولغاته، والوقوف على أسراره ومناط إعجازه إنه سميع مجيب. والله أعلم.

س ٦: الصرف مادة من أساسيات اللغة العربية، واللهجات في القراءات القرآنية، كان الاختلاف فيها ممثلًا لهذا الجانب، لذلك نحب أن تلقي الضوء على ذلك.

جـ ٦: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد، فكما أن القراءات القرآنية جاء الاختلاف فيها بسبب اختلاف اللهجات القائمة على أصل الاشتقاق، أو الممثلة لبعض الجوانب الصوتية، جاءت كذلك لهجات في القراءات قائمة على الجانب الصرفي وممثلة له أجلّ تمثيل في كلمات وردت مقروءة بوجهين أو أكثر، ويتضح ذلك جليًّا فيما يلي:

أولًا: كلمة (قرح) من قوله تعالى: ﴿إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله﴾[2] و(القرح) من قوله تعالى: ﴿الذين استجابوا لله والرسول

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٨٠.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٤٠.

من بعد ما أصابهم القرح﴾[1]. فقد اختلف القراء في ضم القاف وفتحها، فقرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر بضم القاف في: قرح، والقرح أي سواء كانت الكلمة منكرة أو معرفة وقرأ الباقون بالفتح، وهو الأثر: من الجراحة من شيء يصيبه من خارج. وبضم القاف: أثرها من داخل كالبثر ونحوه.

ثانيًا: كلمة (بزعمهم) في قوله تعالى: ﴿فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾[2]. وفي قوله تعالى: ﴿وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم﴾[3]. فقد قرأ الكسائي (بزُعمهم) بضم الزاي في الموضعين. وهي لغة «أهل الحجاز» فالضم على أنه اسم، والفتح على أنه مصدر.

ثالثًا: كلمة (سلام) من قوله تعالى: ﴿قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾[4]. ومن قوله تعالى: ﴿قال سلام قوم منكرون﴾[5]. قرأ حمزة والكسائي: (سِلْمٌ) في الموضعين بكسر السين وسكون اللام من غير ألف وقرأ الباقون في الموضعين أيضًا (سلام) بفتح السين واللام وإثبات ألف بعد اللام. وهما لغتان بمعنى (التحية) وهو ردّ السلام عليهم إذا سلموا عليه ويجوز أن يكون (سلام) بمعنى المسالمة التي هي خلاف الحرب. ويكون (سِلم) بمعنى الصلح وإرادة السلامة.

رابعًا: الكلمة (منسكا) من قوله تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾[6]. ومن قوله تعالى:

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٧٢.
(٢) سورة الأنعام، آية ١٣٦.
(٣) سورة الأنعام، آية ١٣٨.
(٤) سورة هود، آية ٦٩.
(٥) سورة الذاريات، آية ٢٥.
(٦) سورة الحج، آية ٣٤.

﴿لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه﴾[1].

فقد اختلف القرّاء في ضبط السين في هذه الكلمة، فقرأ حمزة والكسائي وخلف (مَنْسِكا) بكسر السين في الآيتين. وقرأ الباقون بفتحها فيهما وهما لغتان بمعنى واحد. وهذا الوزن مَفْعل: يصلح أن يكون مصدرًا ميميًّا بمعنى النسك، على أن المراد به الذبح، ويصلح أن يكون اسم مكان أي مكان النسك أو اسم زمان على أن المراد به زمان النسك، والفتح هو القياس، وكسر السين سماعي.

بناء على ما تقدم: يكون معنى ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله... الخ﴾[2]. أي شرعنا لكل أمة من الأمم السابقة من عهد إبراهيم عليه السلام مكانًا للذبح أثناء الحج أو العمرة، فيكون مَنسكًا اسم مكان.

ويجوز أن يكون (منسكا) اسم زمان والمعنى حدَّدْنا للذّبح أثناء الحج أو العمرة زمانًا مخصوصًا.

ويكون معنى ﴿لكل أمة جعلنا منسكًا هم ناسكوه﴾[3] أن كل نبي من الأنبياء وأمة من الأمم السابقة وضعنا لهم شريعة ومتعبدًا ومنهاجًا، وبناء عليه يكون منسكًا مصدرًا ميميًّا بمعنى النسك والعبادة.

خامسًا: الكلمة (حَزَنًا) من قوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا وحزنا﴾[4]. قرأ حمزة والكسائي وخلف (وحُزْنًا) بضم الحاء وإسكان الزاي وقرأ الباقون بفتح الحاء والزاي. وهما لغتان في مصدر حزِن بكسر الزاي وإن كان الفتح هو القياس وغيره سماعي.

سادسًا: الكلمة (خرجا) من قوله تعالى: ﴿فهل نجعل لك خرجا على

(١) سورة الحج، آية ٦٧.
(٢) سورة الحج، آية ٣٤.
(٣) سورة الحج، آية ٦٧.
(٤) سورة القصص، آية ٨.

أن تجعل بيننا وبينهم سدًّا﴾[1]. ومن قوله تعالى: ﴿أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير﴾[2]. وكذلك الكلمة (خراج) في قوله (فخراج ربك خير) وقد اختلف القراء في الكلمة (خراج).

فقرأ حمزة والكسائي وخلف (خَرَاجا) في الموضعين بفتح الراء وإثبات ألف بعدها.

وقرأ الباقون (خَرْجا) في الموضعين أي بإسكان الراء وحذف الألف. وقرأ ابن عامر (فَخَرْجَ) بإسكان الراء وحذف الألف، والباقون (فخراج) والحق أن الخرج والخراج لغتان في مصدر خرج. قال الراغب الأصبهاني وقيل: لما يخرج من الأرض ومن وكر الحيوان ونحو ذلك خرج وخراج ثم قال: والخرج أعم من الخراج بإزاء الدخل، والخراج في الغالب مختص بالضريبة على الأرض.

وقيل الخراج بالألف الذي يضرب على الأرض في كل عام، أو ما يؤدى في كل شهر أو في كل سنة، وعليه قوله تعالى: ﴿فهل نجعل لك خراجًا على أن تجعل بيننا وبينهم سدًّا﴾[3] أي فهل نجعل لك أجرة نؤديها إليك في كل وقت، نتفق عليه على أن تبني بيننا وبينهم حاجزاً. والخرج بغير ألف هو الجعل الذي يدفع مرّة واحدة.

سابعًا: الكلمة (ضَرًّا) من قوله تعالى: ﴿إن أراد بكم ضرًا أو أراد بكم نفعًا﴾[4] قرأ حمزة والكسائي وخلف: «ضُرًا» بضم الضاد، وقرأ الباقون بفتحها وهما لغتان في المصدر مثل: الضَّعف والضُّعف.

قال مكي بن أبي طالب القيسي: وحجة من قرأ بالضم أنه جعله من سوء

(١) سورة الكهف، آية ٩٤.
(٢) سورة المؤمنون، آية ٧٢.
(٣) سورة الكهف، آية ٩٤.
(٤) سورة الفتح، آية ١١.

الحال كما قال تعالى: ﴿فكشفنا ما به من ضرّ﴾[1] أي من سوء حال فالمعنى، إن أراد بكم سوء حال. وحجة من قرأ بالفتح أنه حمله على (الضرّ) الذي هو خلاف النفع فالنفع نقيض الضَّر بالفتح.

ثامنًا: الكلمة التي أشرنا إليها آنفًا وهي (ضعف) من قوله تعالى: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة﴾[2].

قرأ شعبة وحمزة وحفص بخلف عنه، ضعف بفتح الضاد في المواضع الثلاثة في الآية في لغة «بني تميم» وقرأ الباقون بضم الضاد وهو الوجه الثاني لحفص، والضم «لغة قريش».

وبعد: فقد لمسنا من خلال عرضنا لنماذج من الكلمات التي قرئت بأكثر من وجه أن هذا الاختلاف يتصل ببنية الكلمة وحركاتها ومردّ ذلك إلى الجانب الصرفي.

ولا شك في أن ذلك يمثل اللهجات العربية التي بدا أثرها في القراءات القرآنية التي هي محلّ الرضا والقبول.

وذلك لون من أسرار القرآن الكريم، ومناط إفحامه وإعجازه وآية خلوده وبقائه.

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يوفقنا للعمل بهدى هذا الكتاب العزيز، وأن يجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه إنه سميع مجيب. والله أعلم.

---

(١) سورة الأنبياء، آية ٨٤.

(٢) سورة الروم، آية ٥٤.

مادّة (أحسن) في القرآن ومعانيها الدلاليّة

الحمد لله القائل: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرّة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا﴾[1]، والصلاة والسلام على رسول الله الذي صحّ عنه في الحديث الذي رواه «أبو ذرّ» رضي الله عنه حيث قال: «قال لي رسول الله ﷺ»: «لا تحقرنّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق» اهـ. رواه مسلم.

وبعد فهذه مجموعة من الأسئلة عن المعاني الدلالية لمادة (أحسن) في القرآن الكريم، والإجابة عليها:

س ١: قال الله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا﴾[2]. هذه الآية الكريمة تلفت أنظار المسلمين إلى أنه يجب عليهم الاقتداء بهدى نبيهم ﷺ، وأن تكون لهم فيه القدوة الحسنة. حول وجوب التأسّي برسول الله ﷺ نحبّ أن يكون حديثنا.

جـ ١: هذه الآية الكريمة، وإن كانت نزلت لحثّ المسلمين على الصبر وقوّة الاحتمال تأسّيا برسول الله ﷺ لما أصابهم من الجَهْد والمشقة والآلام

---

(١) سورة النساء، آية ٤٠.

(٢) سورة الأحزاب، آية ٢١.

والفزع والرعب الذي ألمّ بهم أثناء «غزوة الخندق».

إلّا أنها تعتبر قاعدةً أساسية ومنهجا عامّا في وجوب التأسّي بالنبيّ ﷺ في كل شيء: في الأقوال، والأفعال، والسلوك وغير ذلك من جميع القضايا التي تشمل حياة الأفراد والجماعات. ولو أردت استقصاء ذلك لاحتاج إلى عدّة نَدَوات. ولكن حسبي أن أشير هنا إلى قضية واحدة لها اتصال وثيق بالآية التي نحن بصدد الحديث عنها.

تلك القضيةُ هي العملُ بمبدإ «الشورى» تلك الشورى التي كانت من أهم أسباب حسم «غزوة الخندق» لصالح المسلمين بدون حرب أو قتال، وعودة الكفار إلى «مكة» خائبين بخفي حنين: ولعلّ الباحث في تاريخ الحضارات عند الأمم التي تُعتبر متقدمةً يعجب حينما يعلم أن «الإسلام» كان أسبق الحضاراتِ إلى الأخذ بمبدإ «الشورى».

ولأهميّة «الشورى» في تعاليم الإسلام نجد القرآن يصف المؤمنين بأنهم يتشاورون فيما بينهم، يتجلى ذلك في قول الله تعالى: ﴿**والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون**﴾[1].

ولقد كان للنبي ﷺ، وصحابته من بعده أروعُ الأمثلة في التطبيق العملي لمبدإ الشورى، حيثُ كانوا يعالجون القضايا الهامة بالتشاور فيما بينهم.

ولو أردت استقصاء ذلك لطال بنا الحديث، ولكن حسبي أن أشير هنا إلى قضيةٍ واحدة لها اتصال وثيق بالآية الكريمة التي نحن بصدد الحديث عنها ففي شوال سنة/٤ أربع من الهجرة تجمع الكفارُ واليهود من كل مكان حول «المدينة» المنورة، وكان عددهم عَشَرةَ آلاف محارب.

وذلك لمحاربة النبي ﷺ، والقضاء على دعوته. فكّر النبي ﷺ بعقله الراجح، وفكره الثاقب، ماذا يفعل أمام هذه الجيوش الجرارة التي لا قبل

---

(١) سورة الشورى، آية ٣٨.

للمسلمين بها، فاستشار أصحابه. فأشار عليه «سلمان الفارسي» رضي الله عنه بحفر «الخندق» فأخذ الهادي البشيرُ ﷺ بمشورة «سلمان» وأمر بحفر «الخندق» واشترك النبي عليه الصلاة والسلام مع أصحابه في الحفر.

وبعد أن تمّ حفر «الخندق» أقام رسول الله ﷺ وأقام أيضا الكفارُ بضعا وعشرين ليلةً، لم يكن بين الفريقين حرب إلا الرميُ بالنّبل. ثم كانت عنايةُ الله تعالى وحدثت المعجزةُ الكبرى فأرسل اللهُ جنوده الممثّلة في الرياح الشديدة وغيرها، فأطفأت الريحُ نيران الكفار، وأكفأت قدورهم، وقلعت خيامهم، وقذف الله في قلوبهم الرعب، والخوف. وأمام هذه الحرب الإلهيّة المدمّرة، قال «أبو سفيان» زعيم كفار قريش: يا معشر قريش إنكم ما أصبحتم بدار مُقام، لقد هلك الكُراع، والخفّ[1] وأخْلَفَتنا «بنو قريظة» وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدّة الريح ما ترون: ما تطمئنّ لنا قدرٌ، ولا تقام لنا «نار» ولا يستمسك لنا «بناء» فارتحلوا إني مرتحل.

ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فما أطلق عقاله إلّا وهو قائم.

وسمعت «غطفان» بما فعلت «قريش» فأخذوا راجعين إلى بلادهم وبهذا حقنت دماء المسلمين، والفضل في ذلك يرجع إلى عناية الله تعالى قبل كل شيء، ثم للنتائج الطيبة التي توصلت لها مشورة النبي ﷺ وصحابته، والتي نتج عنها حفر «الخندق» فكان سببا في عدم التقاء الفريقين.

وهذا قليل من كثير، من النتائج الكبرى، والفوائد العظمى التي تحققت نتيجة «للشورى».

ألا يجب على جميع المسلمين التأسّي برسول الله ﷺ وأن يحققوا مبدأ الشورى في جميع شئون حياتهم؟ والله أعلم.

---

(١) الكُراع: الخيل، والخفّ: الإبل.

س ٢: قال الله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾[1].

روي عن «عبد الله بن مسعود» رضي الله عنه أنه قال: «هذه أجمع آية في القرآن لخير يُمْتثل، ولشرّ يُجْتنب» حول هذه المعاني نحب أن يكون حديثنا.

جـ ٢: من ينعم النظر في المعاني التي تدل عليها هذه الآيةُ القرآنية يجزم بما لا يدع مجالا للشك بأن هذا القرآن منزّلٌ من حكيم خبير لأنها من أجمع الآيات لمكارم الأخلاق.

روي عن «عثمان بن مظعون» رضي الله عنه أنه قال: «لما نزلت هذه الآية قرأتها على «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه فتعجّب - أي من بلاغتها ومن معانيها العظيمة التي تدل عليها - فقال: يا آل غالب، اتبعوه تفلحوا، فوالله إن الله أرسله ليأمركم بمكارم الأخلاق. وروي أن «أبا طالب» لما قيل له: إن ابن أخيك زعم أن الله أنزل عليه: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ الآية، قال: «اتبعوا ابن أخي فوالله إنه لا يأمر إلّا بمحاسن الأخلاق» اهـ.

وقال «عكرمة»: قرأ النبي ﷺ على «الوليد بن المغيرة» ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ الآية، فقال: «يابن أخي أعد عليّ، فأعادها عليه فقال: «والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أصله لُمورق، وأعلاه لمثمر، وما هو بقول بشر» اهـ.

بعد ذلك أنتقل إلى بيان المعاني التي تدل عليها هذه الآية الكريمة فأقول وبالله التوفيق اختلف العلماء في معنى «العدل» الذي أمر الله به:

---

(١) سورة النحل، آية ٩٠.

فقد روى «الضحاك» عن «ابن عباس» رضي الله عنهما أن المراد بالعدل «الحق». وقال «سفيانُ بنُ عيينة»: المراد به: استواء السريرة، والعلانية في العمل لله تعالى.

أمّا عن المعاني المستفادة من «الإحسان» الذي أمر الله به:

فقد روى الضحاك عن «ابن عباس» رضي الله عنهما أن المراد به «العفوُ» وروى «أبو صالح» عن «ابن عباس» أيضاً أن المراد به «الإخلاصُ». وأقول لعلّ هذا المعنى هو المشار إليه في حديث «جبريل» رضي الله عنه حينما سأله رسول الله ﷺ عن «الإحسان» فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». وقال «سفيان بن عيينة»: معنى «الإحسان»: استواء السريرة والعلانيةِ في العمل لله تعالى» اهـ، وأقول: هذا المعنى قريب من المعنى المروي عن «ابن عباس» رضي الله عنهما. وقال «ابن عطية»: العدلُ: هو كل مفروض من عقائد، وشرائع في أداء الأمانات، وتركُ الظلم، والإنصافُ، وإعطاء الحق.

والإحسان: هو فعل كل مندوب إليه، فمن الأشياء ما هو كلّه مندوب إليه ومنها ما هو فرض، إلّا أن حدّ الإجزاء منه داخل في العدل، والتكميلُ الزائدُ على الإجزاء داخل في الإحسان» اهـ.

والمراد بقوله تعالى: ﴿وإيتاء ذي القربى﴾[1]: صلة الأرحام.

وإنما خصّ الله تعالى «ذا القربى» لأن حقوقهم أوكد، وصلتهم أوجب لتأكيد حقّ الرحم التي اشتق اللهُ اسمها من اسمه، وجعل صلتها من صلته، يرشد إلى ذلك الحديثان التاليان[2]:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بكَ من

(١) سورة النحل، آية ٩٠.

(٢) رواه الشيخان، أنظر الترغيب جـ٣ ص٥٥٦.

القطيعة، قال: نعم أما ترضيْن أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لكِ، ثم قال رسول الله ﷺ: اقرأوا إن شئتم: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ★ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾[1].

وعن «عبد الرحمن بن عوف» رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عزّ وجل: أنا الله وأنا الرحمٰن خلقتُ الرحم، وشققتُ لها اسمًا من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته» اهـ[2].

وأما معنى قوله تعالى: ﴿وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾[3]. فالفحشاء: «الفحش» وهو كل قبيح من قول أو فعل، وقيل: هو «الزنا». والمنكر: ما أنكره الشرع بالنهي عنه، وهو يعم جميع المعاصي، والرذائل، والدناءات على اختلاف أنواعها.

والبغي: هو الكِبْرُ، والظلم، والحقد، والتعدّي على حقوق الغير، والله أعلم.

س ٣: قال الله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾[4].

تدلّ هذه الآية الكريمة على النعيم المقيم، والثواب الجزيل، الذي أعدّه الله تعالى لعباده المحسنين.

حول هذا الثواب الجزيل نحبّ أن يكون حديثنا.

جـ ٣: من ينعم النظر في الآيات القرآنية يجد هناك الكثير من الآيات التي تحدثت عن الثواب العظيم الذي سيمنحه الله تعالى عباده المتقين تفضّلا منه وكرما على حسن طاعتهم، فالجزاء من جنس العمل: ﴿فمن يعمل مثقال

---

(١) سورة محمد، الآيتان ٢٢ و٢٣.
(٢) رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، أنظر الترغيب جـ٣ ص٥٥٦.
(٣) سورة النحل، آية ٩٠.
(٤) سورة يونس، آية ٢٦.

ذرّة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرّة شرّا يره﴾[1].

وقد تضمنت الآية الكريمة أربعة أنواع من العطاء الجزيل الذي أعدّه الله لعباده «المحسنين».

النوع الأول من العطاء المعدّ للمحسنين: «الحسنى».

قال «ابن الأنباري»: الحسنى: كلمة مستغنًى عن وصفها ونعتها، لأن العرب توقعُها على «الخَلَّة» المحبوبة المرغوب فيها، المفروح بها، فكان الذي تعلمه العرب من أمرها يغني عن نعتها. وللعلماء في المراد بالحسنى أقوال:

أحدها: أنها الجنة، وبه قال الأكثرون.

الثاني: أنها الحسنة بمثلها، قاله «ابن عباس» رضي الله عنهما.

الثالث: أنها الجزاء في الآخرة، قاله «ابن زيد».

النوع الثاني: من هذا العطاء «الزيادة» وللعلماء في معنى الزيادة أقوال:

الأول: أنها النظر إلى وجه الله عز وجل، فقد روي من حديث «أنس» رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن معنى قوله تعالى: ﴿وزيادة﴾ فقال: الزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم.

وهذا القول مرويّ عن كل من:

«أبي بكر الصديق، وعليّ بن أبي طالب، وحذيفة بن اليمان، وعبادة بن الصامت، وكعْب بن عُجْرة، وأبي موسى الأشعري، وصهيب، وعباس» رضي الله عنهم أجمعين.

وهو قول جماعة من التابعين منهم: قتادةُ، والضحاك، وعبدُ الرحمن بنُ أبي ليلى والسُّدّي ومقاتل.

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان ٧ - ٨.

يؤيد هذا القول الحديثُ التالي:

فعن «صهيب» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم، فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلْنا الجنة، وتنجّنا من النار، قال فيكشف الحجابَ، فما أُعْطوا شيئًا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم عز وجلّ» اهـ[1].

وصدق الله حيث قال: ﴿وجوه يومئذ ناضرة ★ إلى ربها ناظرة﴾[2].

وقيل: إن الزيادة: أن تضاعف الحسنة إلى عشر حسنات بل إلى أكثر من ذلك.

وقيل: الزيادة: غرفة في الجنة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب.

النوع الثالث: من العطاء الذي أعده الله للمحسنين:

أنه لا يغشى وجوهَهُم «قترٌ ولا ذلّة» والقتر: الغبرة التي تغلو الوجوه والعياذ بالله تعالى، وهي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة ★ ترهقها قترة ★ أولئك هم الكفرة الفجرة﴾[3]. فالمحسنون يحفظهم الله من هذا العذاب الأليم، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ★ لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون ★ لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾[4].

ومعنى «الذلّة»: الهوان والصَّغَار على الله تعالى الذي يلحق العصاة والمذنبين، يشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم

---

(١) رواه مسلم، جـ١ ص١٦٣.
(٢) سورة القيامة، الآيتان ٢٢ - ٢٣.
(٣) سورة عبس، الآيات ٤٠ - ٤٢.
(٤) سورة الأنبياء، آية ١٠١ - ١٠٣.

قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾[1].

أما المحسنون فهم في جنات النعيم، وصدق الله حيث قال: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾[2].

النوع الرابع: الذي أعدّه الله تعالى للمحسنين: النعيمُ الدائم الذي لا ينتهي أبدًا في جنة عرضها السموات والأرض أعدها الله لعباده المتقين.

يقول الله تعالى في بعض نعيم أهل الجنة: ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلّدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ★ وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيما وملكًا كبيرا ★ عليهم ثيابُ سندُس خضرٌ وإستبرق وحلوا أساور من فضّة وسقاهم ربهم شرابا طهورًا﴾[3].

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: قال الله عز وجلّ: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ذُخْرًا بلْهَ ما أطلَعَكُمُ الله عليه». ثم قرأ ﴿فلا تعلم نفسٌ ما أخفيَ لهم من قرّة أعينٍ جزاءً بما كانوا يعملونَ﴾ اهـ[4]، والله أعلم.

---

(١) سورة يونس، آية ٢٧.

(٢) سورة الزمر، آية ٧٣.

(٣) سورة الإنسان، الآيات ١٩ - ٢١.

(٤) رواه الشيخان والترمذي، أنظر التاج جـ٥ ص٤٠٢. سورة السجدة، آية ١٧.

المرأة في المجتمع الإسلامي

الحمد لله القائل: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالا كثيرًا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾[1].

والصلاة والسلام على رسول الله الذي صح عنه قوله: «استوصوا بالنساء خيرًا».

وبعد: فهذه مجموعة من الأسئلة والإجابة عليها حول موضوع هام وهو: «المرأة في المجتمع الإسلامي».

س ١: من يقرأ تعاليم الإسلام يجدها كفلت للمرأة المسلمة حقوقها كاملة غير منقوصة.

ولكن للأسف نجد الكثيرين من الرجال يقفون إزاء حقوق المرأة على طرفي نقيض:

فريق المتشدّدين، وفريق المتساهلين.

وكان نتيجة لذلك الأثرُ السيء على المرأة والمجتمع المسلم. نحب إلقاء الضوء على ذلك في ضوء تعاليم الإسلام.

(١) سورة النساء، آية ١.

جـ ١: إن منهج الأمّة الإسلامية هو دستورُها الذي يتمثّلُ في كتاب الله تعالى، وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام. فالقرآنُ والسنةُ هما الأصلان اللذان لا عدول عنهما، والعصمةُ والنجاةُ لمن تمسك بهما، وسار على منهجهما.

ومن يطالع القرآن، والسنةَ بفكر وإنعام نظر يجد أن هذين المصدرين قد نظّما للأمّة الإسلامية منهجا متكاملا في شتّى نواحي الحياة.

وفي مقدمة القضايا التي تكفّلت ببيانها تعاليمُ الإسلام حقوقُ المرأة، وهي كثيرةٌ ومتعددة، وقد يأتي الحديثُ عنها فيما بعد بالتفصيل.

ولكن للأسف نجدُ الكثيرين من الرجال الذين لم يتفهّموا روح الإسلام وقفوا من بعض حقوق المرأة موقفين متضادين، وانقسموا إزاء ذلك إلى فريقين:

الأول: فريقُ المتشدّدين المغالين.

والثاني: فريقُ المتساهلين الذين لا يتمسكون بتعاليمِ الإسلام. وكانت النتيجةُ إزاء هذين الموقفين الغريبين على الإسلام أن ظُلِمَت المرأةُ، وحدَثَ نتيجةً لذلك الاضطرابُ، وعدمُ الطمأنينةِ، والسعادةِ للمجتمع المسلم الواحد.

ونحن إذا ما أنعمنا النظر في القضايا التي كانت المرأةُ الضحيةَ فيها إزاء هذا التطبيق السيء الغريب على الإسلام، وتعاليمه، وجدناها كثيرةً ومتعدّدة.

وحسبي أن أشير إلى قضيةٍ واحدة من هذه القضايا وهي قضيةُ اختيار الزوجة:

وقد اخترت الحديثَ عن هذه القضية لأهميتها، وكثرة الأضرار التي لحقت بالفتاة إزاء المعاملة السيئة التي لا تقرها تعاليمُ الإسلام. فمما لا جدال فيه أن الزوجة هي التي تشارك زوجها مشاركة فعّالة في جميع شئون الحياة، صغيرها، وكبيرها.

ويترتبُ على حسن اختيار الزوجة سعادةُ البيت، والعكس صحيح. قال الله

تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[1].

ولما كان الزواج بهذه المنزلة السامية في نظر الإسلام وجدنا نبيَّ الإسلام عليه الصلاةُ والسلام يقرر في الحديث الذي رواه «جابرُ بنُ عبدالله» رضي الله عنه حيث قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل».

قال: «جابر بن عبدالله» فخطبتُ جاريةً من «بني سلمة» فكنتُ اختبىء لها تحت «الكرَب» أي جريد النخل، حتى رأيتُ منها بعض ما دعاني إلى نكاحها فتزوجتها» اهـ[2].

ويجدر بي أن أتوقف هنا قليلا لنرى التطبيق العملي من المسلمين إزاء ما قرره الهادي البشيرُ ﷺ من جواز رؤية الشابِّ الفتاةَ التي يريد أن يتزوجها، ويختارَها شريكة لحياته:

فنجد المعتدلين من المسلمين الذين فهموا روح الاسلام لا يرون حرجًا ولا مانعًا في أن تتاح الفرصةُ في البيت فقط وبحضور وليّ أمر الفتاة ليرى الشابُّ الفتاة التي يريد أن يتزوجها بطريقة مشروعة بعيدة عن السفور، مع عدم الإذن لها بالاختلاط، أو الخلوة غير المشروعة، أو السماح لهما بالالتقاء في المتنزهات. ثم نجدُ بعدَ ذلك فريق المتشدّدين الذين يرون أن رؤية الشابِّ للفتاة بأيّة كيفية أمرٌ مرفوض بالكلية بدعوى أن التقاليدَ والعاداتِ لا تقبل ذلك.

فتكون نتيجةُ هذا التشدد أحد أمرين أحلاهما مرّ:

الأمر الأول: أن لا يُقْدم أحد من الشباب على الزواج من فتاة مجهولة

---

(١) سورة الروم، آية ٢١.

(٢) رواه أبو داود، والبيهقي، والحاكم وصححه.

لديه، فيترتب على ذلك عدم زواج الفتاة. وحيئنذ تكون هي الضحية إزاء هذا التشديد.

الأمر الثاني: أن يُقدم أحد الشبان على هذا الزواج نزولًا على هذه التقاليدِ وبعد أن يتم الزواج يفاجأ الزوج بأنه تزوج من فتاة ليست هي التي في مخيلته، وتكون نتيجةُ ذلك الطلاق السريع، أو الزواجَ عليها بفتاة يحبها ويهواها قلبه.

وفي كلتا الحالتين يعود الأثرُ السيء على المرأة والمجتمع.

ثم نجد فريقا ثالثا: وهم المتساهلون الذين لا يبالون بتعاليم الإسلام، فيسمحون بالتقاء الشاب والفتاة في أيّ مكان، وفي أي زمان وأن يخلوَ بها وقت ما يشاء سواء كان في الليل أو النهار.

وكانت النتيجة إزاء هذا الانحلال الخلقي، والفوضى أن فقدت الفتاةُ أعزَّ شيء لديها ولدى أسرتها، وهو شرفها، وعِرْضُها، وكرامتها، ثم بعد ذلك يتركها الشابّ غارقة في عارها، ملطخة بدمائها. وتكون النتيجةُ عدم زواج الفتاة زواجا شرعيا إلى الأبد.

وفي ختام حديثي أرجو من جميع أولياء أمور الفتيات أن يتفهّموا تعاليمَ الإسلام ويعملوا بها ففي ذلك السعادةُ للجميع، والله أعلم.

س ٢: يزعم الخارجون على تعاليم الإسلام أن حجاب المرأة فيه حجر على حريتها، وكرامتها.

نريد بيان حقيقة هذا الزعم في ظل تعاليم الإسلام.

جـ ٢: حقًّا إن أعداء الإسلام يقومون على الدوام بحملات مسعورة ضدَّ الإسلام، لأن قلوبهم طبعت على كراهية المسلمين، وأعداء الإسلام لا همّ لهم إلا نشرُ أفكارهم الشريرة من حين إلى آخر بشتى الوسائل المختلفةِ سواء كانت مقروءةً، أو مسموعة، أو مرئية.

وهم عندما يقومون بهذه الحملات الكاذبة يُغَلِّفُون أفكارهم بالألفاظ البرّاقة، ويظهرون التحسّر، والتألم، والبكاء على المرأة المسكينة التي أصبحت ضحيةً يتحكم فيها الرجال، ويطلبون لها الخلاص، ويدافعون عنها دفاع المحامي المخلصِ المستميت، وكأنهم أوصياء على المرأة بدون وصاية.

ولكنّ السرابَ مهما ظهرت قوّة بريقِه ولمعانِه فإنه سرعان ما تتكّشفُ حقيقتُه، ويتّضحُ أنه لا شيء، وصدق الله حيث قال: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾[1].

وإذا ما أردنا أن نجلّي هذا الزعم الكاذب لا نجد له تفسيرًا سوى أن المنادين برفع الحجاب عن المرأة لا يريدون سوى الاعتداء على كرامتها، والاستمتاع الرخيص بمفاتنها. فهم يريدون أن تكون المرأة كالسائمة التي لا راعي لها، ولا حارس عليها، ليَقْضُوا معها شهواتهم، وملذاتِهم، تحت اسم الحرية، والمدنية، والتقدم، ولكني أقول: تحت اسم الفوضى، والهمجيّة، والرجعية إلى الجاهلية الأولى.

فالإسلام عندما فرض الحجاب على المرأة إنما فرضه من أجل المحافظةِ عليها، وصونِ كرامتها، وانسانيتها.

والآيات القرآنية الواردة في الحجاب متعددةٌ أذكر منها ما يأتي: قال الله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورًا رحيا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾[3].

---

(١) سورة النور، آية ٣٩.

(٢) سورة الأحزاب، آية ٥٩.

(٣) سورة الأحزاب، آية ٥٣.

وقال تعالى: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلّا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلّا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾[1].

والمجتمع الذي يتمسكُ بتعاليم الإسلام، وتحافظُ فيه المرأةُ على الحجاب، نجده مجتمعا يعمّه الطهرُ والنقاء، وتفوح منه الرائحة العطرة، وهي رائحة العفة، والبعدِ عن الفحشاء.

وتصبحُ سيرةُ هذا المجتمع سيرةً حميدة يحبها الجميع.

أما المجتمعاتُ التي خرجت على تعاليم الإسلام، وتركت المرأةُ فيه الحجابَ، فأصبح مجتمعا تسوده الفوضى، والانحلالُ الخلقي، وأصبحت المرأةُ فيه تتلقفها أيدي الرجال، وتتعقبها النظراتُ المريبةُ، وتلوكها الألسنة بالغيبة والنميمة.

وأصبح مجتمعا تفوح منه رائحةٌ كريهةٌ هي رائحةُ الفاحشة والعياذُ بالله.

وترتب على ذلك هروبُ الشباب من الزواج وتبعاتِه ونفقاتِه لان كل شاب أصبح في هذا المجتمع يستطيعُ أن يقضي وطره في أيّ وقت شاء، ومع مَنْ يشاء.

كما ترتب على هذه الفوضى انتشارُ أبناء الزنا والعياذ بالله. ثم عاقب الله تعالى هذه المجتمعات بأشدّ العقوبات الدنيوية فسلط عليهم الأمراض الفتاكة

---

(١) سورة النور، آية ٣١.

مثلَ الزهري، والسيلان. ثم ابتلاهم بعد ذلك بهذا المرض الخطير الذي عجز الأطباء عن اكتشاف علاج له.

كل ذلك بسبب سفور المرأة، وتركِها فريسةً سهلة ككرة القدم في الميدان تتلقفها الأرجلُ من مكان إلى مكان. وأختم حديثي بوصيتي لجميع النساء أن يتمسكن بالحجاب ففي ذلك الحفاظ على كرامة المرأة وأنوثتِها، وطهرِها والله هو الهادي إلى سواء السبيل، والله أعلم.

س ٣ : حقوق المرأة في الإسلام كثيرة ومتعددة.

نريد إلقاء الضوء على بعض هذه الحقوق في ظل تعاليم الإسلام.

جـ ٣: هذا السؤال في غاية الأهمية لأنه لا زال يتردد على ألسنة الكثيرين من الذين لم يقفوا على تعاليم الإسلام، الكثيرُ من الأسئلة التي تدور حول حقوق المرأة.

من هذه الأسئلة السؤال التالي:

هل الإسلام أنصف المرأة بما فيه الكفايةُ، أوْ لم تزل مظلومةً مهضومة الحقوق؟

وأجيب على ذلك فأقول وبالله التوفيق:

لقد اهتم الإسلام بحقوق المرأة منذ أن بعث الله نبينا «محمدًا» ﷺ، ولم ينتقل عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى إلّا والمرأةُ قد أخذت جميعَ حقوقها كاملة غير منقوصةٍ في شتى النواحي: المعنوية، والإنسانية، والمادية بما لم تحظ بمثله أيُّ امرأة في التاريخ القديم والحديث، بل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وتتلخص حقوقُ المرأة التي منحها لها الإسلامُ في المبادىء الآتية:

المبدأ الأول: إنّ المراة كالرجل في الإنسانية سواءً بسواء.

وفي هذا المعنى يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالًا كثيرًا ونساء﴾[1].

ففي هذه الآية الكريمة تقرر في جلاء ووضوح أن الإنسان ذكرًا كان أو أنثى، من أصل واحد، وهو: «آدم، وحواء» عليهما السلام. إذًا فلا داعي للتفرقة العنصرية، ولا للعبودية، ولا للاستبداد.

المبدأ الثاني: يقرر «القرآن» أن «المرأة» أهلٌ للتدين، والعبادة، وأنها تستحق دخول الجنة بإذن الله تعالى إن هي أحسنت العمل لله تعالى، مثلُها في ذلك مثلُ الرجل سواءً بسواء.

يشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[2].

بل نجد «القرآن» يخبر بأن المرأة كالرجل في الجزاء يومَ القيامة، وذلك بما أعده الله لها من المغفرة، والأجر العظيم.

يوضح ذلك قول الله تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات أعدّ الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا﴾[3].

فهذه عشر صفات قرن «القرآن» الرجلَ بالمرأة في الوصف بهن، ثم أخبر

---

(١) سورة النساء، آية ١.

(٢) سورة النحل، آية ٩٧.

(٣) سورة الأحزاب، آية ٣٥.

في نهاية الآية بأن عاقبتها معًا واحدةٌ، وهي أن الله أعدّ لها مغفرةً وأجرًا عظيما.

المبدأ الثالث: أمرَ الإسلام بإكرام المرأة: سواء كانت بنتا، أو أمًا، أو أختا، أو زوجة، أو مِنْ ذوي الأرحام. وبمعنى أعم أمر الإسلام بإكرام المرأة في جميع أطوار حياتها.

أمّا إكرامها كبنت فقد جاء في ذلك أحاديث كثيرة أقتبس منها ما يلي:

فعن «أنس بن مالك» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضمّ أصابعه» اهـ[1].

وأما إكرام المرأة كأمّ: فقد ورد الأمر بذلك في كل من الكتاب والسنة: فمن القرآن قول الله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمّه وهْنًا على وهْنٍ وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير﴾[2].

ومن السنة المطهرة الحديث التالي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله مَنْ أحقّ الناس بحسن صحابتي؟

قال: أمّك، قال ثم من؟ قال أمّك، قال ثم من؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال: أبوك» اهـ[3].

وأمّا إكرام المرأة إذا كانت من ذوي الأرحام فقد ورد الأمرُ بذلك في كل من الكتاب والسنة:

فمن القرآن قول الله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين﴾[4].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة لقمان، آية ١٤.

(٣) رواه الشيخان.

(٤) سورة النساء، آية ٣٦.

ومن السنة المطهرة الحديثان التاليان:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» اهـ[1].

وعن «أنس بن مالك» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من أحبّ أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه» اهـ[2]. والله أعلم.

س ٤: العمل شرف، وخير طعام يأكله الإنسان ما كان من كسب يده والدين الإسلامي الحنيف لم يحجر على المرأة، ولم يتركها بدون بيان المجالات التي يباح لها العمل فيها.

نحب إلقاء الضوء على ذلك مع بيان حكمة التشريع الإسلامي في ذلك.

جـ ٤: هذا سؤال في غاية الأهمية، لأنه يتردد على ألسنة الكثيرين.

وقبل الإجابة عليه أقدّم بين يدي ذلك لمحة عن أهمية العمل وبيان قيمته في منهج الإسلام فأقول:

لقد جاء ديننا الإسلامي الحنيف بأسمى المبادئ، وأنبل المقاصد، وأفضل الغايات، فما من فضيلة إلا ونبّه عليها، ورغب فيها، وما من رذيلة إلا وحذّر منها، ونهى عنها.

وإن من المقاصد السامية، والمبادئ الفاضلة التي حث عليها الإسلام «السعيَ على طلب الرزق الحلال»:

فعن «عبدالله بن مسعود» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس من عمل يقرب من الجنة إلا قد أمرتكم به، ولا عمل يقرب من النار إلا وقد نهيتكم عنه، فلا يستبطئن أحد منكم رزقه، فإن «جبريل» نفخ في

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه الشيخان.

« رُوعي »[1] إن أحدًا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه، فاتقوا الله أيها الناس، وأجملوا في الطلب، فإن استبطأ أحدٌ منكم رزقه، فلا يطلبُه بمعصية الله، فإن الله لا يُنال فضله بمعصيته » اهـ[2].

وعن « المقداد بن معديكرب » رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « ما أكل أحد طعاما قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله « داود » عليه السلام كان يأكل من عمل يده » اهـ[3].

بعد هذا أنتقل إلى الإجابة على السؤال فأقول وبالله التوفيق: لا جدال في أن الإسلام أباح للمرأة العملَ من أجل السعي على الرزق. والمجالاتُ التي لا مانع من المرأة أن تعمل بها كثيرةٌ ومتعددة أذكر منها ما يأتي:

أولا: التدريس في جميع مراحل التعليم، ولكن بشرطِ عدم الاختلاط بالرجال.

ثانيا: الطب والتمريض: فالمرأة التي تباشر إجراء الكشفِ الطبيّ عليها امرأةٌ مثلها أفضلُ بكثير من أن يباشر ذلك رجلٌ طبيب.

والمرأة التي تقوم بتمريضها أنثى خير من أن يقوم بذلك رجل.

ثالثا: الحياكة: أي خياطة ملابس النساء والأطفال.

فبدلا من أن يقوم بذلك الرجالُ كما هو مشاهدٌ الآن، ويترتبُ على ذلك الكثير من المخاطر والمحرمات، فالأفضلُ أن يتولى ذلك النساء وقديما كنتُ لا أسمع في بلادنا عن رجل يقوم بحياكة ملابِس النساء، لأن الذي كان يقوم بذلك هن النساء فقط.

رابعا: أعمال الإبرة، وشغل التطريز.

---

(١) الروع: بضم الراء: سواد القلب، وبفتحها الفزع.
(٢) رواه الحاكم، أنظر الترغيب جـ٢ ص٨٨٧.
(٣) رواه البخاري، أنظر الترغيب جـ٢ ص٨٧٠.

وبالجملة فالإسلام أباح للمرأة العملَ في كثير من المجالات ولكن بشرط عدم الاختلاط بالرجال، وبشرط أن تخرج المرأة إلى عملها متحجبة غيرَ متكشّفة.

أمّا ما نشاهده الآن في كثير من بلاد العالم، من فتح باب عمل المرأة على مصراعيه، دون مراعاةٍ لتعاليم الإسلام، ودونَ المحافظة على عورة المرأة، فهذا العملُ مرفوضٌ جلة وتفصيلا لأنه يُعرّض المرأة للمخاطر.

والدليل على ذلك ما نشاهده من أمور يندى لها جبينُ كلِّ حرّ، ويرفُضُها كلُّ رجلٍ غيور.

المسكرات والمخدرات
بيان خطرها وضررها على الفرد والمجتمع

س ١ : نحبّ ونحن في بداية حديثنا عن هذا الداء الخطير ألا وهو : تعاطي المسكرات، والمخدرات، أن تحدثنا عما يأتي :

القات، والتنباك، وتبين مدى خطر تعاطي هذه الأشياء على الإنسان.

جـ ١ : أحبّ في بداية حديثي عن هذه القضية الخطيرة التي ترتب عليها ضياعُ الأموال سُدًى، وفساد العقول، وضياع الجَهْد عَبَثا، أن أذكر قبسًا من أحاديث الهادي البشير ﷺ التي تبين حرمة تعاطي المسكرات، والمخدرات:

فعن «عبدالله بن عمر» رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام» اهـ[1].

وعن «أم سلمة» رضي الله عنها قالت: نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر»[2].

قال «الخطّابي»: المفتر: كل شراب يورث الفتور، والخدر، وهو مقدمة السكر، نهى النبي ﷺ عن شربه وتعاطيه لئلا يكون ذريعة إلى السكر.

وقال «ابن رجب»: المفتر هو المخدر للجسد، وإن لم ينته إلى حدّ

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، ومسلم، والترمذي وقال حسن صحيح أنظر الخمر وسائر المسكرات ص٣٨.

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، ورجاله رجال الصحيح، أنظر الخمر وسائر المسكرات ص٤٠.

الإسكار كما ان العقل السليم يقضي بعدم تعاطي أيّ مسكر، والدليل على ذلك أن بعض أصحاب العقول الراجحة في الجاهلية حرموا على أنفسهم شرب الخمر لما رأوا من مضراتها، من هؤلاء:

«عبدُ الله بنُ جدعان من قريش، والعباسُ بنُ مرداس السُّلَمي، حيث قيل له: لم لا تشرب الخمر؟ فقال: ما كنتُ لآخذ جهلي بيدي، وأدخله في جوفي، ما كنت لأصبح رئيس قوم، وأمسيَ سفيههم.

ومنهم «أبو بكر الصديق، وعثمانُ بنُ عفان» رضي الله عنهما، قيل «لعثمان» رضي الله عنه: ما منعك من شرب الخمر في الجاهلية ولا حرج عليك فيها؟ فقال: إني رأيتها تُذْهِبُ العقلَ جملة، وما رأيت شيئا يذهب جملة ويعود جملة.

ومنهم «جعفر بنُ أبي طالب» رضي الله عنه، وقد سئل لم حرمت الخمر على نفسك في الجاهلية، وقد كانت مباحة؟

فقال: لأني رأيت الكمَلة يزيدون في عقولهم، وشارب الخمر يسعى في زوال عقله فتركتها لذلك.

والقات نبات مخدّر، ومفتر، وهو من الخبائث، ويترتب على تعاطيه الكثير من الأمراض الخطيرة، كما أنه فيه ضياع للمال والوقت بدون أيّ فائدة، ومن أضراره التي ثبتت طبيا:

أنه يحطم الأضراس، ويهيج الباسور، ويضعف شهية الأكل، ويضعف المنيّ، ويكثر من الوذي، ويترتب على تعاطيه مرض الكلى ويظهر على من يستعمله الهزال وضعف الصحة.

كما أن ضرر تعاطي «القات» يمتد إلى النسل، إذ أثبت الطبّ الحديث أن من يتعاطى «القات» يخرج أولاده ضعافَ البنية، صغارَ الأجسام قصارَ القامة، مصابون ـ والعياذ بالله تعالى، بعدّة أمراض خبيثة ولله درٌّ من قال في الأمراض والمصائب التي تصيب من يتعاطى «القات»:

إن رمت تعرف آفة الآفات فانظر الى إدمان مضغ القات
القات قتل للمواهب والقوى ومولّد للهمّ والحسرات
ما القات إلا فكرةٌ مسمومة ترمي النفوس بأبشع النكبات
ينساب في الأحشاء داءٌ فاتكٌ ويعرّض الأعصاب للصدمات
يذرُ العقول تتيه في أوهامها ويذيقُها كأسَ الشقاء العاتي
ويميتُ في روح الشباب طموحَه ويذيبُ كلّ عزيمة وثبات
يغتال عمر المرء مع أمواله ويريه ألوانًا من النقمات
هو للإرادة والفتوّة قاتل هو ماحقٌ للأوجه النضرات
فإذا نظرت إلى وجوه هواته أبصرت فيها صفرة الأموات

أمّا « التنباك » وهو « التبغ » فضرره كبير، وخطره عظيم، وهو من الخبائث التي نهى الله تعالى عنها.

وأخبث من يتعاطى « التنباك » هو من يمضغه، ويجمعه مطحونا بين شفتيه، وأسنانه، فإنه يترتب على ذلك الكثير من الأمراض، أقلها خطرا، سقوط مقدمة أسنانه. وبعض الناس يستنشق « التنباك » بعد طحنه، ويصبه في أنفه صبّا، وقد أثبت الطب أن هذا العمل القبيح يترتب عليه الكثير من الأمراض الفتاكة والعياذ بالله تعالى، منها إفساد حاسة الشمّ التي هي من أكبر نعم الله تعالى على الإنسان.

أسأل الله السلامة والنجاة إنه سميع مجيب، والله أعلم.

س ٢ : شرب الدخان من الأمور التي لا يقرها الشرع الحنيف نظرًا لخطره، وضرره، نحب أن تبين ذلك.

جـ ٢ : عرفت المكسيك، وأمريكا « التبغ » الذي يصنّع منه « الدخان » منذ زمن بعيد، وعرفته أوربا في القرن الخامس عشر الميلادي.

انتقلت عادة التدخين إلى العالم الإسلامي إبان الحكم العثماني. وقف علماء

المسلمين ضدّ التدخين منذ دخوله إلى بلاد المسلمين. ومعظمهم حرم شرب الدخان باستعمالاته المختلفة.

أعلنت هيئة الصحة العالمية سنة ١٩٧٥ م خمس وسبعين وتسعمائة بعد الألف أنّ التدخين أشدُّ خطرًا على صحة الإنسان من أمراض السلّ، والجذام، والعياذ بالله تعالى. والتدخين من أقوى وسائل الاعتداء على جسد الإنسان، وهو من العادات الخطيرة التي انتشرت في المجتمعات رغم ضرَرِه الشديد.

والتبغُ الذي تصنّع منه السيجارة مادّةٌ مرّةُ الطعم تحتوي على موادَّ سامة، والدخان الذي يتطاير من السيجارة يعتبر من الأمور التي تضرُّ بجسم الإنسان، وتكون سببا في كثير من الأمراض: فالسموم التي في مادة «التبغ» تفتكُ بالأغشية الرقيقة الملتفّة حول الأوتار الصوتية فيسبب ذلك البحّة عند المدخّن. يسبب التدخينُ ضيقا في التنفس بسبب فساد الأكياس الهوائية في الرئتين، ويسبب آلاما في الحلق.

والتدخين يُضعفُ حاسّة الشّمّ والذوق، والنظر، والتدخين يزيد من عدد نبضات القلب فينتج عن ذلك السكتةُ القلبيةُ والعياذ بالله تعالى.

كما أن التدخين يرتب عليه تكديسُ السمومِ في الكبد فيشعر المدخّن بالتعب، والإرهاق لأيّ مجهود، لأن الكبد لا يقوى على حجز السموم التي هي كثيرة.

كما قرر الأطباء أن شرب الدخان يتسبب عنه ارتفاع ضغط الدم، وتصلّب الشرايين.

وأثبت أحد الأطباء أن التدخين يعتبر من الأسباب المباشرة في مرض سرطان الرئة، وذلك بعد أن أجرى تجاربه على عدد من الفئران، فقد وضع على جلدها محلول الدخان وبعد خمسة عشر يوما ظهر ورم السرطان على جلد الفئران.

التدخين مفتّر للأعصاب، والمخ، كما أنه يترتب عليه كثرة السعال الناتج

عن الأمراض التي تصيب الأغشية المخاطية. المدخّن إذا انقطع عن الدخان ولم يأخذه حسب المواعيد التي تعود فيها التدخين فإنه يصاب بالقلق الشديد، ويبدو عليه أنه عصبيّ المزاج فيقل تفكيره السليم.

بسبب الأضرار، والأمراض التي سبق بيانها اعتمد فقهاء الشريعة الإسلامية وقرروا أن شرب الدخان يعتبر من الخبائث التي لا يجوز تعاطيها.

وفي هذا المقام أشير الى فتوى في حكم شرب الدخان لسماحة الشيخ محمد بن ابراهيم رحمه الله حيث قال: «لا ريب في خبث الدخان، ونتنه، وتفتيره، وتحريمه بالنقل الصحيح، والعقل الصريح، وكلام الأطباء المعتبرين. فقول الله تعالى: ﴿**الذين يتبعون الرسول النبي الأميّ الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث**﴾[1].

وروى الإمام أحمد، وأبو داود عن «أم سلمة» رضي الله عنها قالت: «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر» اهـ.

قال الحافظ العراقي: إسناده صحيح، وصححه السيوطي في الجامع الصغير وبناء على ما تقدم فالدخان يعتبر محرما لأنه خبيث، ومفتر، لا يماري في ذلك الا مكابر للحسّ، والواقع.

ثم قال سماحة الشيخ محمدُ بنُ ابراهيم: وممّن ذكر تحريم شرب الدخان من فقهاء الحنفية الشيخ «محمد العيني» وقد ذكر في رسالته تحريم التدخين من أربعة أوجه:

أحدها: كونه مضرًا للصحة بإخبار الأطباء المعتبرين، وكل ما كان كذلك يحرم استعماله اتفاقا.

ثانيها: كونه من المخدرات المتفق عليها، المنهي عن استعمالها شرعا.

(١) سورة الأعراف، آية ١٥٧.

ثالثها: كون رائحته الكريهة تؤذي الناس الذين لا يستعملونه وعلى الخصوص في مجامع الصلاة ونحوها، بل وتؤذي الملائكة المكرمين، وقد روى الشيخان في صحيحيهما عن «جابر» مرفوعا: «من أكل ثوما، أو بصلا فليعتزلنا وليعتزل مسجدنا وليقعد في بيته» اهـ.

ومعلوم أن رائحة التدخين ليست أقلّ كراهيةً من رائحة الثوم والبصل.

وفي الصحيحين أيضا عن «جابر» رضي الله عنه: «أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الناس» اهـ.

رابعها: كون شرب الدخان يعتبر إسرافا، إذ ليس فيه نفع مباح خالٍ عن الضرر، بل فيه الضرر المحقق بإخبار أهل الخبرة. اهـ.

ومن فقهاء الشافعية الذين أفتوْا بتحريم شرب الدخان:

الشيخ الشهير بالنجم الغزي الشافعي حيث قال: والتوتون، يدّعي شاربه أنه لا يسكر، وإن سلّم له فإنه مفتّر، وهو حرام لحديث «أحمد» بسنده عن «أم سلمة» رضي الله عنها حيث قالت: «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر» اهـ، والله أعلم.

س ٣: أثبت الطبّ أضرارًا كثيرة تفتك بجسم وعقل متعاطي المسكرات، والمخدرات، نحبّ بيان ذلك.

جـ٣: بعد أن قدمت الأدلة القاطعة من الكتاب، والسنة، وأقوال الفقهاء من علماء المسلمين على تحريم كل مسكر ومفتّر.

أقول: يجب على كل مسلم الانقيادُ، والطاعة لأوامر الله تعالى ورسولِه، سواء عرف الحكمة من ذلك أو لا.

وتحريم المسكرات في الإسلام لم يكن مجرّد منع لا غاية منه ولا هدف، وإنما هو لغايات كثيرة، منها ما نعلمها، وأثبتها الطب الحديث، ومنها ما خفي علينا حتى الآن، وتحريم المسكرات، والمخدرات في الإسلام يستهدف

إيجاد شخصيّة قويّة في جسمها، ونفْسِها، وعقْلها، وما من شك في أن المسكرات، والمفترات تُضْعِفُ الشخصية وتَذْهبُ بمقوماتها، ولا سيما العقل، وفي هذا يقول الشاعر:

شربت الخمر حتى ضلّ عقلي   كذاك الخمرُ تفعلُ بالعقول

ويقول الشيخ محمد المجذوب:

يا من يريد دمار صحته ويَهْـ   ـوى الموتَ منتحرا بلا سكّين
لا تيأسن فإن مثلّك واجدٌ   كل الذي يرجوه في التدخين

وإذا ذهب العقل تحول المرء إلى حيوان شرّير، وصدر عنه من الشرّ والفساد ما لا حدّ له:

فالقتل، والفحش، والعدوان، وخيانةُ الأوطان، من آثار تعاطي المسكرات.

وهذا الشرّ يصل إلى نفس الإنسان، وإلى أصدقائه، وجيرانه، وإلى كل من يقترب منه.

وهذه الأعمال وغيرها التي تصدر من شارب المسكرات تتنافى مع الغاية السامية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، وهي حفظ الكليات الخمس، وهي:

١ - الدين: فمن تعاطى المسكرات صدّه ذلك عن الامتثال إلى تعاليم الدين الحنيف، وفي ذلك الخسران المبين.

٢ - النفس: وقد شرع الله تعالى «القصاص» لصون حرمة النفس، يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾[1].

والمتعاطي المسكرات قد يعرّض نفسه لأشر أنواع الهلاك، وقد ينتحر،

---

(١) سورة البقرة، آية ١٧٩.

وقد نقلت إلينا الأنباء أخبار الكثيرين من المنتحرين بسبب إدمان المسكرات.

٣ ـ المال: فالإسلام أعطى للإنسان الحرية في التصرف في ماله في حدود الشرع، فله أن ينفقه فيما أحله الله تعالى من مطعم ومشرب وملبس، وغير ذلك، وصدق الله حيث قال: ﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾[١]. وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفِقُوا من طيبات ما كسبتم﴾[٢]. أما من ينفق ماله على المسكرات، والمخدرات، فهذا يعتبر مخالفا لتعاليم الله تعالى، ومنهج النبي عليه الصلاة والسلام.

٤ ـ العقل: ونظرًا لأن العقل مناطُ التكليف حرّم الإسلامُ الاعتداء عليه بما يحول دون أدائه لوظيفته بأيّ شيء سواء كان مسكرًا، أو مفترا، ولذلك نجد الله تعالى شرع حدّ السكران من أجل أن يحافظ كل مسلم على عقله، على هذه الجوهرة الثمينة التي لا يعدلها شيء في الوجود.

٥ ـ النسل: وبما أن السكران قد يجرّه سكره إلى الوقوع في «الزنا» ويترتب على ذلك هتكُ الأعراض، حرّم الإسلام تعاطي المسكرات سدًّا للذرائع، وصونًا للحرمات.

يقول الدكتور «كيث بول»: إن بريطانيا خسرت مليون إنسان منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بسبب تدخين السجائر، وأعلن وكيل وزارة الصحة الأمريكية أن عدد الذين يموتون في الولايات المتحدة سنويا بسبب التدخين يقدر بنحو ٣٥٠ ألف شخص.

وقد أثبت الطب الحديث أن أهم الأمراض التي تزيد نسبتها بالتدخين هي: سرطان الرئة، وأمراض الشرايين، وسرطان الشفة، واللسان، والفم، والحنجرة، واللهاة، والمريء، والمثانة، كما أنه يفسد الجهاز التنفسي، والجهاز الهضميّ، والدمويّ والعصبيّ.

---

(١) سورة الأعراف، آية ٣٢.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٦٧.

وأثبت الطب أيضا أن استعمال المسكرات يسبب الأمراض الآتية: التهاب المعدة، وتليّف الكبد، والتهاب البنكرياس، وفقر الدم، ومرض القلب، والذبحة الصدرية، والتهاب الأعصاب، والخبل العقلي.

فهل بعد هذا البيان يوجدُ عاقلٌ يقدم على تعاطي المسكرات؟ الجواب على كل عاقل يتعاطى المسكرات أن يقلع عن ذلك فوراً.

أسأل الله أن يحفظني وإياكم إنه سميع مجيب، والله أعلم.

مكانة السّنة في التشريع الإسلامي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا «محمد» وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾[1].

وقال «أبو رافع» رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ قال: «لا أعرفنّ الرجل منكم يأتيه الأمر من أمري: إمّا أمرتُ به، أو نهيت عنه، وهو متكىء على أريكته فيقول: ما ندري ما هذا؟ عندنا كتاب الله، وليس هذا فيه، وما لرسول الله أن يقول ما يخالف القرآن، وبالقرآن هداه الله» اهـ. أخرجه الترمذي، وأبو داود.

وبعد: فهذه مجموعة من الاسئلة، والإجابة عليها عن موضوع من أهم الموضوعات ألا وهو: «مكانة السّنة في التشريع الإسلامي».

س ١: السنة المطهّرة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم.

نحبّ ونحن نتحدث عن مكانة السنة في التشريع الإسلامي أن تلقي الأضواء على شيء يتعلق بهذا الموضوع الهام.

---

(١) سورة الحشر، آية ٧.

جـ ١: مما هو ثابت أن السنة المطهّرة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم.

ومن أراد أن يتعرف على مكانة السنة في التشريع الإسلامي، فعليه بمراجعة «القرآن الكريم» يقرؤه قراءة فيها التؤدة وإمعان النظر في معاني الألفاظ التي يقرؤها، حينئذ سيظهر له جليا من خلال آيات القرآن المتعددة المهام الأساسية الملقاة على عاتق النبي ﷺ ومكانته ومنزلته العالية الرفيعة، وبالتالي سيستطيع التعرف على مكانة سنته المشرّفة.

فمن المهامّ الأساسية التي كلف بها الهادي البشير ﷺ من قبل رب العالمين هي تبليغ الرسالة إلى البشر كافة، يشير إلى ذلك قوله تعالى:

﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾(١).

وإلى جانب هذه المهمة العظيمة عليه أن يبيّن للأمة تعاليم هذه الرسالة، ويوضح لهم الأحكام المجملة التي جاء بها «القرآن الكريم» يوضح ذلك قول الله تعالى:

﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾(٢) ومن الأسس الثابتة في التشريع الإسلامي أن الله تعالى أوجب على جميع أفراد الأمة الإسلامية طاعة النبي عليه الصلاة والسلام، وأمرهم بذلك في كتابه العزيز فقال تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول﴾(٤).

---

(١) سورة المائدة، آية ٦٧.
(٢) سورة النحل، آية ٤٤.
(٣) سورة النساء، آية ٥٩.
(٤) سورة الأنفال، آية ٢٤.

كما أمر الله الأمة الإسلامية بالائتمار بأمر الرسول ﷺ، والانتهاء عما نهى عنه، فقال عز من قائل:

﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[1].

كما أخبر الله عز وجلّ بأن طاعة الرسول هي طاعة الله، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[2].

ولقد نفى الله تعالى الإيمان عن الذين لا يقبلون حكم النبي ﷺ فقال في محكم كتابه: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلّموا تسليمًا﴾[3]. وقال تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالًا مبينا﴾[4].

كما أخبر الله تعالى بأن النبي ﷺ لا ينطق في أمر من أمور التشريع الإسلامي عن هواه، وإنما ينطق بوحي من الله تعالى، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾[5].

وقال الإمام «محمد بن إدريس الشافعي» ت ٢٠٤ هـ في معنى قوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾[6].

سمعت أرضى أهل العلم بالقرآن يقول: «الحكمة سنة رسول الله ﷺ» اهـ[7].

---

(١) سورة الحشر، آية ٧.
(٢) سورة النساء، آية ٨٠.
(٣) سورة النساء، آية ٦٥.
(٤) سورة الأحزاب، آية ٣٦.
(٥) سورة النجم، الآيتان ٣ - ٤.
(٦) سورة الجمعة، آية ٢.
(٧) أنظر الرسالة للإمام الشافعي ص٧٨ ط القاهرة.

كما نقل عن النبي ﷺ الكثير من الأحاديث التي تبين وجوب التمسك والعمل بسنته عليه الصلاة والسلام، مما يدلّ على مكانة السنة في التشريع الإسلامي.

وهذا قبس من هذه الأحاديث المشرفة:

فعن «أبي رافع» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسول الله» اهـ[1].

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم» اهـ[2].

وعن «المقدام بن معديكرب» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عنّي وهو متكىء على أريكته فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالًا استحللناه، وما وجدنا فيه حرامًا حرّمناه، وإن ما حرّم رسول الله كما حرّم الله» اهـ[3]. والله أعلم.

س ٢: كثيرًا ما نسمع ألفاظًا تتردد على ألسنة المتحدثين نحو قولهم: جاء في الخبر، أو جاء في الأثر. وبما أننا نتحدث عن السنة المطهرة. نحب من فضيلتكم إلقاء الضوء على كل من: الحديث، والخبر، والأثر، والحديث القدسي، مع ذكر الفروق بينه وبين القرآن.

جـ ٢: الحديث لغة: الجديد نقيض القديم، وإذا ما تأملنا مادّة «حدث» وجدناها تدور حول معنى واحدٍ وهو: كان الشيء بعد أن لم يكن. والحديث في اصطلاح المحدثين: هو ما أثر عن النبي ﷺ من قول - أو فعل - أو تقرير.

---

(١) رواه مالك، أنظر التاج جـ١ ص٤٧.

(٢) رواه البخاري ومسلم، أنظر التاج جـ١ ص٤٤.

(٣) رواه الترمذي، أنظر جامع الأصول جـ١ ص٢٨١.

والحديث القدسي: هو الحديث الذي يسنده النبي ﷺ إلى الله عزّ وجلّ.

فإن قيل: نريد معرفة الفروق بين «الحديث القدسي» وبين «القرآن الكريم» أقول: لعل الفرق بينهما يرجع إلى الأمور الآتية:

أوّلا: القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزل على النبي ﷺ المعجز للإنس والجن، المتحدّي بأقصر سورة منه، كما قال تعالى:

﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا﴾[1].

وقال تعالى: **﴿وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾**[2].

والحديث القدسي ليس كذلك في هذين الأمرين: أي في الإعجاز للإنس والجن، والتحدّي بأقصر حديث منه. ثانيًا: القرآن الكريم: تكفّل الله تعالى بحفظه من التغيير، والتبديل والتحريف، قال تعالى: **﴿إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**[3].

والحديث القدسي لم يتكفل الله تعالى بحفظه.

ثالثًا: القرآن الكريم يتعبد بتلاوته، ويثاب القارىء على قراءة كل حرف بعشر حسنات.

والحديث القدسي ليس كذلك.

رابعًا: جاحد القرآن يعتبر كافرًا بإجماع المسلمين والحديث القدسي لا يكفر جاحده.

---

(١) سورة الإسراء، آية ٨٨.
(٢) سورة البقرة، آية ٢٣.
(٣) سورة الحجر، آية ٩.

خامسًا: القرآن الكريم تحرم روايته بالمعنى. والحديث القدسي تجوز روايته بالمعنى.

سادسًا: القرآن الكريم نقل إلينا بطريق التواتر. والحديث القدسي ليس كذلك.

سابعًا: القرآن الكريم يحرم على الجنب مسُّه، وتلاوته، كما يحرم على المحدث مَسُّه والحديث القدسي ليس كذلك.

لعل هذه أهم الفروق بين القرآن الكريم، وبين الحديث القدسي. والحديث عند الإطلاق ينصرف إلى ما روي عن الرسول ﷺ. والخبر لغة: العلم، وقيل: ما ينقل ويتحدث به. والجمع أخبار. والأثر لغة: البقية من الشيء، يقال: أثر الدار لما بقي منها. والخبر والأثر في اصطلاح المحدثين: لفظان يستعملان بمعنى الحديث، وبناء عليه فكل من: الحديث، والخبر، والأثر، ألفاظ مترادفة بمعنى واحدٍ. وذهب فريق من العلماء إلى القول: بأن «الحديث والخبر» ما يروى عن النبي ﷺ. و«الأثر» ما يروى عن الصحابة من أقوالهم في الشئون الشرعية.

وقيل: الحديث ما جاء عن النبي ﷺ والخبر ما جاء عن غيره. والله أعلم.

س ٣: من يتتبع الأحكام الشرعية يجد هناك بعض الأحكام الدليل عليها من السنة دون القرآن. وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على مكانة السنة في التشريع الاسلامي.

نحب إلقاء الضوء على هذه القضية الهامة.

جـ ٣: هذه قضية من القضايا الهامة التي أثارها علماء الإسلام منذ زمن بعيد ونحن إذا ما أنعمنا النظر في سنة النبي ﷺ وجدناها على قسمين:

القسم الأول: ما كان مؤيّدًا للأحكام التي جاء بها القرآن الكريم. وموافقًا للأدلة التي تثبت وجوب هذه الأحكام من حيث الإجمال: مثال ذلك:

الحديث الذي رواه «ابن عمر» رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال، «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان» اهـ[1].

فهذا الحديث يدلّ على وجوب الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، من غير تعرض لشرائطها، وأركانها، وهو موافق في إجماله لقوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾[2].

ولقوله تعالى: ﴿ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلًا﴾[3].

ولقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[4].

فهذه الآيات تفيد أيضًا وجوب كل من: الصلاة، والزكاة، والحج، والصيام، إجمالا من غير تفصيل.

القسم الثاني، ما دلّ على أحكام سكت القرآن عن بيانها إجمالا، وتفصيلا.

١ ـ الحديث الذي يحرِّم الجمع بين المرأة وبين عمّتها، وبينها وبين خالتها: فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها» اهـ. متفق عليه. وفي رواية: «لا تنكح المرأة على عمتها، ولا العمة على بنت أخيها، ولا المرأة على خالتها، ولا الخالة على بنت اخيها، لا تنكح الكبرى على الصغرى، ولا الصغرى على الكبرى». رواه أبو داود.

فهذا الحديث أثبت حكمًا شرعيًا لم يرد له ذكر في القرآن الكريم. وقد

---

(١) متفق عليه.
(٢) سورة البقرة، آية ٨٣.
(٣) سورة آل عمران، آية ٩٧.
(٤) سورة البقرة، آية ١٨٣.

اختلف العلماء في القسم الثاني الذي أثبت أحكامًا لم ينص عليها القرآن الكريم، والقول الراجح في ذلك هو ما ذهب إليه جمهور علماء المسلمين.

فقالوا: إن السنة المطهرة قد استقلّت بالنصّ على بعض الأحكام الشرعية علمًا بأنه لم يرد لهذه الأحكام دليل قطعي في القرآن الكريم، وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال «الشوكاني»: اتفق من يعتدّ به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال، وتحريم الحرام وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه».

وقال «الخطيب البغدادي»: أخبرني أبو القاسم الزهري قال:

حدثنا «محمد بن المظفر الحافظ: قال: حدثنا محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال رسول الله ﷺ: «الا عسى رجل أن يبلغه عني حديث وهو متكىء على أريكته فيقول: لا أدري ما هذا، عليكم بالقرآن، فمن بلغه عني حديث فكذب به، أو كذّب عليّ متعمّدًا فليتبوأ مقعده من النار» اهـ.

ومن أدلة القائلين باستقلال السنة ببعض الأحكام ما يلي:

أولا: النصوص الواردة في القرآن الدالة على وجوب اتباع الرسول ﷺ وطاعته فيما يأمر وينهى عامة، لا تفرق بين السنة المؤكدة، أو المبيّنة لما جاء به القرآن، أو المستقلة بأحد الأحكام وهكذا كل أدلة القرآن تدلّ على أن ما جاء الرسول ﷺ وكل ما أمر به أو نهى عنه، فهو لاحق في الحكم بما جاء في القرآن.

ثانيًا: جاءت أحاديث كثيرة تدلّ على أن الشريعة تتكون من الأصلين معًا: الكتاب، والسنة، وأن في السنة ما ليس في الكتاب، وأنه يجب الأخذ بما في السنة من الأحكام كما يجب الأخذ بما في الكتاب من الأحكام، والله أعلم.

س ٤: من يقرأ السنة المطهرة يتبيّن له أنها على مراتب، فهل هذه المراتب كلها في درجة واحدة في صحة الاحتجاج بها أوْ لا، نحب إلقاء الضوء على هذه القضية الهامة.

جـ ٤: بما أن السنة المطهرة كانت متفاوتة في طريق وصولها إلينا، فقد اختلف تبعًا لذلك درجة الاحتجاج بها. وبناء عليه فالسنة المحتج بها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ السنة المتواترة.

٢ ـ السنة المشهورة.

٣ ـ السنة الآحادية.

وهذا تفصيل الكلام على كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة:

أوّلا: السنة المتواترة في الاصطلاح:

هي ما رواه جماعة بلغوا في الكثرة مبلغًا يحصل العلم بقولهم. وقال الإمام النووي: «المتواتر ما نقله عدد لا يمكن مواطأتهم على الكذب، عن مثلهم، ويستوي طرفاه، والوسط، ويخبرون عن حسّيّ لا مظنون، ويحصل بقولهم القبول» اهـ[1].

والسنة المتواترة تنقسم إلى قسمين:

١ ـ تواتر لفظي.

٢ ـ وتواتر معنوي.

فالمتواتر اللفظي: ما رواه بلفظة جمع عن جمع لا يتوهم تواطؤهم على الكذب من أول السند إلى منتهاه مثل حديث:

«من كذب عليّ متعمّدًا فليتبوأ مقعده من النّار» اهـ[2].

---

(١) أنظر شرح مسلم للنووي، جـ١ ص١٣١.

(٢) متفق عليه، قال «ابن الجوزي» رواه عن النبي ﷺ ثمانية وتسعون صحابيا منهم العشرة.

والمتواتر المعنوي: ما اتفق نقلته على معناه عن غير مطابقة في اللفظ مثل أحاديث الشفاعة نحو «أنا أول شفيع يوم القيامة» اهـ. وقد أجمع المسلمون على أن المتواتر يفيد العلم، كما أنه حجة قطعية. والسنة المشهورة:

هي التي لم يتحقق فيها المتواتر في عصر الصحابة، بل تحقق في عصر التابعين، وتابعي التابعين.

والجمهور من الفقهاء على أن السنة المشهورة لا تفيد إلا الظن، ومع ذلك فهم يرون جواز الاحتجاج بها.

والسنة الآحادية: هي المسماة بخبر الواحد، وهو الخبر الذي لم توجد فيه شروط المتواتر، أي هو الخبر الذي لم تبلغ نقلته في الكثرة مبلغ المتواتر: سواء كان المخبر واحدًا، أو اثنين، أو ثلاثة.

قال الإمام ابن تيمية: «والذي عليه الأصوليون من أصحاب أبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقًا له وعملا به يوجب العلم.

وقال «الفتوحي»: قال «ابن عقيل، وابن الجوزي، والقاضي أبو بكر الباقلاني، والآمدي وغيرهم: السنة الآحادية تفيد العلم إذا نقلها آحاد الأمة المتفق عليهم إذا تلقي بالقبول» اهـ[1]. والله أعلم.

---

(١) أنظر أصول مذهب الإمام أحمد ص٢٤٨.

من أفضل القربات إلى الله تعالى
صلاة الجمعة والسعي إليها

السؤال على هذا الموضوع، والإجابة عليه:

س ١: يوم الجمعة من أفضل الأيام عند الله تعالى، وصلاة الجمعة والسعي إليها ورد في فضلها الأحاديث الصحيحة، نريد من فضيلتكم الحديث عن هذا الموضوع الهام.

جـ ١: مما لا جدال فيه أن يوم الجمعة سيّد الأيام، وأعظمها عند الله تعالى، وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم خيرًا من يوم الجمعة، فيه خلق الله آدم عليه السلام، وفيه أهبط الله آدم إلى الأرض، وفيه توفّى الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها الله تعالى شيئًا إلاّ أعطاه إيّاه ما لم يسأل محرّمًا، أو مكروها، وفيه تقوم الساعة. ومن يقرأ السنة المطهرة ينشرح صدره بالأحاديث التي تبين فضل صلاة الجمعة، وفضل السعي إليها:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت، غُفِر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام، ومن مسّ الحصا فقد لغا» اهـ. رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي.

يؤيد هذا الحديث في المعنى الحديث الآتي:

فعن «سلمان» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يغتسل رجل

يوم الجمعة، ويتطهر ما استطاع من الطّهور ويدّهن من دهنه، ويمسّ من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى» اهـ. رواه البخاري، والنسائي.

كما أخبر الهادي البشير ﷺ بأن من أدى صلاة الجمعة كتبه الله من أهل الجنة، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي سعيد الخدري» رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة:

من عاد مريضًا، وشهد جنازة، وصام يومًا، وراح إلى الجمعة، وأعتق رقبة» اهـ[1].

ولقد حث النبي ﷺ على كثرة الصلاة عليه، لأن هذه الصلاة ستعرض عليه، يشير إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «أوس بن أوس» رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق الله آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا من الصلاة عليّ فيه، فإن صلاتكم يوم الجمعة معروضة عليّ، قالوا: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرَمْتَ أي بليت؟

فقال: «إن الله عز وجلّ وعلا حرّم على الارض أن تأكل أجسامنا» اهـ[2].

ومما جاء في فضل يوم الجمعة الحديث التالي:

فعن «أنس بن مالك» رضي الله عنه قال: عُرضت الجمعة على رسول الله ﷺ جاءه بها جبريل عليه السلام في كفّه كالمرآة البيضاء في وسطها كالنكتة

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، أنظر الترغيب ص٦٣٧.

(٢) رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٤٨.

السوداء، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه الجمعة يعرضها عليك ربُّك لتكون لك عيدًا، ولقومك من بعدك، ولكم فيها خير، تكون أنت الأول، وتكون اليهود والنصارى من بعدك، وفيها ساعة لا يدعو أحد ربّه فيها بخير هو له قَسْم إلا أعطاه، أو يتعوذ من شرّ إلا دفع عنه ما هو أعظم منه، ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد » اهـ[1].

وقد اختلف العلماء في وقت الساعة التي يستجاب فيها الدعاء من الجمعة:

فقيل هو: من بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، أو من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس.

وقال «الحسن البصري» وغيره: هي عند زوال الشمس. وروي عن «عائشة» أم المؤمنين رضي الله عنها:

إن ساعة الإجابة إذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة. وقيل هي: إذا قعد الإمام على المنبر حتى ينتهي من الخطبة. وقيل هي: ما بين العصر إلى أن تغرب الشمس.

هذا وبالله التوفيق. والله أعلم.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد جيد، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٤٤.

منهج القرآن إزاء الخير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا «محمد» وعلى آله وصحبه أجمعين. الخير ما يرغب فيه كل إنسان كالعدل، وضدّه الشرّ. والخير يقال على وجهين:

أحدهما: أن يكون اسمًا نحو قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾[1].

والثاني: ان يكون وصفًا، نحو قوله تعالى: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾[2].

وبعد: فهذه مجموعة من الأسئلة والإجابة عليها عن «منهج القرآن إزاء الخير».

س ١: قال الله تعالى: ﴿ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون﴾[3].

هذه الآية الكريمة تتحدّث عن الجهاد، وتبين أن أجره خير من كنوز الدنيا. حول هذا الموضوع نحب أن تحدثنا:

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٠٤.
(٢) سورة البقرة، آية ١٩٧.
(٣) سورة آل عمران، آية ١٥٧.

جـ ١ : من يقرأ تعاليم الإسلام يتضح له أن الجهاد من أفضل القربات إلى الله تعالى، وقد جاءت الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية ببيان فضل الجهاد:

قال الله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾[1].

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض» اهـ. رواه البخاري.

وعن «عمران بن حصين» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مُقام الرجل في الصفّ في سبيل الله أفضل عند الله من عبادة الرجل ستين سنة» اهـ. رواه الحاكم، وقال صحيح على شرط البخاري.

وعن «معاذ بن جبل» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة، ومن جُرح جُرْحاً في سبيل الله، أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها لون الزعفران، وريحها ريح المسك» اهـ. رواه الترمذي، وابن ماجه.

وعن «أبي سعيد الخدريّ» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من رضي بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً وجبت له الجنة، فعجب لها «أبو سعيد» فقال: أعدها عليّ يا رسول الله، فأعادها عليه، ثم قال: «وأخرى يرفع الله بها للعبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، قال: وما هي يا رسول الله؟

(١) سورة التوبة، آية ١١١.

قال: « الجهاد في سبيل الله » اهـ. رواه مسلم، وأبو داود، والنسائي.

وعن « أبي بكر بن أبي موسى الأشعريّ » رضي الله عنه قال: سمعت أبي وهو بحضرة العدوّ يقول:

قال رسول الله ﷺ: « إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف، فقام رجل رثّ الهيئة فقال: يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم، فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدوّ فضرب به حتى قتل » اهـ. رواه مسلم، والترمذي.

وعن « أبي هريرة » رضي الله عنه قال:

« مرّ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشعب فيه عُيَيْنة من ماء عذب فأعجبه، فقال: لو اعتزلت الناس فأقمتُ في هذا الشعب، ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله ﷺ فذكر ذلك لرسول الله عليه الصلاة والسلام، فقال: « لا تفعل فإنّ مقام أحدكم في سبيل الله تعالى أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم، ويدخلكم الجنة؟ اغزوا في سبيل الله من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة » اهـ. رواه الترمذي، وقال حديث حسن. والله أعلم.

س ٢: قال الله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾[١].

هذه الآية الكريمة تتحدث عن بعض خصائص الأمّة المحمديّة نحبّ إلقاء الضوء على بعض هذه الخصائص.

جـ ٢: من يقرأ الكتاب والسنة بإنعام فكر يمكنه الوقوف على الكثير من خصائص الأمة الإسلامية.

وتمشيا مع طبيعة السؤال سأكتفي بذكر الخصائص الآتية: أولًا: من

(١) سورة آل عمران، آية ١٠٤.

خصائص هذه الأمّة ما أشارت إليه الآية الكريمة: أنها أمّة تدعو إلى الخير، وكلمة الخير جامعة شاملة لجميع الأفعال المحمودة شرعًا، وفي مقدمة هذه الأعمال: الإخلاص لله تعالى في كل شيء.

والإخلاص هو روح العبادة:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أنه قال: «يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة»؟ قال: «لقد ظننت يا أبا هريرة ألاّ يسالني عن هذا الحديث أحد أوّل منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: «لا إله إلا الله خالصًا من قلبه» اهـ. رواه البخاري.

ومن الخير الذي أشارت إليه الآية الكريمة: الدعوة إلى مراقبة الله يشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿**وتوكل على العزيز الرحيم * الذي يراك حين تقوم * وتقلبك في الساجدين**﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿**إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء**﴾[2].

وعن «عبد الله بن عباس» رضي الله عنهما قال: «كنت خلف النبي ﷺ فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يضروك إلّا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» اهـ. رواه الترمذي.

ثانيًا: من خصائص الأمّة المحمدية التي أشارت إليها الآية الكريمة: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وهذا من أسمى أهداف دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام. ومن يقرإ

---

(١) سورة الشعراء، الآيات ٢١٧ - ٢١٩.

(٢) سورة آل عمران، آية ٥.

القرآن الكريم، والسنة المطهرة يجدهما حافلين بالنصوص التي تبين أهمية الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله**﴾[1].

وعن «حذيفة بن اليمان» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف، ولتنهنّ عن المنكر، أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**» اهـ. رواه الترمذي.

ولأهميّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع الشرائع السماويّة نجد أن الله تعالى غضب على بني إسرائيل، وطردهم من رحمته بسبب تهاونهم، وتقاعسهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يشير إلى ذلك قول الله تعالى:

﴿**لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ★ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون**﴾[2].

وعن «ابن مسعود» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحلّ لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه، وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال:**

والله لتأمرنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنّه على الحق أطرا، ولتقصرنّه على الحق قصرًا، أو ليضربنّ الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم يلعنكم كما لعنهم» اهـ. رواه أبو داود، والترمذي. والله أعلم.

---

(١) سورة التوبة، آية ٧١.

(٢) سورة المائدة، الآيتان ٧٨ - ٧٩.

س ٣: قال الله تعالى: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا أو إعراضًا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحًا والصلح خير﴾[1].

يفهم من هذه الآية الكريمة أنها تتحدث عن منهج الإسلام في كيفية الإصلاح بين الزوجين، وهو موضوع في غاية الأهمية. لذلك نحبّ أن تلقي الضوء عليه.

جـ ٣: من يقرأ جميع الأنظمة، والقوانين الوضعية، ويقارن بينها وبين منهج الإسلام في كيفية الإصلاح بين الزوجين فإنه سيجزم بما لا يدع مجالا للشك بأن منهج الإسلام هو الأقرب إلى الفطرة السليمة، وهو الذي وضع النظام المتكامل، وبمقتضاه تسعد الأسرة المسلمة.

وبيان ذلك أننا نجد الإسلام يحث كلا من الزوجين على أن يحسن إلى الآخر:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «استوصوا بالنساء خيرًا، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء» اهـ. متفق عليه.

وعن «أم سلمة» رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة» اهـ. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

ونظرًا لما للعلاقة الزوجية من مكانة رفيعة، فقد اهتم بها منهج الإسلام ورفع من شأنها عن أن تكون مجرّد عقد تمّ التزاماته بالإيجاب والقبول، وشهادة الشهود، بل جعله متينًا غليظًا، وعهدًا قويًّا يتعذّر حلّه. فالزواج يربط القلوب، ويحفظ المصالح، ويندمج به كل من الطرفين في صاحبه، فيتحد شعورهما، وتلتقي رغباتهما، ويكون شخصه دائمًا ماثلًا بين أعينهما.

---

(١) سورة النساء، آية ١٢٨.

ومن نظر بتفكر وتدبّر قول الله تعالى في شأن العلاقة الزوجية: ﴿هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهنّ﴾[1].

أدرك أن العلاقة الزوجية أسمى في معنى الترابط والاندماج من سائر العلاقات.

وإنّ منهج الإسلام لم يكن من أجل حفظ الحياة الزوجية، وإسعادها فقط بل قدّر أن النفوس البشرية عرضة للتقلّب، وإن لنزعات القلوب أثرًا سيئًا في تغيير عواطف الحبّ، والمودّة، والرحمة، وتقطيع كل ما يكون من صلات بين الزوجين.

فإذا ما حدث مثل هذا وتغيّر القلب، ومات الحبّ، فإننا نجد الله تعالى ـ مع كل هذا ـ يأمر بحسن المعاشرة فيقول:

﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا﴾[2].

كما أرشد الله تعالى إلى معالجة الشقاق الذي قد يحدث بين الزوجين فقال عزّ من قائل:

﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا أو إعراضًا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحًا والصلح خير﴾[3].

وإذا لم يستطع الزوجان معالجة ما بينهما من شقاق، كان على أسرتيهما أن تعملا ما وسعهما العمل من أجل إنهاء ذلك الخلاف، وفي هذا يقول الله تعالى:

﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها

---

(١) سورة البقرة، آية ١٨٧.
(٢) سورة النساء، آية ١٩.
(٣) سورة النساء، آية ١٢٨.

إن يريدا إصلاحًا يوفق الله بينهما إن الله كان عليمًا خبيرًا ﴾[1]. والله أعلم.

س ٤: قال الله تعالى: ﴿ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم﴾[2].

يفهم من هذه الآية الكريمة أن كل عمل يقوم به الإنسان تجاه مصلحة اليتيم يعتبر أمرًا مفضلا ومحبوبًا، ويثاب عليه الإنسان. حول هذه القضية نحب أن يكون حديثنا.

جـ ٤: اليتيم في أشدّ الحاجة إلى من يرعاه، ويشدّ من أزره، ويشرف على تربيته تربية إسلامية كريمة. كما أنه في حاجة ماسّة إلى من يحافظ على أمواله، وممتلكاته حتى يبلغ أشده.

ولذا نجد الهادي البشير ﷺ يخبر في الحديث الذي رواه «أبو الدرداء» رضي الله عنه حيث قال:

«أتى النبي ﷺ رجلٌ يشكو قساوة قلبه، فقال له النبي ﷺ:

«أتحبّ أن يلين قلبك، وتدرك حاجتك»؟

ارحم اليتيم وامسحْ رأسه، وأطعمه من طعامك، يلين قلبك، وتدرك حاجتك» اهـ. رواه الطبراني.

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي بعثني بالحقّ لا يعذّب الله يوم القيامة من رحم اليتيم، ولان له في الكلام، ورحم يتمه وضعفه، ولم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه الله» اهـ. رواه الطبراني. والله أعلم.

---

(١) سورة النساء، آية ٣٥.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٢٠.

النكاح في الشريعة الإسلامية

السؤال على هذا الموضوع، والإجابة عليه:

س ١: قال الله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[1]. تضمنت هذه الآية الكريمة الإشارة إلى بعض الحِكم الجليلة التي تستفاد من النكاح. نودّ من فضيلتكم أن تلقي الضوء على حُكْم النكاح، ثم تبين شروطه، وآدابه، وما يستفاد منه من حِكَم جليلة.

جـ ١: هذا الموضوع في غاية الأهمية، والحديث عنه يقتضي تجلية الأمور الآتية ليكون كل مسلم ومسلمة على علم بها:

أولًا: بيان أن الزواج من سنن المرسلين عليهم الصلاة والسلام.

ثانيًا: بيان أن خير متاع الدنيا المرأة الصالحة.

ثالثًا: بيان أن تعاليم الإسلام تحث على الزواج وتحذّر الموسرين من عدم الزواج.

رابعًا: بيان أن تعاليم الإسلام تدعو إلى عدم المغالاة في الصّداق.

خامسًا: بيان أن تعاليم الإسلام بيّنت الأمور المرغبة في النكاح.

---

(١) سورة الروم، آية ٢١.

سادسًا: وصية النبي ﷺ بالنساء.

سابعًا: بيان أن تعاليم الإسلام تحث الأزواج وترغبهم في الإنفاق على الزوجة، أو الزوجات.

ثامنًا: تعاليم الإسلام تقضي بتحريم تفضيل إحدى الزوجات على ضرتها.

تاسعًا: تعاليم الإسلام ترغب الزوجات في حسن معاشرة الأزواج إلى غير ذلك من القضايا المتصلة بهذا الموضوع الهام.

وإليك أخي المسلم تفاصيل الحديث عن هذه الموضوعات:

أخي المسلم: الدين الإسلاميّ دين الفطرة السليمة، وقضية الزواج قضية تتعلق بالبشرية كلها، استمع إلى قول الله تعالى: **﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾**[1]. وقوله تعالى: **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾**[2].

من هذه النصوص وغيرها يتبين بجلاء ووضوح أن الزواج أمرٌ شرعه الله تعالى منذ أن خلق «آدم» عليه السلام، وسيظل بإذن الله تعالى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ومن يقرأ تعاليم الهادي البشير، يجده ﷺ يخبر بأن النكاح من سنن المرسلين، يوضح ذلك الحديثان التاليان:

فعن «أبي أيّوب الأنصاري» رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من سنن المرسلين: ـأي من طريقتهم وهديهم: الحنّاء ـوالتعطّر ـوالسّواك ـ والنكاح» اهـ[3] وعن «أنس بن مالك» رضي الله عنه قال: جاء رهط[4] إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي عليه الصلاة

(١) سورة الأعراف، آية ١٨٩.

(٢) سورة الروم، آية ٢١.

(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب، ورواه أيضا الإمام أحمد، والبيهقي، وقال: حديث حسن، أنظر الترغيب جـ١ ص٦٩.

(٤) الرهط: الجماعة من ثلاثة إلى عشرة.

والسلام، فلمّا أُخْبِرُوا كأنهم تقالوها[1] فقالوا: وأين نحن من النبيّ ﷺ ؟ قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، قال أحدهم: أمّا أنا فإنّي أصلّي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر أبدًا، وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم القوم الذين قلتم كذا وكذا»؟ أمّا إنّي لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكنّي أصوم، وأُفطر، وأُصلّي، وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» اهـ[2]. فإلى الشبان المضربين عن الزواج أذكرهم بأحاديث المبعوث رحمة للعالمين كي يقلعوا عمّا هم عليه من الإعراض عن الزواج لأنهم بذلك يتركون ويهجرون سنة سيد المرسلين ﷺ فضلًا عمّا يترتب على عدم الزواج من إضرار بالصحة إلى غير ذلك من الأمور التي يطول شرحها.

أهمس في أذن كل واحد من المضربين عن الزواج وأقول له: فكّر جيّدًا في حالتك التي ستكون عليها عندما يخلو عليك البيت بعد وفاة والدتك، وبعد أن تتقدم بك السن، ولن تجد من ترضى بك زوجًا لها، أقول لك بصراحة: إنك ستندم بعد أن يفوت الأوان، وبما أن المرأة تلعب دورًا كبيرًا في حياة كل رجل: فإذا كانت ذات عقل ودين فإنها بلا شكّ سيكون لها الأثر الفعّال في جعل البيت جنّة فيحاء، وحينئذ سيحبه الزوج لأنه سيجد فيه الراحة الجسمانية، والسعادة النفسيّة، والعكس صحيح.

ومن ينعم النظر في آيات القرآن الكريم، وسنة الهادي البشير ﷺ فإنه يمكنه أن يستخلص أسسًا ثلاثة، وإذا ما توفرت هذه الأسس في الأسرة المسلمة فإنه بلا شك ستتوفّر لها مقوّمات السعادة والاستقرار. والأُسس الثلاثة هي: السكون النفسي، والمودة، والرحمة. وقد اجتمعت الأُسس الثلاثة في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا

---

(١) أيْ عدّوها قليلة.

(٢) رواه البخاري ومسلم، أنظر الترغيب جـ٣ ص ٧٥.

لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة﴾[1].

بناء على ما تقدّم فعلى كل زوج عند اختيار زوجه، وشريكة حياته، وأمّ أولاده، أن يختار زوجة تصلح للمشاركة الحقيقية، لا أن يتزوج بامرأة مجهولة لا يعرف شيئًا عن طباعها، أو طباع أسرتها.

فالزّواج الذي يكون بهذه الكيفية تكون نهايته الفشل: إمّا الطلاق، وإمّا أن يعيش الرجل حياة كلها شقاء، وبخاصة إذا أنجب منها أطفالًا وأصبح لا يستطيع طلاقها. أخي المسلم من يقرأ تعاليم الإسلام في هذا الموضوع يجد هناك صفات إذا ما توفرت في المرأة فإنها بلا شكّ ستكون المرأة التي تستطيع أن تسعد زوجها. ويمكنني أن أشير إلى بعض هذه الصفات فيما يلي:

أولًا: الدين، بمعنى أن تكون الفتاة التي يرغب الرجل في زواجها صالحة متمسكة بتعاليم الإسلام يشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿**فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله**﴾[2].

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ـ وجمالها ـ وحسبها ـ ودينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك». رواه الشيخان.

وعن النبي ﷺ أنه قال: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء ـأي المريح في سيرهـ وأربع من الشقاء: الجار السوء ـوالمرأة السوء ـوالمركب السوء ـوالمسكن الضيّق» اهـ. رواه ابن حبّان في صحيحه.

ثانيًا: أن تكون عفيفة مطيعة، يرشد إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل أيّ النّساء خير؟

---

(١) سورة الروم، آية ٢١.

(٢) سورة النساء، آية ٣٤.

فقال: التي تسرّه إذا نظر وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه فيما يكره في نفسها وماله. رواه النسائي والحاكم.

ثالثًا: أن تكون من بيئة صالحة، أي من أسرة متمسكة بتعاليم الإسلام، لا من بيئة لا خلاق لها، يدلّ على ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي سعيد الخدريّ» رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال «إيّاكم وخضراء الدِّمَنْ [بكسر الدال المشددة وفتح الميم] قيل: وما خضراء الدِّمَن يا رسول الله، قال: «المرأة الحسناء في المنبت السوء» اهـ. رواه الدارقطني.

رابعًا: أن تكون سليمة الجسم من الأمراض المعدية، أو المنفّرة، سليمة العقل، والحواسّ، طيّبة الرائحة. يشير إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ أرسل إلى «أمّ سليم» كي تنظر إلى جارية فقال: «شمّي عوارضها»: [أي أسنانها التي في عرض الفم] وانظري إلى عرقوبها: [العرقوب ما فوق العقب] اهـ. رواه الطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي.

فإذا ما تحققت هذه الصفات في الفتاة التي يريد الإنسان زواجها، فإنه بلا شك سيحيا حياة مستقرة سعيدة، وبما أن الأصل في بناء بيت الزوجية ينطلق ابتداء من سنّ الشباب فإننا نجد السنة المطهرة حافلة بالأحاديث التي تحثّ الشباب على النكاح.

وفي الوقت نفسه تحذّر القادر، والمستطيع من عدم الزواج، يشير إلى ذلك الأحاديث التالية:

فعن «عبدالله بن مسعود» رضي الله عنه قال:

«قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» اهـ. رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

المعنى: تضمن هذا الحديث الشريف نداء من «المبعوث رحمة للعالمين» ﷺ إلى جميع شباب المسلمين، يدعو فيه كل مستطيع بناء أسرة، بالنفقة، والرعاية، وغير ذلك من متطلبات الحياة، يدعوهم للزواج بل يأمرهم أمرًا حكيمًا.

ثم بين عليه الصلاة والسلام أن الزواج فيه فوائد كثيرة: منها: أنه أغضّ للبصر، وأحصن للفرج، لأن المتزوج ما دام منفذًا لمنهج الإسلام فإنه بلا شك سيجتهد قدر طاقته في التمسك بقوله تعالى:

﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾[1].

ثم أخبر «الهادي البشير» ﷺ: بأن غير المستطيع للزواج لسبب من الأسباب، كأن لم يكن ليس في استطاعته الإنفاقُ على أسرة، فمثل هذا أرشده ﷺ إلى «الصوم» بقدر استطاعته، ولو في الأسبوع يومًا واحدًا، وذلك لأن الصوم فيه فوائد كثيرة: منها تهذيب الأخلاق، وإضعاف الغريزة الجنسيّة وإدامة الصلة بالله تعالى.

وحينئذ يصبح من الشباب الذين شبّوا على طاعة الله تعالى فيفوز برضوان الله عز وجل، ويكون يوم القيامة ممّن يظللهم الله في ظل عرشه يوم لا ظلّ إلا ظله.

وإذا ما استطاع كل شاب يستطيع الزواج لنداء «البشير النذير» ﷺ، وتزوج الفتاة المسلمة، الصالحة، فإنه سيكون من السعداء، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «محمد بن سعيد» يعني ابن أبي وقّاص، عن أبيه أيضًا، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة من السعادة»: المرأة الصالحة تراها تعجبك، وتغيبُ فتأمنُها على نفسك ومالك. والدابة تكون وطيئة فتلْحقُك

(١) سورة النور، آية ٣٠.

بأصحابك. والدار تكون واسعة كبيرة المرافق. وثلاث من الشقاء: المرأة تراها فتسوؤك، وتحمل لسانها عليك، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها، ومالك، والدابة تكون قطوفًا -أي بطيئة السير- فإن ضربتها أتعبتك، وإن تركتها لم تلحِقْكَ بأصحابك، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق» اهـ[1].

وعن «أبي نُجَيْح» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كان موسرًا لأن ينكحَ ثم لم ينكِحْ فليس مني» اهـ[2]. ومن يتابع وسائل الإعلام سواء كانت مقروءة كالصحف والمجلات، والمصنفات. أو مسموعة كالتي تذاع عبر الأثير، أو مرئية كالتي تشاهد في التّلْفاز من حين إلى آخر.

من يتابع ذلك يستطيع أن يحكم وهو مطمئن بأن العلماء، والمرشدين، والمصلحين، قدموا للشباب مقدارًا عظيمًا من الأحاديث والمقالات والخطب التي تحثهم، وترغبهم في النكاح، وتبين لهم أهميته.

ولكن مع كل هذا الجهد الذي يبذل فإننا لا زلنا نرى الكثيرين من الشبان يعرضون عن الزواج بل يفرون منه فرارًا. وإذا ما أردنا التعرّف عن الأسباب التي تدعو الشباب إلى تأخير الزواج فترة من الزمن نجد في مقدمة هذه الأسباب «المغالاة في المهور» والمبالغة في المصروفات التي تنفق في الحفلات التي تقام أثناء الخطبة، وأثناء عقد القران، وبالرغم من النداءات التي يقوم بها العلماء، والمصلحون في شتّى المناسبات، يدعون فيها أولياء أمور الفتيات بعدم المغالاة في المهور، وعدم المبالغة في المصروفات التي ليس لها سوى سبب واحد، هو حبّ الظهور، بالرغم من كل هذا فلا زال بعض أولياء أمور الفتيات ولا أقول كلهم، لا زال هذا البعض متمسكًا بالمغالاة في المهور. وقد ترتب على ذلك تعطيل الفتاة عن الزواج فترة من الزمن، فضلًا عن أنه يفوتها الركب لكبر سنها، وعزوف الشباب عن الزواج بها. ويسعدني

---

(١) رواه الحاكم، أنظر الترغيب جـ٣ ص٧٣.

(٢) رواه الطبراني بإسناد حسن وهو مرسل لأن راويه وهو «أبو نُجيح» تابعي كان مولى لثقيف، أنظر الترغيب جـ٣ ص٧٥.

وأنا أتحدّث عن «تأمين حق المسلم في النكاح» أن أقول: إن تعاليم الإسلام تقضي بعدم التدخّل في تحديد مقدار الصداق، يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئًا﴾[1]. هذه حقيقة لا يستطيع أي عالم بتعاليم الإسلام أن ينكرها.

وبالرغم من أن تعاليم الإسلام لم تتدخل في تحديد مقدار الصداق، فإننا في الوقت نفسه نجد الهادي البشير، الذي بعثه الله رحمة للعالمين ﷺ يدعو ويحث على عدم المغالاة في المهور حيث في عدم المغالاة تيسير وسائل الزواج على الشباب. وحينئذ نحافظ على أبنائنا، وبناتنا من الانحراف لا قدّر الله.

ورجائي أن لا يكون أولياء أمور الفتيات سببًا في تفويت فرص الزواج على بناتهم، كما هو مشاهد الآن. وحينئذ تصبح الفتاة في حالة من اليأس ـ والخزي أمام الفتيات المتزوجات وبالتالي يصبح الوالدان في حالة من الندم، ولكن بعد فوات الأوان.

بعد ذلك أقدم لك أخي المسلم قبسًا من أحاديث نبينا عليه الصلاة والسلام، التي تحث على عدم المغالاة في المهور، رجاء أن يستجيب لذلك أولياء أمور الفتيات المغالون في المهور.

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه قال:

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «إنّي تزوجت امرأة من الأنصار فأعنّي على مهرها، فقال له رسول الله عليه الصلاة والسلام: «هل نظرت إليها، فإن في عيون الأنصار شيئًا، قال: قد نظرت إليها، قال: على كم تزوجتها؟ قال: على أربع أواق، قال: على أربع أواق كأنكم تنحتون الفضة من عُرض هذا الجبل، ما عندنا ما نعطيك، ولكن عسى أن نبعثك في بعث تصيب منه، قال: فبعث بَعْثًا إلى «بني عبس» فبعثه معهم» اهـ[2].

(١) سورة النساء، آية ٢٠.

(٢) رواه مسلم، أنظر جامع الأصول جـ٧ ص١٤.

وعن «أبي سلمة بن عبد الرحمن» قال: سألت «عائشة» زوج النبيّ ﷺ: كم كان صداق رسول الله عليه الصلاة والسلام؟ قالت: كان صداقه لأزواجه ثنتي عشرة أوقية، ونشًا، قالت: أتدري ما النشُّ؟ قلت: لا، قالت: نصف أوقية، فذلك خمسمائة درهم» اهـ[1].

فإن قيل: هل تعاليم الإسلام تضمنت بيان قواعد معينة على أساسها يتمّ الزواج كي يكون ناجحًا وسعيدًا؟

أقول: نعم، ومن يقرأ تعاليم الهادي البشير ﷺ في هذا المقام يجدها حافلة بالأحاديث التي جاءت مبينة لأهمّ الأمور التي على ضوئها يتم اختيار الزوجة، أشير إلى ما يلي منها:

فعن «أبي سعيد الخدري» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تنكح المرأة على إحدى خصال: لجمالها، ومالها، وخلقها، ودينها، فعليك بذات الدين والخُلُق تربت يمينك» اهـ. رواه أحمد بإسناد صحيح، والبزّار، وابن حبّان.

المعنى: في هذا الحديث الشريف بين معلّم البشرية الأول نبينا «محمد» ﷺ بأن من الأمور المرغبة للشباب في نكاح الفتاة خصلة أو أكثر من أربع خصال:

الخصلة الأولى: جمالها، ومما لا شك فيه أن جمال المرأة وحسن هيئتها أمر هام، إذ المرأة الجميلة تكون عاملًا هامًّا في عفّة الرجل وغض بصره عن النظر إلى الأجنبيات.

ولذلك جاءت تعاليم الإسلام بإباحة نظر الشاب إلى من يريد الزواج بها.

ومع أن «منهج الإسلام» أباح ذلك إلا أنه في الوقت نفسه أباحه في حدود ضيقة للغاية، وبحضور وليّ أمر الفتاة، أمّا ما عليه الحال الآن في بعض المجتمعات من جعل الحبل على الغارب والسماح للفتاة بالخروج مع من يريد

---

(١) رواه مسلم، وأبو داود، انظر جامع الأصول جـ٧ ص٩.

الزواج بها للنزهة وحدهما بحجة أن يتعرف كل منهما على أخلاق الآخر، فهذا أمر مرفوض جملة وتفصيلًا في «منهج الإسلام» وذلك لثبوت فشله وعدم صلاحيته لأنه جرّ على الكثيرات من الفتيات أمورًا محرمة في تعاليم الإسلام، وترتب على ذلك زهد الخاطب عنها، وترك خطبتها إلى الأبد.

الخصلة الثانية: من الخصال المرغبة للشبان في زواج الفتاة «مالها».

الخصلة الثالثة والرابعة: خلقها، ودينها.

بمعنى أن تكون الفتاة أخلاقها متمشية وتعاليم الإسلام بحيث تحترم الكبير، وتعطف على الصغير، وتعطف على الوالدين وتعرف حقوق زوجها، وجيرانها الخ.

وفي نهاية الحديث قال البشير النذير عليه الصلاة والسلام: «عليك بذات الدين والخلق، تربت يمينك أي التصقت بالتراب من شدّة الفقر إن لم تفضل ذات الدين والخلق. ويؤيد هذا الحديث في المعنى الحديث التالي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» اهـ[1].

ومع أن كلا من الحديثين اعتبر من الأسباب المرغبة في نكاح الفتاة الجمال، والمال، إلا أن الهادي البشير عليه الصلاة والسلام حذّر من الاعتماد فقط على الحسن والمال؛ إذ النفوس البشرية تختلف من شخص إلى آخر إذ الجميلة قد يُغريها جمالها، ويصيبها داء الكبر، والغرور، وحينئذ يصبح التعامل معها أمرًا لا يطاق.

كما أن ذات المال قد يطغيها مالها، فتصبح امرأة مغرورة متكبرة، وبالتالي لا يجد زوجها معها السعادة الزوجية المطلوبة، يشير إلى هذه المعاني الحديث التالي:

(١) رواه الشيخان وغيرهما، أنظر الترغيب جـ٣ ص٧٧.

فعن «عبدالله بن عمرو» رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا تزوّجوا النساء لحسنهنّ فعسى حسنُهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيَهن، ولكن تزوجوهن على الدّين» اهـ[١].

هذه الفتاة التي ستصبح عن قريب في بيت غير بيت والدها الذي ربّيت وترعرت فيه، وأصبحت تعاشر رجلًا لم تألف معاشرته من قبل، إنه جوّ جديد عليها يختلف في الشكل والمضمون.

هذا الجوّ يستدعي من الزوج أن يحلّ محلّ والديها في العطف والرعاية وحسن المعاشرة الخ. هل تعاليم الإسلام أغفلت هذا الجانب، أو أهملته، أو اهتمت به كاهتمامها دائمًا بكل ما فيه سعادة الفرد والجماعة؟

أقول: هذه بلا شك، عدّة تساؤلات هامّة؟ ومن يقرأ تعاليم الهادي البشير ﷺ يجدها قد عالجت هذه الأمور أفضل معالجة، واهتمت بهذه المواقف أبلغ اهتمام.

وهذا قبس من أحاديث سيّد الأنام التي توصي الرجال بالنساء، كي تدوم العشرة بينهم، ويظلّ بيت الزوجية ترفرف عليه السعادة والسرور:

فعن «عمرو بن الأحوص الجُشَميّ» رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ في حجّة الوداع يقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكّر ووعظ، ثم قال:

«ألا واستوصوا بالنساء خيرًا فإنما هنّ عوان عندكم، ليس تملكوا منهنّ شيئًا غير ذلك إلّا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهنّ ضَرْبًا غير مُبَرّح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلًا، ألا إن لكم على نسائكم حقًّا ولنسائكم عليكم حقًّا، فحقكم عليهن أن لا يوطئن فُرُشكم من تكرهون، ولا يأذنّ في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهنّ عليكم أن تحسنوا إليهنّ في كِسْوتهن، وطعامهن» اهـ[٢].

(١) رواه ابن ماجة، انظر الترغيب جـ٣ ص٧٩.

(٢) رواه ابن ماجه، والترمذي، وقال: حسن صحيح، أنظر الترغيب جـ٣ ص٨٧.

المعنى: مما يدلّ على مدى اهتمام نبيّ الإسلام بالمرأة، والوصيّة عليها، أنه عليه الصلاة والسلام في حجّة الوداع التي عهد فيها إلى أمّته بكل ما أراد أن يعهد به إليهم في آخر لقاء جامع بينه وبينهم، فعظّم حرمة الدماء، والأموال، والأعراض، وأمر بأداء الأمانة، ووضع ربا الجاهلية، وحذّر أمّته أن يرجعوا بعده كفارًا يضرب بعضهم رقاب بعض إلى آخر ما جاء في هذه الوصية الجامعة. في هذا اللقاء التاريخي العظيم لم يغفل المبعوث رحمة للعالمين «المرأة» بل أمر بإعطائها حقوقها كاملة غير منقوصة، وأوصى الرجال بها أبلغ وصيّة، واستعطفهم عليها، حيث شبهها بالأسيرة في لزوم بيت زوجها، فلا تخرج منه إلا بإذنه.

ومن الأحاديث الواردة في هذا الشأن ما يلي:

فعن «أبي هريرة» أن رسول الله ﷺ قال: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم» اهـ[1].

وعن «عائشة» أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» اهـ[2].

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن المرأة خلقت من ضِلع، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج، وإن ذهبت تقيمُها كسرتها، وكسرها طلاقها» اهـ[3].

المعنى: هذه الأحاديث كلها تؤكد وصيّة الرجل بالمرأة، كما بينت أن أفضل الناس الذي يحسن معاشرة زوجته، لأن ذلك كان خُلُق النبي عليه الصلاة والسلام.

كما أن بعض الأحاديث بينت أن طبيعة المرأة، وأصل خلقتها أنها خلقت

---

(١) رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح، أنظر الترغيب جـ٣ ص٨٣.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه، أنظر الترغيب جـ٣ ص٨٣.

(٣) رواه مسلم، أنظر الترغيب جـ٣ ص٨٥.

من ضلع أعوج، فإذا ما أراد الإنسان أن يجعل هذا الضلع مستقيمًا فإنه سيكسره بلا شك لأن مادّته صلبة.

أيضًا المرأة من أراد أن يعيش معها فليعاملها على هذا الأساس، عندئذ ستعيش الأسرة حياة طيبة كريمة، وبما أن السعادة الزوجية لن تتحقق إلا بمقدار ما يقدمه كل طرف للآخر، نجد الرسول ﷺ في الوقت الذي يحث الأزواج على حسن معاشرة زوجاتهم، نجده أيضًا يرغب الزوجات في حسن معاشرة أزواجهنّ، يرشد إلى ذلك الأحاديث الآتية:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا صلّت المرأة خمسها، وحصّنت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت من أيّ أبواب الجنة شاءت» اهـ. رواه ابن حبّان في صحيحه.

وعن «عبد الرحمن بن عوف» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنّة من أيّ أبواب الجنة شئت» اهـ. رواه أحمد، والطبراني.

المعنى: هذان الحديثان أفادا إفادة واضحة أن من الأعمال الصالحة التي تكون سببًا في دخول المرأة الجنة طاعة زوجها.

بل نجد الهادي البشير عليه الصلاة والسلام يخبر بأن المرأة التي تموت وزوجها عنها راضٍ تدخل الجنة، يؤيد ذلك الحديث التالي:

فعن «أم سلمة» أمّ المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «أيّما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة» اهـ[1].

كما أننا نجد أم المؤمنين «عائشة» رضي الله عنها حينما سألت البشير النذير ﷺ عن أعظم الناس حقًّا على المرأة، أجابها عليه الصلاة والسلام بقوله:

---

(١) رواه ابن ماجه، والحاكم، والترمذي وحسنه، أنظر الترغيب جـ٣ ص٨٩.

«زوجها» يرشد إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «عائشة» رضي الله عنها قالت: «سألت رسول الله ﷺ أيّ الناس أعظم حقًّا على المرأة؟ قال: «زوجها» قالت: فأيّ الناس أعظم حقًّا على الرجل؟ قال: «أمّه» اهـ[١].

بل نجد النبي ﷺ يقسم بأن المرأة لا تؤدّي حقّ ربها حتى تؤدي حقّ زوجها، يدل على ذلك الحديثان التاليان:

فعن «ابن أبي أوفى» رضي الله عنه قال: لمّا قدم «معاذ بن جبل» من الشام سجد للنبيّ ﷺ، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام: «ما هذا»؟ قال: يا رسول الله قدمت الشام فوجدتهم يسجدون لبطارقتهم، وأساقفتهم، فأردت أن أفعل ذلك بك، قال: «فلا تفعل، فإني لو أمرت شيئًا أن يسجد لشيء لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفسي بيده، لا تؤدّي المرأة حق ربّها حتى تؤدي حق زوجها» اهـ[٢].

وعن «زيد بن أرقم» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المرأة لا تؤدي حق الله عليها حتى تؤدّي حق زوجها كله» اهـ[٣].

كما أن النبي ﷺ حذّر المرأة التي لا تعترف بفضل زوجها، وحسن معروفه، ولا تقوم له بحقه عليها، ببغض الله تعالى لها، يشير إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «عبدالله بن عمرو» رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: لا ينظرُ الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه» اهـ[٤].

---

(١) رواه البزار والحاكم وإسناد البزار حسن، أنظر الترغيب جـ٣ ص٩٠.
(٢) رواه ابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، أنظر الترغيب جـ٣ ص٩٥.
(٣) رواه الطبراني بإسناد جيد، أنظر الترغيب جـ٣ ص١٠٠.
(٤) رواه النسائي، والبزار، أنظر الترغيب جـ٣ ص١٠١.

كما أخبر البشير النذير عليه الصلاة والسلام بأن المرأة التي لا تطيع زوجها لا يقبل الله صلاتها، يرشد إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «ابن عمر» رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «اثنان لا تجاوز صلاتُهُما رؤوسهما: عبد أبق من مواليه حتى يرجع، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع» اهـ[1].

إلى غير ذلك من الأحاديث التي تحث المرأة على طاعة زوجها، كي يرفرف على بيت الأسرة السعادة، والهناء.

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدّقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك» اهـ[2].

المعنى: هذا الحديث جاء مبينًا بعض وجوه الإنفاق وهي أربعة:

الأول: الإنفاق فيما يلزم للجهاد في سبيل الله.

الثاني: الإنفاق في تحرير رقبة مسلمة وتخليصها من الرّق.

الثالث: الإنفاق على الفقراء والمحتاجين الذين لا يجدون ما يكفيهم.

الرابع: على من يعولهم الإنسان بما في ذلك الزوجات.

ومن عظمة تعاليم الإسلام أن الهادي البشير ﷺ أخبر بأن الإنفاق على الأهل أعظم أجرًا، وأكثر ثوابًا، من الذي ينفقه الإنسان على الجهاد، وفي فكّ الرقاب، وعلى الفقراء والمساكين.

ويؤيد الحديث السابق في المعنى الحديث التالي:

فعن «ثوبان» رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ أن النبيّ عليه الصلاة

---

(١) رواه الطبراني بإسناد جيد، أنظر الترغيب جـ٣ ص١٠٣.
(٢) رواه مسلم، أنظر الترغيب جـ٣ ص١٠٧.

والسلام قال: « دينار ينفقه الرجل على عياله، ودينار ينفقه على فرسه في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله، قال « أبو قلابة »: بدأ بالعيال، ثم قال « أبو قلابة »: أيُّ رجل أعظم أجْرًا من رجل يُنْفِقُ على عيال صغار يعفهم الله، أو ينفعهم الله به ويُغنيهم » اهـ[1].

ومع أن ربّ الأسرة مكلّف شرعًا بالإنفاق على أهله، إلّا أننا نجد سماحة الإسلام تقضي بأن الله تعالى يعتبر ما ينفقه الإنسان على أهله ـ سواء قلّ أو كثر ـ ما دام الإنسان يحتسب ذلك عند الله، ويقصد بما ينفقه ثوابَ الله ورضوانه، فإن الله سبحانه وتعالى لن يردّه خائبًا، بل وعده بالثواب على ذلك.

يرشد إلى هذا الحديثان التاليان:

فعن « أبي مسعود البدري » رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة » اهـ[2].

وعن « المقدام بن معديكرب » رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة » اهـ[3].

كما أننا نجد الهادي البشير ﷺ يخبر بأن أول ما يوضع في ميزان العبد من الحسنات ما ينفقه على أهله، يشير إلى ذلك الحديث التالي:

فعن « جابر » رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « أوّل ما يوضع في ميزان العبد نفقته على أهله » اهـ[4]. والله أعلم.

---

(١) رواه مسلم، والترمذي، أنظر الترغيب جـ٣ ص١٠٧.
(٢) رواه الشيخان، والترمذي، والنسائي، أنظر الترغيب جـ٣ ص١٠٩.
(٣) رواه أحمد بإسناد جيّد، أنظر الترغيب جـ٣ ص١٠٩.
(٤) رواه الطبراني في الأوسط، أنظر الترغيب جـ٣ ص١١٣.

واجب الدعاة في مواجهة المنافقين

الحمد لله الذي أرسل لنا نبينا «محمدًا» ﷺ هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا. والصلاة والسلام على رسول الله الذي ضرب أروع الأمثال وأصدقها في تبليغ الرسالة عملًا بقول الله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾[1]. وقد اقتفى العلماء، والدعاة، والمرشدون أثره ﷺ عملًا بقوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا﴾[2].

وبعد: فهذه مجموعة من الأسئلة والإجابة عليها عن موضوع من أهم الموضوعات وهو: «واجب الدعاة في مواجهة المنافقين».

س ١: قال الله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾[3] الخ. هذه ثلاث عشرة آية تحدثت عن المنافقين، وبينت بجلاء ووضوح كذبهم وخداعهم.

وعلى كلّ داعية أن يجلّي هذه الصفات الذميمة ليكشف الستار عن هؤلاء الأفّاكين الذين أضرّوا بالأمة الإسلامية.

---

(١) سورة المائدة، آية ٦٧.
(٢) سورة الأحزاب، آية ٢١.
(٣) سورة البقرة، آية ٨.

نودّ تجلية هذه الصفات ليحذر المجتمع المسلم هؤلاء المخادعين.

جـ ١: قبل الدخول في الإجابة عن هذا السؤال الهام أبدأ بتعريف النفاق فأقول: وبالله التوفيق.

النَّفَقُ: الطريقُ النافذُ، والسَّرَبُ في الأرض النافذُ فيه. ومنه النِّفاقُ، وهو الدخول في الشرع من باب، والخروجُ عنه من باب آخر.

من هذا يتبين أن النفاق هو أن يُظْهِرَ الإنسانُ غير ما يعتقدُ أو يعملَ شيئًا لغير وجه الله تعالَى، يشير إلى ذلك قول الله تعالى: **﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾**.

والنفاق من الصفات الذميمة التي لا تتفق وتعاليمَ الإسلام. والمنافقون أشدُّ الناس خطرًا على الإسلام والمسلمين. والقرآن الكريم عندما تصدّى لبيان صفات هؤلاء الأفاكين، وهَتْكِ سَترِهم، إنما كان يهدف من وراء ذلك إلى عدّة أمور لعلّ أهمَّها ما يلي:

أولًا: عندما يعرف المسلم هذه الصفات القبيحة يبتعد عنها ولا يحاولُ القربَ منها كي لا يقعَ في دائرة المنافقين، لأنّ من حام حول الحمى يوشِكُ أن يقعَ فيه.

والله سبحانه وتعالى يقول: **﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمَسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾**[1].

وعن «أبي هريرة» رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: «أنا أغني الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري، تركتُه وشركه». رواه مسلم.

ثانيًا: بمعرفة صفات المنافقين يستطيع المسلمون البعد عنهم وعدمَ الثقة فيهم، وعدمَ الاطمئنان والركون إليهم مهما أظهروا من إخلاص، وولاء،

---

(١) سورة هود، آية ١١٣.

ومهما أقسموا على ذلك بالأيمان المغلظة. والمنافقون: موجودون في كل زمان ومكان، ولا يخلو منهم أيٌّ مجتمع من المجتمعات.

ويجب على العلماء، والدّعاة، والوعّاظ، والخطباء، والكتّاب، أن يحذّروا المسلمين دائمًا من شرور المنافقين لأنهم شرّ مستطير. ومن صفات المنافقين التي بيَّنها القرآن الكريم «الكذبُ» يشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿**إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**﴾[1].

كما نجد الهادي البشير ﷺ يلقي الضوء على بعض صفات المنافقين، يوضح ذلك الحديثان التاليان:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر» اهـ. هذه رواية البخاري. وزاد مسلم: «آية المنافق ثلاث: وإن صام، وصلّى، وزعم أنه مسلم»[2].

وعن «عبدالله بن عمرو بن العاص» رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: أربع من كنّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خَصْلة منهنّ كانت فيه خَصْلَةٌ من نفاقٍ حتى يدَعها: إذا اؤتمِن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» اهـ[3].

والمنافقون بسبب كذبهم، وخيانتهم، وغدرِهم، أضلهم الله تعالى فهم في ريبهم يتردّدون.

ومن صفات المنافقين: «الخداعُ» وهو إظهار خلاف ما يخفيه الإنسان. والواقع أن وبال هذا الخداع سيعود عليهم وهو غضبُ الله تعالى عليهم. ومن

---

(١) سورة المنافقون، آية ١.

(٢) رواه البخاري ومسلم، أنظر جامع الأصول جـ١١ ص٥٦٩.

(٣) متفق عليه، أنظر رياض الصالحين ص٥٨٧.

صفات المنافقين: أنهم يسْعَوْن دائمًا إلى الإفساد في الأرض استمع إلى قول الله تعالى في شأن «الأخنس بن شريف الثقفي»: ﴿**ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ★ وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحبّ الفساد ★ وإذ قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد**﴾[1].

ومن صفات المنافقين: الاستهزاء بالإسلام والمسلمين ونبيّ الإسلام عليه الصلاة والسلام، يوضح ذلك قول الله تعالى: ﴿**وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون**﴾[2].

وقولُه تعالى: ﴿**يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون**﴾[3] ومن صفات المنافقين: أنهم صمٌّ عن كلمة الحق فلا يستمعون إليها، وبكم فلا ينطقون بكلمة الإسلام عن عقيدة خالصة. وهم عميٌ عن رؤية نور الإيمان، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور، وقد أشار إلى هذه الصفات قولُ الله تعالى: ﴿**صم بكم عمي فهم لا يرجعون**﴾[4] وأختم حديثي بالقول: بأن خطر المنافقين على الإسلام والمسلمين لا يقلُّ عن خطر الكافرين، حفظنا الله من شرورهم آمين. والله أعلم.

س ٢: قال الله تعالى: ﴿**المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون**﴾[5]. تضمنت هذه الآية الكريمة الإشارة إلى

(١) سورة البقرة، الآيات ٢٠٤ - ٢٠٦.
(٢) سورة البقرة، آية ١٣.
(٣) سورة المنافقون، آية ٨.
(٤) سورة البقرة، آية ١٨.
(٥) سورة التوبة، آية ٦٧.

بعض صفات المنافقين، وهي صفات كلها قبح. نحبّ إلقاء الضوء على هذه الصفات الذميمة ليتجنبها كل مؤمن صادق الإيمان.

جـ ٢: تحدثت الآية الكريمة عن بعض صفات «المنافقين» ومن ينعم النظر في هذه الصفات يجدها لا تتمشى والفِطَرَ السليمة التي فطر اللهُ الناس عليها.

إذ الفطرةُ الصحيحة هي التي تتحلّى دائمًا بالأمر بالمعروف والحث عليه وبالنهي عن المنكر والتنفير منه.

فكم حدّثنا التاريخُ عن الكثيرين من المصلحين الذين كانت لهم وقفات، وإرشادات، كلها تمجّدُ الحَسَنَ وتدعو إليه، وتذمّ القبيح وتنفّرُ منه.

ودعوات الأنبياء والرسل جميعًا جاءت متمشيةً مع هذه الفِطَرِ السليمة، فما من فضيلة إلّا وحثّت عليها دعوةُ «نبينا» ﷺ، وما من رذيلة إلّا ونفّرت منها ونهت عنها، والآياتُ القرآنية خير دليل على ذلك.

اقرأ في هذا قول الله تعالى: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾**[1] وقوله تعالى: **﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون * قل أمر ربي بالقسط﴾**[2].

ولكنْ هؤلاء المنافقون خرجوا عن دعوة الأنبياء والرسل، وجعلوا كل همهم الأمرَ بالمنكر والنهي عن المعروف.

ألا يُعتَبرُ هذا المسلكُ الغريبُ من الأمور التي يجب أن يقف عندها كلُّ صاحب عقل سليم ويسأل لماذا خرج هؤلاء المنافقون على دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟.

(١) سورة النحل، آية ٩٠.
(٢) سورة الأعراف، الآيتان ٢٨ - ٢٩.

ونحن كلما اتجهنا شرقًا أو غربًا، أو في أي بقعة من بلاد العالم نجد العجب العجاب، لقد عمّ الفسادُ في الأرض، وانتشرت الفتنُ والعياذ بالله تعالى، وتفشى الزنا في كثير من المجتمعات غير الإسلامية وأصبحت السرقةُ حِرْفةً يسلكها الكثيرون من المنحرفين. ولو تَساءلْنا عن المروّج لكل هذه الأمور لوجدنا خلف كل هذه الفضائح المنافقين والملحدين والمفسدين. هم دائمًا يسعون في الأرض فسادًا والله لا يحب المفسدين. ومن الصفات التي وصف الله تعالى بها المنافقين في هذه الآية الكريمة: «البخْلُ» والعياذ بالله تعالى. والبخلُ منْ الصفات الذميمة التي نهى اللهُ ورسوله عنها، اقرأ قول الله تعالى في ذمّ البخل: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرًا لهم بل هو شرٌّ لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾(١).

كما أننا نجد تعاليمَ الهادي البشير ﷺ تنهى عن البخل وتحذّر منه، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إياكم والفحش والتفحّش، فإن الله لا يحبّ الفاحش المتفحّش، وإياكم والظلم فإنه هو الظلماتُ يوم القيامة، وإياكم والشّحَّ فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم، ودعا من كان قبلكم فقطعوا أرحامهم، ودعا من كان قبلكم فاستحلوا حرماتهم» اهـ.
رواه ابن حبان والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

فإن قيل: لماذا اقترف المنافقون كلَّ هذه الرذائل؟ أقول: لقد أجاب الله تعالى على هذا بقوله: ﴿نسوا الله﴾ أي أن هؤلاء المنافقين تركوا طاعة الله تعالى، ولم يمتثلوا إلى التعاليم التي جاء بها نبيّ الرحمة عليه الصلاة والسلام. فلما فعلوا ذلك عاقبهم أشدّ العقوبات، استمع إلى قوله تعالى: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا﴾(٢). فيا أيها المسلمون في كل مكان احذروا المنافقين أشدّ الحذر فإن خطرهم عظيم. أسأل الله السلامة

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٨٠.
(٢) سورة النساء، آية ١٤٥.

والنجاة منهم آمين. والله أعلم.

س ٣: قال الله تعالى: ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم﴾[١] تضمنت هذه الآية الكريمة وغيرُها بيانَ العذاب الذي أعدّه الله تعالى إلى هؤلاء المنافقين.

نحب إلقاء الضوء على ذلك، رجاء أن يقلع هؤلاء المنافقون عن خداعهم ويتوبوا إلى الله تعالى.

جـ ٣: لقد أخبر الله تعالى بأن الجزاء من جنس العمل فقال عزّ مِنْ قائل: **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ★ ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره﴾**[٢].

وهؤلاء المنافقون ارتكبوا المنكرات، وكفروا بالله تعالى، وجحدوا بالتعاليم التي جاء بها البشيرُ النذيرُ ﷺ. وتركوا جميعَ النصائح التي وُجّهت إليهم، وصَمُّوا آذانهم عن سماع أيّ كلمة طيبة تُوجّه إليهم، ولم تنطق ألسنتهم إلا بالكلام القبيح الذي يَنِمُّ عن فساد عقيدتهم، وعميت قلوبهم عن التفكر في مخلوقات الله تعالى وهي كثيرة ومتعددة، وبالجملة أصبحت قلوبُهم كالحجارة، أو أشدُّ قسوةً منها فلم يؤثر فيها أيّ شيء، وأصبحوا كالأنعام بل هم أضل سبيلًا. هؤلاء المنافقون أطلقوا العَنَان إلى شهواتِهم، واستباحوا الحرمات، وفعلوا القبائح والمنكرات.

لهذا كان عقابُهم شديدًا، وعذابُهم أليمًا، وحسابهم عسيرًا، فهم في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا. ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن ألقي الأضواء على بعض أنواع العذاب الذي أعده الله تعالى إلى المنافقين والكفار يومَ القيامة.

---

(١) سورة التوبة، آية ٦٨.

(٢) سورة الزلزلة، الآيتان ٧ ـ ٨.

والهدفُ من وراء ذلك هو الزجرُ والتخويفُ رجاءَ أن يتوب هؤلاء المنافقون، فباب التوبة مفتوح، فالله سبحانه وتعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلعَ الشمسُ من مغربها. وهذا قبس من أحاديث البشير النذيرِ الوارِدة في وصف النار وبيان أنواع العذاب المعدّ فيها:

فممّا جاء في الترهيب من النار والتحذير منها الحديثُ التالي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[1]. دعا رسول الله ﷺ قريشًا فاجتمعوا، فعمَّ وخصَّ فقال: يا بني كعب بن لؤيّ أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرّة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، ويا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمةُ أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئًا» اهـ[2].

ومما جاء في بيان شدّة حرّ جهنم الحديثُ التالي:

فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن هذه النارَ جزء من مائة جزء من جهنم» اهـ[3].

ومما جاء في بُعْد قَعْرها الحديثُ التالي: فعن «أبي هريرة» رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فسمعنا وَجْبَةً[4]. فقال النبي ﷺ: أتدرون ما هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم، قال: «هذا حجرٌ أرسله الله في جهنم منذ سبعين خريفًا، فالآن حينَ انتهى إلى قعرها» اهـ[5].

---

(١) سورة الشعراء، آية ٢١٤.

(٢) رواه مسلم واللفظ له، والبخاري، والترمذي، والنسائي بنحوه، أنظر الترغيب جـ٤ ص٨٥٢.

(٣) رواه أحمد، ورواته رواة الصحيح، أنظر الترغيب جـ٤ ص٨٦٩.

(٤) الوجْبة: صوت الحائط ونحوه إذا سقط.

(٥) رواه مسلم، أنظر الترغيب جـ٤ ص٨٨٢.

وبما ورد في شرابهم الحديثُ التالي:

فعن «أبي أمامة» رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ويُسْقى من ماء صديد ★ يتجرَّعُه ولا يكاد يُسِيغه﴾[1]. قال: يُقَرَّب إلى فيه فيكرهه، فإذا أُدْنِي منه شوى وجهه ووقعت فرْوَةُ رأسه، فإذا شربه قطَّع أمعاءه حتى تخرج من دُبُره، قال الله عز وجل: ﴿وسقوا ماءً حميمًا فقطَّع أمعاءهم﴾[2]. ويقول: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب﴾[3] اهـ[4].

أسأل الله السلامة والنجاة، وأن يحفظني وإياكم من النار وعذاب النار إنه سميع مجيب. والله أعلم.

---

(١) سورة ابراهيم، الآيتان ١٦ - ١٧.

(٢) سورة محمد، آية ١٥.

(٣) سورة الكهف، آية ٢٩.

(٤) رواه أحمد، والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم، أنظر الترغيب جـ٤ ص٨٩٤.

الوحي: حقيقته ـ وأنواعه ـ وأدلّته ـ وردّ الشبهات التي أثيرت حوله

الأسئلة التي على هذا الموضوع، والإجابة عليها:

س ١: نودّ ونحن في بداية حديثنا عن «الوحي» أن تحدّثنا عن حقيقته، وبيان أنواع الموحَى به.

جـ ١: في بداية حديثي أذكر معنى «الوحي» لغة فأقول: جاء في «القاموس المحيط جـ٤/٤٠١: الوحي: الإشارة، والكتابة. وقال صاحب المفردات ص ٥١٥: أصل الوحي: الإشارة السريعة، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز، والتعريض» اهـ.

ونحن إذا ما نظرنا إلى مادة الكلمة وجدناها تدلّ على معنيين أصليين، هما: الخفاء، والسرعة. والوحي بمعناه اللغوي يتناول الأمور الآتية:

أولًا: الإلهام الفطري للإنسان، وذلك كالوحي إلى «أمّ موسى» قال تعالى: ﴿وأوحينا إلى أمّ موسى أن أرضعيه﴾[1] وقال تعالى: ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾[2].

ثانيًا: الإلهام الغريزي، وذلك كالوحي إلى النحل، قال تعالى: ﴿وأوحى

---

(١) سورة القصص، آية ٧.

(٢) سورة المائدة، آية ١١١.

ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتًا ومن الشجر ومما يعرشون﴾[1].

ثالثًا: الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيماء، قال تعالى حكاية «عن نبيّ الله زكريا» عليه السلام: ﴿فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيًا﴾[2].

ومما هو معروف في تفسير ذلك أن «زكريا» عليه السلام أشار إليهم إشارة سريعة دون أن يتكلم.

رابعًا: من الوحي اللغوي: وسوسة الشيطان وتزيينه الشرّ في نفس الإنسان، يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا﴾[4].

خامسًا: من الوحي اللغوي أيضًا: ما يلقيه الله تعالى إلى ملائكته من أمر ليفعلوه كما في قوله تعالى: ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا﴾[5].

هذا هو الوحي بمعناه اللغوي، وهذه أنواعه، ومعانيه التي يدلّ عليها.

أما عن «الوحي» بمعناه الشرعي: فهو: أن يُعْلِم الله تعالى من اصطفاه من عباده بالنبوة والرسالة كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية، والعلم، بطريقة غير معتادة للبشر. ويكون ذلك على أنواع شتّى:

١ - فمنه ما يكون مكالمة بين العبد وربه من وراء حجاب، وبدون

---

(١) سورة النحل، آية ٦٨.
(٢) سورة مريم، آية ١١.
(٣) سورة الأنعام، آية ١٢١.
(٤) سورة الأنعام، آية ١١٢.
(٥) سورة الأنفال، آية ١٢.

واسطة، كما كلّم الله تعالى نبيه «موسى» عليه السلام يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال ربّ أرني أنظر إليك قال لن تراني﴾[1].

٢ ـ ومنه ما يكون إلهامًا يقذفه الله تعالى في قلب نبيه ورسوله على وجه من العلم الضروري، فلا يستطيع له دفعًا، ولا يجد فيه شكا، وهذا النوع هو المعبر عنه بالرؤيا الصالحة في المنام:

فعن «عائشة» أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «أوّل ما بدئ به ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل الصبح» اهـ. متفق عليه.

ومما يدلّ على أن الرؤيا الصالحة للأنبياء في المنام وحي يجب اتباعه ما جاء في قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام من رؤيا ذبحه ولده «إسماعيل» عليه السلام، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فبشرناه بغلام حليم * فلما بلغ معه السعي قال يا بنيَّ إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين * فلما أسلما وتله للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين * إن هذا لهو البلاء المبين * وفديناه بذبح عظيم﴾[2].

٣ ـ ومنه ما يكون بواسطة أمين الوحي «جبريل عليه السلام» وهذا النوع هو أشهر الأنواع وأكثرها، ووحي القرآن كله من هذا القبيل وهو المصطلح عليه لدى العلماء: «بالوحي الجليّ» قال الله تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين﴾[3].

بعد أن عرفنا معنى «الوحي» لغة وشرعًا، ووقفنا على أنواع كل واحد

---

(١) سورة الأعراف، آية ١٤٣.

(٢) سورة الصافات، الآيات ١٠١ ـ ١٠٧.

(٣) سورة الشعراء، الآيات ١٩٣ ـ ١٩٥.

منها أنتقل إلى بيان «الموحَى به» فأقول: بما أن «الموحَى به» هو شرع الله الذي بعث به الرسل إلى عباده، إذًا فكل ما يقوله النبي على سبيل التشريع هو وحي من الله، ومن صفات النبي أنه معصوم عن الكذب على الله تعالى، ولا ينطق عن الهوى، كما قال تعالى في شأن نبينا «محمد» ﷺ: ﴿والنجم إذ هوى * ما ضلّ صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾[1].

والله أعلم.

س ٢: نحبّ أن تذكر الأدلّة الشرعية على وقوع الوحي.

جـ ٢: الأدلّة الشرعية على وقوع الوحي: الكتاب، والسنة: ـ فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولًا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم * وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالًا نوحي إليهم من أهل القرى﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورًا﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا

---

(١) سورة النجم، الآيات ١ ـ ٤.
(٢) سورة الشورى، الآيتان ٥١ ـ ٥٢.
(٣) سورة يوسف، آية ١٠٩.
(٤) سورة النساء، آية ١٦٣.

القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿فلا أقسم بما تبصرون ★ وما لا تبصرون ★ إنه لقول رسول كريم ★ وما هو بقول شاعر قليلًا ما تؤمنون ★ ولا بقول كاهن قليلًا ما تذكرون ★ تنزيل من رب العالمين ★ ولو تقول علينا بعض الأقاويل ★ لأخذنا منه باليمين ★ ثم لقطعنا منه الوتين ★ فما منكم من أحد عنه حاجزين ★ وإنه لتذكرة للمتقين ★ وإنا لنعلم أن منكم مكذبين ★ وإنه لحسرة على الكافرين ★ وإنه لحق اليقين﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا﴾[5].

وإذا ما انتقلنا إلى السنَّة المطهرة، وجدناها حافلة بالأحاديث التي تؤكد وقوع الوحي، فمن ذلك الحديث الآتي:

عن «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس عند رسول

---

(١) سورة يوسف، آية ٣.

(٢) سورة هود، آية ٤٩.

(٣) سورة يونس، آية ١٥.

(٤) سورة الحاقة، الآيات ٣٨ - ٥١.

(٥) سورة الكهف، آية ١١٠.

الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: «يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجَّ البيت إن استطعت إليه سبيلًا، قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه.

قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه، قال: صدقت.

قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل.

قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، ثم انطلق، فلبثت مليًّا ثم قال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه «جبريل» أتاكم يعلمكم أمر دينكم» اهـ. رواه مسلم. والله أعلم.

س ٣: هناك شبهات أثارها أعداء الإسلام حول إنكار الوحي نرجو من فضيلتكم ردّها وإنكارها.

جـ ٣: لم يكن نبينا «محمد» ﷺ بدعا من الرسل، ولا كان أوّل نبيّ خاطب الناس باسم «الوحي» وحدّثهم بحديث السماء، فمن لدن «آدم» عليه السلام تتابع الأنبياء يبلغون عن الله تعالى بواسطة «الوحي». ولم يكن الوحي الذي أيّدهم الله به مخالفًا الوحي الذي أيّد الله به نبينا «محمدًا» ﷺ. بل كانت ظاهرة «الوحي» متماثلة تمامًا عن الجميع، لأن مصدرها واحد، وغايتها واحدة.

لذلك حرص القرآن على تسمية ما نزل على قلب نبينا «محمد» ﷺ وحيًا.

ولكن مع ذلك ذهب الجاحدون، والكافرون قديمًا وحديثًا إلى إثارة شبهات حول الوحي. والواقع هي شبهات واهية، ومردودة، وباطلة، لأنها لا حقيقة لها.

ونحن إذا ما نظرنا إلى هذه الشبهات نجدها كثيرة، ومتعددة، لو أردت استقصاءها لما اتسع لها هذا المقام.

إذًا فحسبي أن أشير هنا إلى بعضها، وبعون الله تعالى سأردّ هذه الشبهات، وأبطلها بالدليل والبرهان:

الشبهة الأولى: زعم الجاحدون قديمًا وحديثًا أن نبينا «محمدًا» ﷺ تلقى القرآن على يد «معلّم» - هو حدّادٌ رُوميّ - يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجميّ وهذا لسان عربي مبين﴾[1]. وأردّ هذه الشبهة فأقول وبالله التوفيق:

نشأ نبينا «محمد» ﷺ أميًّا لم يقرأ ولم يكتب، وعاش في أمّة أميّة لم يُعرف فيها أحدٌ يحمل وسام العلم والتعليم، وهذا واقع يشهد به التاريخ، ولا مرية ولا جدال فيه.

أمّا أن يكون له معلّم من غير قومه فإن الباحث لا يستطيع أن يقع في التاريخ القديم أو الحديث على كلمة واحدة تشهد بأن النبي ﷺ لقي أحدًا من العلماء وحدّثه عن الدين الذي جاء به قبل إعلان نبوته.

حقيقة إنه رأى في طفولته ﷺ «بَحيرا» الراهب، وكل ما قاله «بحيرا» عندما رأى رسول الله ﷺ: «إن هذا الغلام سيكون له شأن عظيم» اهـ.

كما لقي الهادي البشير ﷺ «ورقة بن نوفل» في مكة المكرمة، وقال

(١) سورة النحل، آية ١٠٣.

«ورقة» عندما سمع قصة النبي ﷺ من صفة «الوحي» عندما أخذته إليه زوجه «خديجة» رضي الله عنها: «هذا هو الناموس الذي أنزله الله على «موسى» ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، قال: أومخرجيّ هم؟ قال: نعم لم يأت أحد قط بمثل ما جئت به إلا أوذي» اهـ.

ونشأة الرسول عليه الصلاة والسلام في بيئة أميّة جاهليّة، وسيرته بين قومه من أقوى الأدلة على أن الله تعالى قد أعدّه لحمل رسالته، وأوحى إليه بهذا القرآن هداية لأمته، يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾[1].

ولقد كان العرب أحرص الناس على دفع هذا القرآن إمعانًا في خصومة النبي ﷺ، ولكنهم عجزوا، ووجدوا جميع السبل أمامهم مغلقة، وباءت كل محاولاتهم بالفشل.

بهذا يتبين أن «القرآن الكريم» لا يوجد له أي مصدر إنسانيّ، بل هو تنزيل من حكيم حميد.

الشبهة الثانية: زعم بعض الجاحدين قديمًا وحديثًا أن نبينا «محمدًا» ﷺ كان له من حدّة الذكاء، ونفاذ البصيرة، وقوّة الفراسة، وشدّة الفطنة، وصفاء النفس، وصدق التأمل، ما يجعله ﷺ يدرك مقاييس الخير والشرّ، والحقّ والباطل، بالإلهام، ويتعرّف على خفايا الأمور بالكشف والوحي النفسيّ.

وبناء عليه لا يخرج «القرآن» عن أن يكون أثرًا للاستنباط العقلي والإدراك الوجداني، عبّر عنه ﷺ بأسلوبه الخاص.

وأردّ على هؤلاء الجاحدين دعواهم الباطلة فأقول: أيّ شيء في القرآن

(١) سورة الشورى، الآيتان ٥٢ ـ ٥٣.

يعتمد على الذكاء، والاستنباط؟ فالجانب الإخباري، وهو قسم كبير في القرآن، لا يماري عاقل في أنه لا يعتمد إلا على التلقي عن الله الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

لقد ذكر «القرآن» أنباء من سبق من الأمم، والأنبياء، والأحداث التاريخية بوقائعها الصحيحة الدقيقة كما يذكرها شاهد العيان بما لا يدع مجالًا لإعمال الفكر، ودقة الفراسة. علمًا بأن نبينا «محمدًا» ﷺ لم يعاصر تلك الأمم ولم يشاهد هذه الأحداث في قرونها المختلفة، حتى ينقل أنباءها.

كما لم يتوارث الهادي البشير ﷺ كتب السابقين ليدرس دقائقها، ويروي أخبارها، يؤيد ذلك الكثير من الآيات القرآنية، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين**﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿**تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين**﴾[2].

ومن يقرأ القرآن يجد فيه أخبارًا دقيقة تناولت الأرقام الحسابية التي لا يعلمها إلّا الدارس البصير:

ففي قصة «نوح» عليه السلام قوله تعالى: ﴿**ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا فأخذهم الطوفان وهم ظالمون**﴾[3].

وفي قصة أصحاب الكهف قوله تعالى: ﴿**ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا**﴾[4]. وهي عبارة عن ثلاثمائة سنة شمسية، والسنون التسع هي

---

(١) سورة يوسف، آية ٣.
(٢) سورة هود، آية ٤٩.
(٣) سورة العنكبوت، آية ١٤.
(٤) سورة الكهف، آية ٢٥.

فروق ما بين عدد السنين الشمسية، والقمرية. فمن أين لنبينا «محمد» ﷺ العلم بهذه الدقائق الصحيحة لو لم يكن يوحى إليه؟ وهو النبيّ الأميّ الذي عاش في أمّة أميّة لا يقرأ، ولا يكتب، ولا يحسب. هذا في الجانب الإخباري.

أمّا ما عدا الجانب الإخباري فإن قسم العقائد يتناول كذلك أموراً تفصيلية عن بدء الخلق، ونهايته، والحياة الآخرة، وما فيها من الجنة ونعيمها، والنار وعذابها، استمع إلى قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم ★ يصهر به ما في بطونهم والجلود ★ ولهم مقامع من حديد ★ كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمّ أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ★ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير ★ وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد﴾[1].

كما أن في القرآن ما يتبع عذاب أهل النار من الملائكة، وأوصافهم، يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً﴾[2].

وهذه كلها معلومات لا مجال فيها لذكاء العقل، وقوة الفراسة.

الشبهة الثالثة: زعم بعض الكفار، والمنكرين للرسالات السماوية أن القرآن الكريم من عند نبينا «محمد» ﷺ ابتكر معانيه، وساغ أسلوبه طلباً للزعامة، وحبّ الرياسة، وليس وحيًا كما يدّعي.

وأردّ على هؤلاء المعاندين الجاحدين فأقول: هذا زعم باطل، لأنه عليه

---

(١) سورة الحج، الآيات ١٩ ـ ٢٤.

(٢) سورة المدثر، آية ٣١.

الصلاة والسلام إذا كان يدّعي لنفسه الزعامة، ويتحدّى الناس بالمعجزات لتأييد زعامته، فلا مصلحة له في أن ينسب ما يتحدّى به الناس إلى غيره، وكان في استطاعته أن ينسب «القرآن» لنفسه، ويكون ذلك كافيًا لرفعة شأنه، والتسليم بزعامته. ولا يقال إنه أراد بنسبة القرآن إلى الوحي الإلهي ليجعل لكلامه حرمة تفوق كلامه حتى يستعين بهذا على استجابة الناس لطاعته، وإنفاذ أوامره.

فإنه ﷺ صدر عنه كلام نسبه إلى نفسه وهو ما يسمّى بالحديث النبويّ، ولم يُنقِص ذلك من لزوم طاعته شيئًا.

ولو كان الأمر كما يفتري أولئك المنكرون الكافرون لجعل ﷺ كل أقواله من كلام الله تعالى. وهذا الادعاء الباطل يفترض في رسول الله ﷺ أنه كان من أولئك الزعماء الذين يعبرون الطريق في الوصول إلى غايتهم على قنطرة من الكذب والتمويه.

وهو افتراض كاذب ويأباه الواقع التاريخي في سيرته العطرة عليه الصلاة والسلام، وما اشتهر به من صدق وأمانة شهد له بها أعداؤه قبل أصدقائه:

فالمعروف من سيرته ﷺ لدى الجميع أنه كان منذ نعومة أظفاره مثلًا فريدًا في حسن الخلق، وكريم السجايا، وصدق اللهجة، وإخلاص القول والعمل.

وقد شهد بهذا قومه عندما دعاهم في مطلع النبوة وقال لهم: «أرأيتم لو أخبركم أن خيلًا بظهر هذا الوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدّقيّ؟».

قالوا: نعم ما جرّبنا عليك كذبًا».

إذًا فصاحب هذه الصفات العظيمة التي يتوجها الصدق الخالص ما ينبغي لأحد أن يشك في قوله حينما أعلن عن نفسه بأنه ليس صاحب القرآن في لفظ صريح، يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿**وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال**

الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله قل ما يكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ★ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرًا من قبله أفلا تعقلون﴾[1].

والله أعلم.

(١) سورة يونس، الآيتان ١٥ - ١٦.

الوصية في القرآن

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، والصلاة والسلام على رسول الله المبعوث رحمة للعالمين.

وبعد: فهذه مجموعة من الأسئلة عن «الوصية في القرآن» والإجابة عليها.

س ١: جاءت الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية بالحث على الوصية وتبين وقتها ومقدارها.

حول هذه الأمور نحب أن يكون حديثنا.

ج ١: من يقرأ الآيات القرآنية، والأحاديثَ النبوية، فإنه سيجدها حافلةً بالنصوص المتضمنة للكثير من الوصايا المتصلة بمصلحة الإنسان، وبما يعودُ عليه بالخير في الدنيا والآخرة مثال ذلك:

الوصيةُ بوحدانية الله تعالى، وعدم الإشراك به.

الوصية بالتمسك بالدين، وعدمِ التفريط فيه حتى الموت.

الوصية ببرّ الوالدين والاحسانِ إليهما.

الوصية بالإحسانِ إلى الأقارب، والجيران، والأيتام.

الوصيةُ بعدم ارتكاب ما يخالف الشرعَ الحكيم.

الوصيةُ بإيفاء الكيل والميزان.

إلى غير ذلك من الوصايا التي سيبينها تفصيلا الحديثُ الذي سيدور في هذه الندوة، والتي تليها بإذن الله تعالى.

والوصيةُ: ما أوصى الإنسانُ به إلى الغير من مال أو غيره بعد موته وسمّيت وصيّة لاتصالها بأمر الميت.

والوصيةُ يجبُ على جميع الورثة تنفيذها، ويكونُ ذلك قبل تقسيم التركة، حيث قال تعالى في الآيات التي تصدّت لبيان قِسْمة «التركة» من بعد وصية يوصى بها أو دين. والوصية مندوبةٌ لا واجبة، وهذا ما عليه جمهور المسلمين. وقال «داود» الظاهري: هي واجبة.

ومن الأحاديث الواردة في الحث على الوصية الحديث التالي:

«فعن عبدالله بن عمر» رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «ما حقُّ امرىء مسلم له شيءٌ يريد أن يوصيَ به يبيت ليلتين.

وفي رواية: ثلاث ليال إلّا ووصيتُه مكتوبةٌ عنده» اهـ[1].

أمّا عن وقت الوصية: فالأفضل أن تكون والإنسانُ في حال صحته، وقوتِه، وقبل أن تحضرَهُ أسبابُ الموت ويُسْتحب أن يُشْهد عليها شاهدين ذويْ عدل ممن تجوز شهادتهم عملا بقول الله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموتُ حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم﴾[2].

وتكون الوصية جامعةً شاملة كلَّ ما يريد أن يوصيَ به الإنسان فإذا جدّ أمر يحتاج إلى الوصية فلا مانع من إضافته إلى الوصية.

ومن الأحاديث الواردة في بيان وقت الوصية الحديثُ التالي:

(١) رواه البخاري، ومسلم، وغيرهما. أنظر جامع الأصول جـ١١ ص٦٢٥.

(٢) سورة المائدة، آية ١٠٦.

فعن « أبي هريرة » رضي الله عنه قال:

قيل لرسول الله ﷺ: « أيُّ الصدقة خيرٌ، أو أفضل؟

قال: أن تصدّق وأنت صحيحٌ، شحيحٌ، تأمُل الغنى، وتخشى الفقر، ولا تُمْهِلْ حتى إذا بلغت الحلقومَ قلت: لفلان كذا، ولفلان كَذا، وقد كان لفلان » اهـ[1].

وعن « أبي سعيد الخدريّ » رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « لأن يتصدّقَ المرءُ في حياته، وصحتِه بدرهم خيرٌ له من أن يتصدّق عند موته بمائة » اهـ[2].

فإن قيل: ما مقدار الوصية؟

أقول: يُشْترط في الوصيّة أن لا تزيدَ عن ثلث التركة فإن زادت فإنه يُشترط في صحة نفاذها أن يُجيزها الورثة، يرشد إلى ذلك الحديث التالي:

فعن « سعد بنِ أبي وقاص » رضي الله عنه قال:

« جاءني رسول الله ﷺ يعودني عام حَجّة الوداع من وجع اشتدّ بي، فقلت: يا رسول الله إني قد بلغ بي من الوجع ما ترى، وأنا ذو مال، ولا يرثُني إلّا ابنةٌ لي، أفأتصدّق بثلثَيْ مالي ».

قال: « لا » قلت: فالشَّطْر يا رسولَ الله؟

فقال: « لا » قلت: فالثلث؟

قال: « فالثلثُ، والثلث كثير، أو كبير، إنك إن تذرَ ورثتك أغنياءَ خيرٌ من أن تذرَهم عالةً يتكفّفون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجهَ الله الّا أُجرت بها، حتى ما تجعلُ في في امرأتك، قال: فقلت: يا رسول الله أُخَلّفُ بعد أصحابي؟

---

(١) أخرجه البخاري، ومسلم، والنسائي، أنظر جامع الأصول جـ ١١ ص٦٢٧.

(٢) أخرجه أبو داود، أنظر جامع الأصول جـ ١١ ص٦٢٨.

قال: إنك لن تُخلَّفَ فتعملَ عملًا تبتغي به وجه الله، إلّا زدت به درجة ورفعة» الحديث[1].

كما أنّ من شروط الوصيّة أن لا تكون لأحد من أفراد الورثة، يوضح ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي أمامة الباهلي» رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله قد أعطى كلَّ ذي حقّ حقّه، فلا وصية لوارث» الحديث[2]. والله أعلم.

س ٢: قال الله تعالى: ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾[3].

تحدثت الآية الكريمة عن وصية الله تعالى للأمم المتقدمة ولأمة نبينا «محمد» ﷺ بتقوى الله عز وجل.

نحب بيان معنى «التقوى» ثم توضيح المراد منها.

ج ٢: التقوى: أصلها من الوقاية، وهي حفظ الشيء مما يؤذيه ويضرُّه.

يقال: وقيت الشيء، أقيه وقاية، ووقاء. والتقوى في عرف الشرع: هي حفظ النفس عمّا يُؤْثِم، وذلك بترك المحظور، وتفريغ القلب لعبادة الله تعالى. فإذا ما وصل الإنسان إلى هذه الحالة ملأ اللهُ قلبَه غِنًى، ورزقه من الحلال، من حيث لا يحتسب.

قال الله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا*ويرزقْه من حيث لا يحتسب﴾[4].

---

(١) أخرجه الشيخان، أنظر جامع الأصول جـ١١ ص٦٢٩.
(٢) أخرجه أبو داود، والترمذي، أنظر جامع الأصول جـ١١ ص٦٣٣.
(٣) سورة النساء، آية ١٣١.
(٤) سورة الطلاق، الآيتان ٢ - ٣.

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾[1]. وعن «مَعْقل بن يسار» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يقول ربكم: يا ابن آدم تفرّغ لعبادتي، أملأُ قلبك غِنًى، وأملأُ يدك رزقا، يا ابن آدم لا تَباعَدْ منّي، أملأُ قلبك فقرًا، وأملأُ يدك شُغْلا» اهـ[2].

وتقوى الله تعالى تستلزمُ تفريغ القلب من هموم الدنيا، والالتجاء إلى الله تعالى، فمن كان كذلك جعل الله غناه في قلبه، يوضح ذلك الحديثان التاليان:

فعن «أبي الدرداء» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تفرّغُوا من هموم الدنيا ما استطعتم، فإنه من كانت الدنيا أكبرَ همه أفْشى الله ضَيْعه[3]. وجعل فقره بين عينيه، ومن كانت الآخرةُ أكبرَ همه جمع الله عز وجل له أمورَه وجعل غناه في قلبه، وما أقبل عبد بقلبه إلى الله عزّ وجل إلّا جعل اللهُ قلوبَ المؤمنين تفد إليه بالوُدّ والرحمة، وكان اللهُ عز وجلّ إليه بكل خير أسرع» اهـ[4].

يؤيد هذا الحديث في المعنى الحديثُ التالي:

فعن «زيد بن ثابت» رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كانت الدنيا همَّه فرّق اللهُ عليه أمرَه، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلّا ما كُتِبَ له، ومن كانت الآخرةُ نيتَه جمع الله له أمرَه وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة» اهـ[5]

---

(١) سورة الأنفال، آية ٢٩.

(٢) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. أنظر الترغيب جـ٤ ص٢٠١.

(٣) أي أكثر حاجته ومطالبه ونشرها بين الناس فلا يستطيع لها طلبا.

(٤) رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي. أنظر الترغيب جـ٤ ص٢٠٦.

(٥) رواه ابن ماجه ورواته ثقات، أنظر الترغيب جـ٤ ص٢٠٨.

ومن الأدلة الواضحة أيضًا على أهمية «التقوى» أن نبينا «محمدا» ﷺ مع أنه أتقى عبادِ الله، وأفضلُ عبادِ الله كان ضمن دعائه عليه الصلاة والسلام أن يرزقه الله التقوى، يشير إلى ذلك الحديث التالي:

فعن «ابن مسعود» رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أسألك الهدى، والتّقى، والعفاف والغنى» اهـ[1].

وتقوى الله تعالى فيها الفوزُ بسعادة الدنيا والآخرة يدل على ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي أمامة» الباهليّ رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: «اتقوا الله، وصلّوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدّوا زكاة أموالكم، وأطيعوا أمراءكم، تدخلوا جنة ربكم» اهـ[2].

وقال تعالى: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾[3].

وعن «البراء بن عازب» رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يا فلان إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوّضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبةً ورهبة إليك، لا ملجأ ولا مَنْجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت، فإنك إن متّ من ليلتك متّ على الفطرة، وإن أصبحت أصبت خيرًا» اهـ[4]. والله أعلم.

---

(١) رواه مسلم. أنظر رياض الصالحين ص٤٧.

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح أنظر رياض الصالحين ص٤٨.

(٣) سورة الزمر، آية ٧٣.

(٤) متفق عليه، أنظر رياض الصالحين ص٥٢.

س ٣ : من الوصايا التي جاء بها القرآن الكريم « الوصية المالية ».

نحب من فضيلتكم إلقاء الضوء على هذه الوصية الهامة.

ج ٣ : من يقرأ تعاليم الإسلام يتبين له بجلاء ووضوح أنه دينُ تكافل، وتراحم، ومحبّة، وإخاء، ترى جميعَ أفراده كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمّى والسهر.

كما أن المجتمع المسلم في تعاونه، وتضامنه كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضا.

ولعلّ السببَ في ذلك يرجع إلى عدّة أمور منها:

أن تعاليم الإسلام جاءت بكل ما فيه سعادةُ الجميع في الدنيا والآخرة، وبتأمين حقوق المسلمين في كل قضية من القضايا التي تهُمّ جميع أفراد المجتمع المسلم.

من هذه القضايا « الوصية المالية » التي تدل دلالة واضحة على أن العلاقة الاجتماعية في ظل تعاليم الإسلام قائمةٌ على دعائمَ قويّةٍ، ولكن للأسف غَفَل الكثيرون من المسلمين وبخاصةٍ الأغنياء عن العمل بالوصيّة الماليّة، علما بأنه ثبت في الحديث الذي رواه « أبو هريرة » رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إنّ مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علْمًا علّمه ونشره، وولدًا صالحا تركه، أو مصحفا ورّثه، أو مسجدا بناه، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو نهْرًا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، تلحقه من بعد موته » اهـ[1].

والأصل في مشروعية « الوصية المالية » قول الله تعالى:

﴿ كُتِب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين ﴾[2].

---

(١) رواه ابن ماجة بإسناد حسن، والبيهقي، أنظر الترغيب جـ١ ص١٠٣.

(٢) سورة البقرة، آية ١٨٠.

يستفاد من الآية الكريمة أن الوصية المالية تجوز إلى جميع الأقارب غير أصحاب المواريث كما سبق بيان ذلك.

كما أنها تجوزُ إلى غير الأقارب مثلُ: المحتاجين، أيًا كان نوعهم، وبناء المساجد، وبناء دور التعليم وبخاصة تحفيظ القرآن الكريم، وبناء المستشفيات، وبناء البيوت التي يأوي إليها الفقراء، وأبناء السبيل، وغير ذلك من جميع الأعمال التي يعود نفعها على المسلمين أفرادًا، وجماعات.

بعد ذلك يجدر بي أن ألقي الضوء بشيء من التفصيل عن بعض الأصناف الذين تجوز لهم «الوصية المالية» وعن الثواب الجزيل الذي أعده الله تعالى لكل من يُوصي بقسط من ماله ابتغاء مرضاة الله تعالى، في مقدّمة هذه الأصناف «الأقارب» وبخاصة إذا كانوا فقراء ومحتاجين، فهم أوْلى الناس وأحقُّ الناس بالوصية لهم، فهم قرابةُ الإنسان، ورحمُه. والإنسانُ بطبعه تربطه بقرابته صلة قوية، لذلك نجد الإسلامَ أوصى بصلتهم، وحذّر من قطيعتهم.

ومن النصوص القرآنية التي أوصت بذوي الأرحام خيرًا قول الله تعالى:
﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورًا﴾[1].

وقول الله تعالى: **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى﴾**[2].

كما أن السنة المطهرة جاءت بالوصية بذوي الأرحام من ذلك الحديث التالي:

فعن «أبي ذرّ» رضي الله عنه قال:

---

(١) سورة الأحزاب، آية ٦.

(٢) سورة النساء، آية ٣٦.

« أوصاني خليلي ﷺ بخصال من الخير: أوصاني أن لا أنظر إلى من هو فوقي، وأن أنظر إلى من هو دُوني، وأوصاني بحبّ المساكين، والدنوّ منهم، وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدبرت، وأوصاني أن لا أخافَ في الله لومة لائم، وأوصاني أن أقولَ الحق وإن كان مرّا، وأوصاني أن أكثر من: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة » اهـ[1].

ومما لا شك فيه أن « الوصية المالية » للأقارب، وإن كانت لا تنفّذ إلا بعد الموت، إلا أنها تعتبر من صلّة الرحم.

وتعاليمُ الإسلام اعتبرت « صلة الرحم » من الأمور الدالة على إيمان الإنسان بالله واليوم الآخر، يشير إلى ذلك الحديث التالي:

فعن « أبي هريرة » رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه.

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ».

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت » اهـ[2].

والذي يحسن إلى قرابته الذين يسيئون إليه، ويصلُهم وهم يقطعونه سيكون له الأجر من الله تعالى، وسيكون لهم العذاب الأليم، يؤيد هذا المعنى الحديثُ التالي:

« فعن أبي هريرة » رضي الله عنه أن رجلا قال: « يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأُحْسن إليهم ويُسيئون إليّ وأحلُم عليهم ويجهلون عليّ، فقال: إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ[3] ولا يزال معك ظهير من الله ما دمت على ذلك » اهـ[4] والله أعلم.

---

(١) رواه الطبراني، وابن حبان، أنظر الترغيب جـ٣ ص٥٥٤.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، أنظر الترغيب جـ٣ ص٥٤٩.

(٣) الملّ: الرماد الحار.

(٤) رواه مسلم، أنظر الترغيب جـ٣ ص٥٦٠.

س ٤: قال الله تعالى: ﴿قل تعالَوْا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾[1].

تضمنت هذه الآية الكريمة عددًا من الوصايا في مقدمتها النهي عن الإشراك بالله تعالى. حول هذا الموضوع نحب أن يكون حديثنا.

ج ٤: هذا الموضوع في غاية الأهمية لأن قضية الشرك بالله تعالى من أخطر الأمور المتصلة بعقيدة الإنسان، لأن الشرك يكون من الأسباب الرئيسيّة والمباشرة في إحباط الأعمال، وخيرُ شاهد على ذلك قول الله تعالى: ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين ★ بل الله فاعبدْ وكنْ من الشاكرين﴾[2].

والشرك في الدين ضربان:

أحدهما: الشرك الأكبر: وهو أن يتخذ الإنسان شريكا يعبدُه من دون الله، أو مع الله، أيّا كان نوعُ هذا الشريك، فتارة يكون إنسانا أو حجرًا، أو ملكا، أو قمرًا، أو نارًا، أو حيوانا، أو جنّا الخ.

قال تعالى: ﴿وجعلوا لله شركاء الجنَّ وخلقهم وخرّقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون﴾[3].

والثاني: الشرك الأصغر: وهو مراعاة غير الله تعالى معه في بعض الأمور، فيدخل في ذلك: الرياء، والنفاق. وقد أشار القرآن إلى هذا النوع فقال: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون﴾[4].

---

(١) سورة الأنعام، آية ١٥١.
(٢) سورة الزمر، الآيتان ٦٥ - ٦٦.
(٣) سورة الأنعام، آية ١٠٠.
(٤) سورة يوسف، آية ١٠٦.

★ ولكون الشرك من أكبر الكبائر فقد صور القرآنُ المشركين أبشع صورة فقال تعالى: ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾[1].

★ ولقد كانت المَهَمّةُ الأولى في دعوة الرسل جميعا عليهم السلام هي تخليصُ العقيدة من شائبة الشرك حتى تصبح نقية طاهرةً خالصةً لله تعالى، والآيات القرآنية أفضل دليل على ذلك، فقال تعالى في شأن أبي الأنبياء «إبراهيم» عليه السلام ﴿قال يا قوم إني بريء مما تشركون ★ إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرضَ حنيفا وما أنا من المشركين﴾[2].

وقال تعالى في شأن «هود» عليه السلام عندما تحداه قومه وأعلنوا عدم إيمانهم، وعدمَ تركهم لآلهتهم التي يعبدونها من دون الله، عندئذ أعلنها «هود» عليه السلام صريحة مدوية، وأعلن تبرئته من عبادة الأصنام.

ولنستمع إلى هذا الحوار الذي صوره القرآن في قوله تعالى: ﴿قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ★ إن نقول إلّا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون﴾[3].

وقال تعالى في شأن خاتم الأنبياء نبينا «محمد» ﷺ عندما أعلن على الملإ من أهل الكتاب السابقين دعوته إلى عبادة الله وحده، وعدم الإشراك به، فقال عزّ من قائل: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالَوْا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألّا نعبد إلّا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذَ بعضُنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوْا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾[4].

---

(١) سورة الحج، آية ٣١.
(٢) سورة الأنعام، الآيتان ٧٨ - ٧٩.
(٣) سورة هود، الآيتان ٥٣ - ٥٤.
(٤) سورة آل عمران، آية ٦٤.

★ لقد عالج القرآن قضية الشرك أبلغَ معالجة، وكانت معالجتُه متمشية مع الحكمة والموعظة الحسنة، وقد صور القرآن ذلك في أبلغ عبارة، وأروع بيان: فقال تعالى: ﴿قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنّى تؤفكون ★ قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدي إلّا أن يُهْدى فما لكم كيف تحكمون﴾[1].

★ ومن يقرأ القرآن بتدبر وإنعام نظر يقشعر بدنه، وترتعدُ فرائصُه عندما يتعرفُ على أنواع العقوبات التي أعدها الله تعالى للمشركين في الدنيا والآخرة، وهي كثيرة ومتعددة، وحسبي أن أشير إلى هاتين العقوبتين: الأولى: إذا كان يوم القيامة فالله سبحانَه وتعالى قد يغفر لمن يشاء من عباده، ما عدا المشركين فإن الله لن يغفر لهم قال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويَغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثمًا عظيمًا﴾[2].

والثانية: أن الله سبحانه وتعالى حرم دخول الجنة على المشركين فقال تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابنُ مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾[3].

والله أعلم.

س ٥: الوصية الثالثة الواردة في الآية الكريمة: النهي عن قتل الأولاد.

حول هذه القضية الخطيرة نحب أن يكون حديثنا.

ج ٥: الولد سواء كان ذكرا أو أنثى من نعم الله الكبرى على الإنسان:

---

(١) سورة يونس، الآيتان ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) سورة النساء، آية ٤٨.

(٣) سورة المائدة، آية ٧٢.

فالأبناء هم أعز شيء في الوجود، بل هم زينة الحياة الدنيا كما قال تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾[1].

والأبناء منذ بدء الخليقة هم المحبّبون إلى قلوب الآباء، لأنهم فِلْذَةُ أكبادهم، يشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين﴾[2]. كما كان الولدُ على مدى العصور موضعَ الحبّ والتفاخر من بني الإنسان. ومن حُرِمَ الولدَ فقد حُرِم الخيرَ الكثير.

لذلك نجد نبي الله «زكريا» عليه السلام حينما حُرم الولد لجأ إلى الله تعالى بالتضرع والابتهال طلبا للولد.

ولقد صور القرآن تلك المناجاة بأبلغ عبارة، وأدقّ أسلوب فقال تعالى في أول سورة «مريم» عليها السلام:

﴿ذكر رحمت ربك عبده زكريا ★ إذ نادى ربه نداء خفيا ★ قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رَبِّ شقيا ★ وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرًا فهب لي من لدنك وليا ★ يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا﴾[3].

ومن نعم الله تعالى على الإنسان ان جعل من الأعمال التي يلحقه ثوابُها بعد وفاته دعاء الأبناء للآباء.

هذه طبيعة الحياة، وتلك سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا.

ولكن للأسف نجد الإنسان في بعض الأحوال يريد الخروج على هذا القانون الإلٰهيّ الكريم، ويرفضُ الخضوعَ لعدالة الله تعالى وقضائِه، وذلك بالاعتداء على هذا الطفل البريء فيذهبُ لقتله مستندًا إلى حجج وهمية زينها له الشيطان الرجيم.

---

(١) سورة الكهف، آية ٤٦.
(٢) سورة آل عمران، آية ١٤.
(٣) سورة مريم، الآيات ٢ - ٦.

فإن قيل: ما هي الدوافع التي تدفع الإنسانَ الشرّيرَ لقتل مهجة قلبه، وأحبّ الناس إليه؟

أقول: لقد أجاب القرآن على هذا التساؤل منذ زمن بعيد واعتبر أسبابَ ذلك أحدَ أمرين:

الأول: خوفُ العار الذي قد يلحقه نظرًا لحالة الفوضى والاضطراب والهمجية التي كانت تسود بعض المجتمعات وبخاصة زمن الجاهلية قبل أن يُشرق نورُ الإسلام، وتكون الغلبة في النهاية للأقوى بعد أن يتم السلب والنهب، وهتك الأعراض. حيث لا قانون ولا سلطان.

ولقد صور القرآن ذلك المشهدَ بأروع أسلوب فقال تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًا وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسّه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾[1].

السبب الثاني: الذي كان يدفع ضعافَ الإيمان وغلاظ الأكباد لقتل أولادهم هو: « خوفُ الفقر ».

وكأنّ هؤلاء لم يعرفوا معنى قوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلّا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾[2].

وقوله: ﴿وكأيّن من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾[3].

ولكنّ الجهل وعدمَ الإيمان يصنعان الشيءَ الكثير فيدفعان صاحبها إلى التردّي في المهلكات وكأنهم يخربون بيوتهم بأيديهم. وقد أشار القرآن إلى هذا

---

(١) سورة النحل، الآيتان ٥٨ - ٥٩.
(٢) سورة هود، آية ٦.
(٣) سورة العنكبوت، آية ٦٠.

السبب بقوله: ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾[1].

وبقوله: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا﴾[2].

وقتلُ النفس بغير حق من أكبر الكبائر، ومن سوّلت له نفسه ذلك فقد خسر الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾[3].

بل نجد القرآن يحكم على من قتل نفسا بغير حق بالخلود في جهنم فقال تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدَّ له عذابا عظيمًا﴾[4].

ومما تجدر الإشارة إليه نظرًا لاتصاله بقتل البنين ما تفعله الكثيرات من النساء من «الإجهاض».

وهو إسقاط الجنين قبل أن تتم شهور حمله لأتفه الأسباب. وهذا العملُ حرامٌ ولا يجوز شرعا، لأنه قتل للنفس بغير حق ومن السبع الموبقات. والله أعلم.

---

(١) سورة الأنعام، آية ١٥١.
(٢) سورة الإسراء، آية ٣١.
(٣) سورة الأنعام، آية ١٤٠.
(٤) سورة النساء، آية ٩٣.

الوفاء بالعهد في الشريعة الإسلامية

السؤال على هذا الموضوع، والإجابة عليه:

س ١: الوفاء بالعهد من القضايا الهامة التي حثت عليها التعاليم السماوية.

حول هذا الموضوع نحبّ أن تحدّثنا.

ج ١: من ينعم النظر في نصوص القرآن الواردة في حكم «الوفاء بالعهد» يشعر لأول وهلة بمدى اهتمام الإسلام بهذه القضية الهامة، يتجلّى ذلك في الصور الآتية:

الصورة الأولى: نجد الوفاء بالعهد من صفات الله تعالى، يشير إلى ذلك قول الله تعالى:

﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وَعْدًا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله﴾[1].

الصورة الثانية:

نجد الأمر من الله تعالى بالوفاء بالعهد متكررًا في القرآن، وما ذلك إلا

(١) سورة التوبة، آية ١١١.

لبيان أهميته، يشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾[1].

وقوله: ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا﴾[2].

وقوله: ﴿وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدًا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين﴾[5].

الصورة الثالثة: تتجلى في أن الله تعالى أخذ العهد على بني آدم بعدم عبادة الشيطان لما في ذلك من الضلال والخسران المبين، يشير إلى ذلك قول الله تعالى:

﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدوّ مبين ★ وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم﴾[6].

الصورة الرابعة: تظهر بجلاء ووضوح في أن الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين، يدلّ على ذلك قوله تعالى:

﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾[7].

---

(١) سورة النحل، آية ٩١.
(٢) سورة الإسراء، آية ٣٤.
(٣) سورة الأنعام، آية ١٥٢.
(٤) سورة البقرة، آية ٤٠.
(٥) سورة التوبة، آية ٤.
(٦) سورة يس، الآيتان ٦٠ - ٦١.
(٧) سورة المؤمنون، آية ٨.

كما أن عدم الوفاء بالعهد من صفات الكفار والمنافقين، يرشد إلى ذلك قول الله تعالى:

﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا * وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مُقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبيَّ يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا * ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرًا * ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا﴾[1].

الصورة الخامسة: تبين الأجر العظيم الذي أعده الله للموفين بالعهد، يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرًا عظيمًا﴾[2].

كما نجد بعض النصوص القرآنية تنص على أن الله تعالى سيعاقب من يخون العهد بالعذاب الأليم يوم القيامة، يدلّ على ذلك قول الله تعالى:

﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدّقن ولنكونن من الصالحين*فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون*فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾[3].

وقولُه تعالى: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾[4].

(١) سورة الأحزاب، الآيات ١٢ ـ ١٥.
(٢) سورة الفتح، آية ١٠.
(٣) سورة التوبة، الآيات ٧٥ ـ ٧٧.
(٤) سورة آل عمران، آية ٧٧.

أسأل الله أن يجعلني وإياكم من الموفين بالعهود إنه سميع مجيب.

هذا وبالله التوفيق، والله أعلم.

المدينة المنورة

الجمعة ١٤ جمادى الأولى سنة ١٤٠٩ هـ

الموافق ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٨٨ م

خادم العلم والقرآن

الدكتور/محمد سالم محيسن

تمّ ولله الحمد والشكر

فهرس
تحليلي لموضوعات
«السراج المنير في الثقافة الإسلامية»
مرتبًا حسب حروف الهجاء

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة
صوته بالكلام أثناء الخطبة، نحبّ من فضيلتكم بيان حكم الشارع في ذلك.	٧١
جـ ١: اقرأ: الإجابة على هذا السؤال	٧١
★ «تسليط الأضواء على فضائل الصحابة»	
الأسئلة الواردة على هذا الموضوع، والإجابة عليها:	٧٤
س ١: نحبّ ونحن في بداية حديثنا عن «فضل الصحابة» رضوان الله عليهم أن تذكر قبسًا من أحاديث الهادي البشير ﷺ الواردة في فضل عموم الصحابة، مع إعطاء صورة موجزة عن بعض المواقف الهامة للخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم.	٧٤
جـ ١: اقرأ الإجابة على هذا السؤال	٧٤
س ٢: لقد كان للصحابة المهاجرين فضل السبق إلى الدخول في الإسلام، ولقد تحملوا في سبيل الدعوة الإسلامية ألوانًا شتّى من التعذيب، والتنكيل، ولذا فازوا بالرضوان، وسجّل الله ذكرهم في قوله ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان﴾ (الخ التوبة/١٠٠). حول المعاني المستفادة من هذه الآية نحب أن يكون حديثنا.	٧٧
جـ ٢: اقرأ الجواب على هذا السؤال	٧٧
س ٣: لقد كان للأنصار دور بارز في الترحيب بالمهاجرين كما ضربوا المثل الأعلى في معنى التضامن الاجتماعي، ولذا امتدح الله مواقفهم المشرفة، وسجّل ذكرهم في قوله: ﴿والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم﴾ (الحشر/٩). حول المعاني المستفادة من هذه الآية نحبّ أن يكون حديثنا مع ذكر قبس من أحاديث الرسول ﷺ الواردة في فضل عموم الأنصار.	٧٩
جـ ٣: اقرأ الإجابة على هذا السؤال	٨٠

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
السنة في التشريع الإسلامي، نحبّ إلقاء الضوء على هذه القضية الهامّة.	٣٠٥
جـ ٣: اقرأ الإجابة على هذا السؤال	٣٠٥
س ٤: من يقرأ السنة المطهرة يتبين لـه أنها على مـراتـب. فهـل هـذه المراتب كلها في درجة واحدة في صحة الاحتجاج بها أو لا، نحب إلقـاء الضوء على هذه القضيّة الهامة.	٣٠٨
جـ ٤: اقرأ الإجابة على هذا السؤال	٣٠٨
★ « من أفضل القربات إلى الله تعالى: صلاة الجمعة والسعي إليها »	
السؤال على هذا الموضوع، والإجابة عليه:	٣١٠
س ١: يوم الجمعة من أفضل الأيام عنـد الله تعـالى، وصلاة الجمعـة والسعي إليها ورد في فضلها الأحاديث الصحيحة. نريد من فضيلتكم الحديث عن هذا الموضوع الهام.	٣١٠
جـ ١: اقرأ الإجابة على هذا الموضوع	٣١٠
★ « منهج القرآن إزاء الخير والشر »	
الأسئلة التي على هذا الموضوع، والإجابة عليها:	٣١٣
س ١: قال الله تعالى: ﴿ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون﴾ (آل عمران/١٥٧) هـذه الآيـة الكـريمة تتحدّث عن « الجهاد » وتبين أن أجره خير من كنوز الدنيا. حول هـذا الموضوع نحب أن تحدثنا.	٣١٣
جـ ١: اقرأ الإجابة على هذا السؤال	٣١٤
س ٢: قال الله تعـالى: ﴿ولتكـن منكـم أمـة يـدعـون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (آل عمران/١٠٤). هذه الآية الكريمة تتحدث عن بعض خصـائـص الأمة المحمدية نحبّ إلقاء الضوء على بعض هذه الخصائص.	٣١٥
جـ ٢: اقرأ الإجابة على هذا السؤال	٣١٥
س ٣: قال الله تعالى: ﴿وإن امرأة خافـت مـن بعلهـا نشـوزًا أو	

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

«تمّ ولله الحمد والشكر»

حياة المؤلف في سطور

ولد المؤلف الدكتور: محمد بن محمد بن محمد بن سالم بن محيسن ببلدة «الحاجر» مركز فاقوس شرقية في جمهورية مصر العربية في ١١ فبراير سنة ١٩٢٩ م من أسرة متدينة مستورة الحال.

★ حفظ «القرآن الكريم» ثمّ جوّده منذ باكورة حياته.

★ التحق بالأزهر الشريف لطلب العلم وحصل على الشهادات العلمية الآتية:

(١) الشهادة العالية في القراءات من الأزهر سنة ١٩٤٨ م.

(٢) شهادة التخصص في القراءات وعلوم القرآن من الأزهر سنة ١٩٥٣ م.

(٣) الشهادة العالية «الليسانس» في العلوم الإسلامية والعربية من جامعة الأزهر سنة ١٩٦٧ م.

(٤) الماجستير في الآداب العربية بتقدير «ممتاز» من كلية الآداب جامعة القاهرة سنة ١٩٧٣ م.

(٥) الدكتوراه في الآداب العربية بمرتبة الشرف الأولى من كلية الآداب جامعة القاهرة سنة ١٩٧٦ م.

★ نشاطه: العلمي والعملي:

★ بعد حصوله على شهادة التخصص في القراءات وعلوم القرآن عيّن مدرسًا بقسم تخصص القراءات بالأزهر لتدريس القراءات وعلوم القرآن.

★ عيّن عضوا بلجنة تصحيح المصاحف ومراجعتها بالأزهر سنة ١٩٥٦ م.

★ انتدب للتدريس بمعهد غزّة الديني عن عام ١٩٦٠ - ١٩٦٤ م.

★ اختير عضوا ضمن اللجنة العلمية التي تشرف على تسجيل القرآن الكريم بالإذاعة المصرية ١٩٦٥ م.

★ انتدب للتدريس بالمعهد الديني «بواد مدني» بالسودان من عام ١٩٥٤ - ١٩٥٦ م.

★ انتدب للتدريس بجامعة «أم درمان» الإسلامية بالسودان من عام ١٩٧٠ - ١٩٧٣ م..

★ انتدب للتدريس بجامعة الخرطوم من عام ١٩٧٣ - ١٩٧٦ م.

★ انتدب للتدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من عام ١٩٧٦ م إلى الآن.

★ قام بالإشراف ومناقشة الكثير من البحوث العلمية.

★ شارك في الكثير من المؤتمرات العلمية.

★ له أحاديث دينية بإذاعة السودان تزيد على المائة حديث.

★ له أحاديث دينية أسبوعية، وندوات علمية أسبوعية بإذاعة المملكة العربية السعودية من عام ١٩٧٧ م إلى الآن.

★ بلغ انتاجه العلمي أكثر من ثلاثين كتابًا في جوانب متعددة: مثل: تجويد القرآن- وضبط القرآن- وإعجاز القرآن- وعلوم القرآن- والقراءات

الثلاث ـ والقراءات السبع ـ والقراءات العشر ـ والقراءات الشاذة ـ وتوجيه القراءات ـ وغريب القرآن ـ والآداب الإسلامية ـ والسنة النبوية ـ والفقه الإسلامي.

★ يرجو من الله تعالى أن يوفقه دائمًا إلى خدمة العلم والقرآن.

★ يرجو من الله تعالى أن يحسن خاتمته ويتوفاه على الإيمان وأن يغفر له ولوالديه إنه سميع مجيب. وصلّ اللهم على سيدنا « محمد » وعلى آله وصحبه أجمعين.

شيوخه:

حفظ المؤلف القرآن، وجوّده، وتلقى علوم القرآن، والقراءات والعلوم الشرعية، والعربية، عن خيرة علماء عصره وبيانهم فيما يلي:

حفظ القرآن الكريم على الشيخ محمد السيد عزب، جوّد القرآن الكريم على كل من الشيخ: محمد محمود، والشيخ محمود بكر. أخذ القراءات علميًّا عن كل من الشيخ عبد الفتاح القاضي، والشيخ محمود دعبيس. أخذ القراءات عمليا وتطبيقا عن الشيخ عامر السيد عثمان، أخذ رسم القرآن وضبطه عن الشيخ أحمد أبو زيت حار، أخذ عدّ آي القرآن عن الشيخ محمود دعبيس، أخذ توجيه القراءات عن الشيخ محمود دعبيس، أخذ الفقه الإسلامي عن كل من الشيخ أحمد عبد الرحيم، والشيخ محمود عبد الدايم، أخذ أصول الفقه عن الشيخ يّس سويلم، أخذ التوحيد عن الشيخ عبد العزيز عبيد، أخذ المنطق عن الشيخ صالح محمد شرف، أخذ تاريخ التشريع الإسلامي عن الشيخ أنيس عبادة، أخذ التفسير عن كل من الشيخ خميس محمد هيبه، والشيخ كامل محمد حسن، أخذ الحديث وعلومه عن الشيخ محمود عبد الغفار، أخذ دراسة الكتب الإسلامية عن الشيخ محمد الغزالي، أخذ النحو والصرف عن كل من الشيخ خميس محمد هيبه، والشيخ محمود حبلص، والشيخ محمود مكّاوي، أخذ علوم البلاغة عن كل من الشيخ محمود دعبيس، والشيخ محمد بحيري، أخذ فقه اللغة

عن الدكتور حسن ظاظا، أخذ أصول اللغة عن الدكتور حسن السيد عون، أخذ مناهج البحث العلمي عن الدكتور عبد المجيد عابدين. أشرف عليه في رسالة الماجستير الدكتور أحمد مكي الأنصاري، أشرف عليه في رسالة الدكتوراه الدكتور عبد المجيد عابدين. أكرمه الله تعالى ووفقه وصنف الكتب الآتية:

كتب للمؤلف

١ ـ المستنير في تخريج القراءات من حيث اللغة ـ والاعراب ـ والتفسير، ٣ اجزاء.
٢ ـ المهذّب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر (٢) جزءان.
٣ ـ الإرشادات الجليّة في القراءات السبع من طريق الشاطبية.
٤ ـ التذكرة في القراءات الثلاث وتوجيهها من طريق الدرة (٢) جزءان.
٥ ـ الإفصاح عما زادته الدرة على الشاطبية.
٦ ـ المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة (٣) أجزاء.
٧ ـ القراءات وأثرها في علوم العربية (٢) جزءان.
٨ ـ تهذيب إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر.
٩ ـ الرسالة البهية في قراءة أبي عمر الدوري.
١٠ـ المجتبى في تخريج قراءة أبي عمر الدوري.
١١ـ الرائد في تجويد القرآن.
١٢ـ إرشاد الطالبين إلى ضبط الكتاب المبين.
١٣ـ التوضيحات الجليّة شرح المنظومة السخاوية.
١٤ـ الهادي إلى تفسير كلمات القرآن.
١٥ـ نظام الأسرة في الإسلام.
١٦ـ الكشف عن أحكام الوقف، والوصل في العربيّة.
١٧ـ أبو عبيد القاسم بن سلام، حياته وآثاره اللغوية.
١٨ـ أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، حياته وآثاره.

١٩- المقتبس من اللهجات العربيّة والقرآنية.
٢٠- إعجاز القرآن.
٢١- مرشد المريد إلى علم التجويد.
٢٢- تاريخ القرآن.
٢٣- في رحاب القرآن.
٢٤- في رحاب الإسلام.
٢٥- العبادات في ضوء الكتاب والسنة.
٢٦- الحج والعمرة في ضوء الكتاب والسنة.
٢٧- المحرمات في ضوء الكتاب والسنة.
٢٨- الفضائل في ضوء الكتاب والسنة.
٢٩- الكشف عن أسرار ترتيب القرآن.
٣٠- التعليق على كتاب النشر في القراءات العشر.
٣١- تصريف الافعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن.
٣٢- سؤال؟ وجواب.
٣٣- في رحاب السّنة المطهرة.
٣٤- الاسلام يؤمن حقوق الانسان.
٣٥- الأسرة في ضوء تعاليم الإسلام.
٣٦- حديث الروح في ضوء الكتاب والسنة.
٣٧- المبسوط في القراءات الشاذة.
٣٨- منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله.
٣٩- في رحاب القراءات.
٤٠- معجم حفّاظ القرآن عبر التاريخ.
٤١- تحقيق شرح طيبة النشر لابن الناظم.
٤٢- طبقات المفسرين، ومناهجهم.
٤٣- الهادي شرح طيّبة النشر في القراءات العشر.
٤٤- السراج المنير في الثقافة الإسلامية.

السِّرَاجُ المُنِيرُ

فِي

الثَّقَافَةِ الإِسْلَامِيَّةِ